

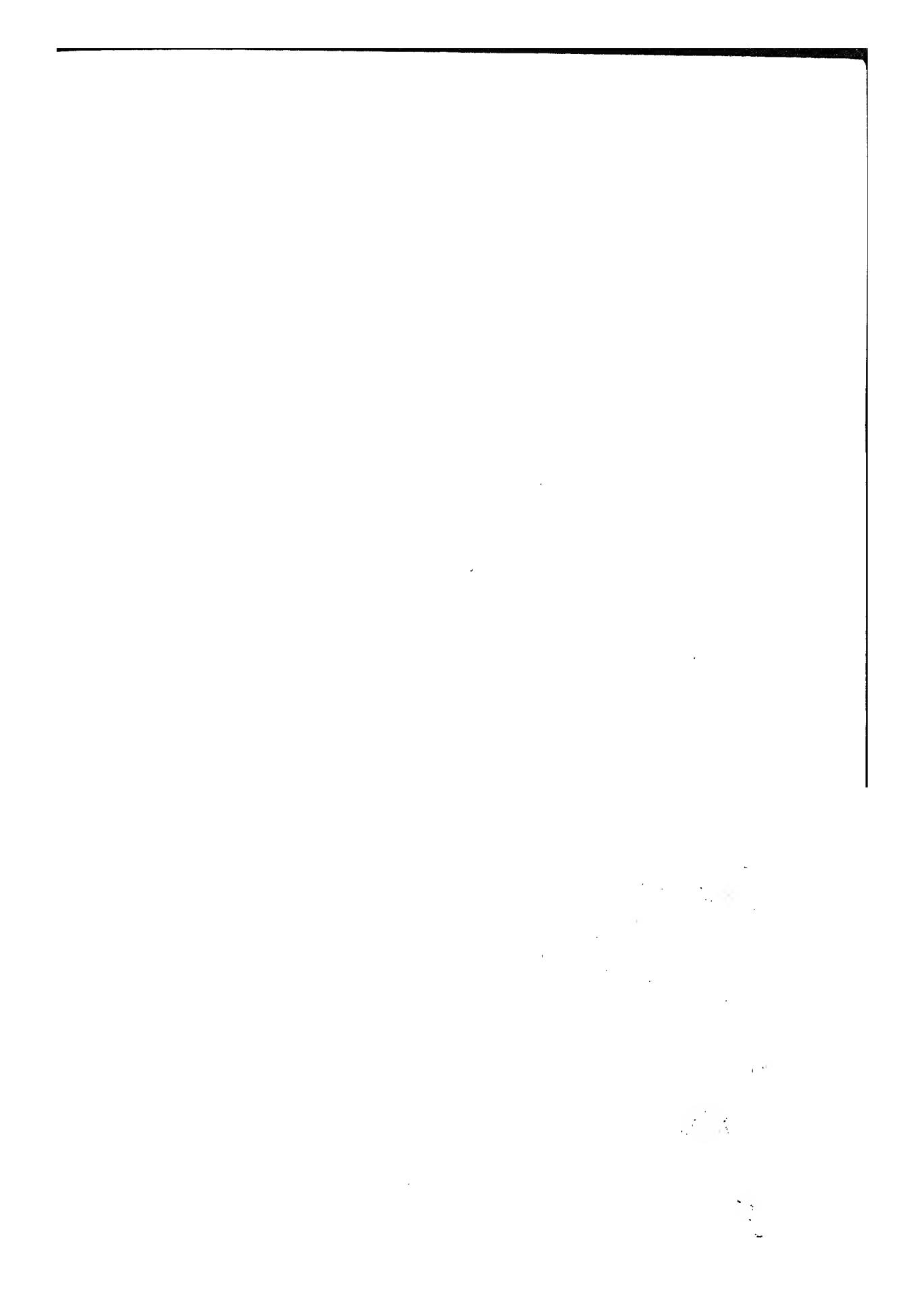
البيانات عبر القرن العشرين



لي التائب



مطبوعات ديمقراطية للعلوم الأساسية العالمية

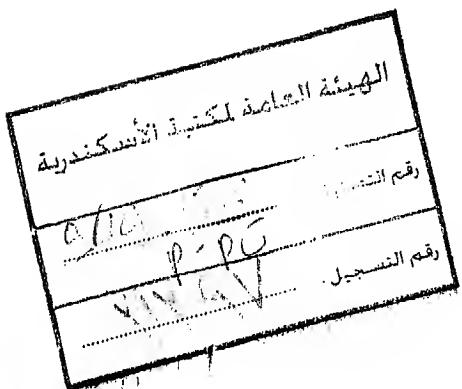


البيانات عبر القرن العشرين

ج ٢٥٦
١٩٧٣
P

تأليف

الدكتور محمود علي التائب



Organization of the Alexandria Library (OAL)
جامعة الإسكندرية - مكتبة الإسكندرية

DL

رقم الإيداع 722
لدار الكتب الوطنية - بنغازي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الأول

مقدمة :

صعوبات جمة تواجه المؤرخ عندما يكتب عن شخصية عاصرها وتفاعلـت أحاسيسه بالصراع بين مؤيدي تلك الشخصية ومعارضيها والتناقض الشديد بين رأيـي الطرفين ، وصعوبة استخلاص ما يقارب الحقيقة عنه ، فإذا إقتربـن كل ذلك بصعوبة الحيدة الكاملة من قبل المؤرخ عندما يكتبـ في جو ما زال يعيـق بما يطلقـ الأنصارـ من ثناء وإعجابـ وتقوـح منهـ في نفسـ الوقتـ روائحـ غـايةـ فيـ العـفـونـةـ منـ الصـورـ التـيـ يـصـورـهـ فـيـهاـ أـعـداـوـهـ وـمـنـافـسـوهـ وـأـقـارـبـ ضـحـاياـ سـيـاستـهـ ،ـ يـضـافـ إـلـيـهـ مـخـالـفـوهـ فـيـ مـعـقـدـاتـهـ السـيـاسـيـةـ ،ـ أـمـاـ إـذـاـ تـحـدـتـ تـلـكـ الشـخـصـيـةـ الـمـعـقـدـاتـ الـدـيـنـيـةـ لـفـرـيقـ ماـ ،ـ أـوـ لـجـمـيعـ الـأـدـيـانـ كـمـاـ حـدـثـ لـشـخـصـيـةـ زـعـيمـ أـلـبـانـياـ التـيـ يـتـنـاـولـهـ هـذـاـ الـكـتـابـ ،ـ فـإـنـ أـمـرـ تـحـرـىـ الـحـقـائـقـ يـزـدـادـ وـعـورـةـ وـيـجـعـلـ تـطـبـيقـ أـصـولـ الـبـحـثـ التـارـيـخـيـ وـقـوـاعـدـهـ مـهـمـةـ خـطـرـةـ زـلـقةـ مـغـضـبـةـ لـلـمـؤـيدـ وـلـلـمـعـارـضـ عـلـىـ السـوـاءـ .ـ

ولقد وضعـتـ نـصـبـ عـيـنيـ عـنـ التـصـديـ لـكتـابـ عنـ الإـسـلـامـ فـيـ أـلـبـانـياـ (ـوـفـيـ الـبـلـقـانـ)ـ أـنـ لـاـ أـلـقـتـ لـاـ يـغـضـبـ أـلـمـاـ يـرـضـىـ ،ـ حـتـىـ أـتـمـكـنـ منـ تـرـكـيـزـ كـلـ إـهـتمـامـيـ فـيـ الـبـحـثـ عـنـ الـحـقـائـقـ .ـ وـهـيـ حـقـائـقـ نـدـرـتـ مـرـاجـعـهـ بـلـ

إنعدمت من المكتبات العربية ، ومايوجد منها حررها مؤيد محب فلم ير إلا
السنوات أو معارض مبغض فلم يبصر إلا السينات وكلاهما لا يصلح
كمرجع تاريخي .

إني لا أترجم لحياة أنور خوجة ولا لحياة تيتوا ولا لحياة غيرهما من
الشخصيات التاريخية التي حكمت البلقان عقب الحرب العالمية الثانية ،
ولكنني مضطر إلى كتابة تاريخ حياة خوجة بالذات لأن تاريخ حياته يتسع
لتاريخ ألبانيا كلها وتجاوز تأثيره حدود ألبانيا إلى ماجاورها من البلاد
ووصل إلى موسكو وإلى بكين ووارسو ولكن كان تأثيره في تلك العواصم
تأثيراً محدوداً جداً يكاد يقتصر على صلة تلك العواصم بالبلقان ، ولو لا
قضية قاعدة الغواصات الروسية في البحر الأدربياتي .. قضية إنسحاب
خوجة من حلف وارسو وسوق الكوميكون (١) لجاز إهمال تأثير خوجة
خارج البلقان ، وحيث إنه لاتاريخ بلا وثائق فقدت إجتهدت في تجميع
الوثائق وترجمتها وإسقائها وفقاً لعامل "المؤثرات" و"الوعي الحاضر"
واجتهدت في الوصل بين الوثائق وهو الدور الحقيقي للمؤرخ الذي هو أشقاء
المراحل لاقتضاءه من المؤرخ إستعمال موازين علمية ثابتة في موضوع
رجراج ، إذ الوثائق المتيسرة كتبها خصم أولى ، وكلاهما لا يؤخذ قوله على
علاته . أي أن على المؤرخ أن يكون قاضياً يفصل في الآراء التي يستعرضها
ليستتبط منها أحکاماً صائبة أو أقرب ما تكون إلى الصواب ، فإن لم يفعل
ذلك تحول إلى مرتجل للتاريخ .

ومامن مؤرخ لم يراوده التساؤل عن كيفية الوصول إلى تدقيق الخبر

١- السوق المشتركة الخاصة بروسيا وبلغائها .

التاريخي المكتوب والمروى إذا لم يعرف بيئه الراوى أو الكاتب ومكانته في تلك البيئة ومنزلة تلك المكانة ليحكم هل هي مكانة تمكن منه من الإطلاع على الخبر الذي رواه وعلى الإحاطة بدقائقه ، أو أنه من عشاق الشائعات فيرويها ولا يصح من حديثه عنها إلا العنوان . أما التفاصيل والإطار فمن إرتجاله هو ويكون قد ابتعد تماماً عن فلسفة التاريخ الحاضر الذي يعيش الماضي .

ولذا كان حرياً بالمؤرخ أن يعرض نتائج بحثه الذي ترتكز فلسفته على ضوابط فنية يعتمدتها معظم علماء التاريخ ، فبالأحرى أن يعرض الطريقة الخاصة التي تسنى بها اصطناع هذه النتائج لهذا فقد استقرأت مatiser لي من مراجع قديمها وحديثها ، وبذلت قصارى جهدي في التحرر من إسار سلبياتها ، كما حرصت على عدم السقوط تحت إغراء إيجابياتها لأبرز الحقيقة التاريخية التي غالب على ظني صدقها ، مما جعلني أهمل تدوين الكثير من القضايا التاريخية اتقاء للاجتهادات الخاطئة ، وبخاصة عند العجز عن تحقيق النص الذي يربيني أمره لكثره ما يشوبه من عناصر الشك واقوم قدر جهدي بتصور جو مشابه للجو الذي نمت فيه الأحداث واعرضه على المنهج الأكاديمي والأخباري فان واعتها اخذت به في تحفظ شديد ، وان وجدته قلقاً أهملته ، غير أنني لم أجد مندوحة قط من ملزمة التاريخ السردي عندما يتذر على اعطاء المنهج العلمي للتاريخ مقوماته الازمة لتمحيص المادة المشكوك في نصها أو المشكوك في نزاهة راويها .

ولقد لحقني رهق شديد عند محاولتي شرح مذاهب حياة أنور خوجة الغامضة ، فعلى الرغم من اطلاعي على كثير مما ترجم من كتاباته الى الإيطالية فانني لم أتعثر له على أية اضافة لمجمل الفكر الشيوعي أو أي

تفسير جديد ذي شأن يوضح غامض ذلك الفكر ، فتيقنت من تجرده من أي معتقد ديني أو سياسي ، وكانت الفكرة التي استقرت في أعمقى عنه ، أنه انسان لا يؤمن بشيء . وأرى أنه لامصدر لكل ما يقول وكل ما يفعل إلا ولعه الشديد بابهار القارئ أو السامع أو المشاهد ، وقد رسخت هذه الفكرة عندي بعد أن صنفته في قمة من يستجيبون للخاطر السياسي الوثاب " فقد سجلت عند استقرارائي بتاريخ حياته استجابته لست عشرة حالة لخاطر سياسي يفجأه ، فيقدم على تبنيه دون دراسة متأنية مبنية لمدى تساوقه مع سياساته السابقة . واعترف بأن أنور خوجة ظاهرة تشكل " وحدة تاريخية " يحتاج اجلاء صورتها الى جهود كبيرة قادرة على تبيان الحقيقة التاريخية الكاملة عنه .

شكراً وافراً للاصدقاء الذين صوبوا خطأ أو أغاروا وثيقة أو قدموا خبراً أو أعنوا على كتابة .

وأسائل العفو عن القصور وعلى الله قصد السبيل .

و . عمرو على النائب

طرابلس في 1-8-1991

تمهيد

منذ سنة ١٩٨٠ إجتاحت الدول البلقانية الأربع : بلغاريا ورومانيا ويوغسلافيا وألبانيا أزمة إقتصادية أشد حدة من تلك التي تضرب اليونان في جنوب جزيرة البلقان . أو تلك التي تعصر أمعاء المجر صاحبة أعلى دخل للفرد الواحد في كل تلك المجموعة ، وهي دول - بـإثناء اليونان - واقعة جميعها في فلك روسيا على تفاوت في قوة الجذب وفي مرونة أمراسه ، فبلغاريا منجدبة في الظاهر سياسيًا وعاطفياً إلى روسيا أكثر من إنجداب رومانيا مع أن رومانيا حدودا مشتركة مع الروس . بينما بلغاريا لاحدود لها مع روسيا ، ونجد ألبانيا ذات الصلات الوثيقة جداً في السابق بروسيا تتفصل عنها بحجة أن روسيا تخلت عن المبادئ الماركسية الليينية كما فهمها ستالين ، بينما اعتنق تيتو ومن خلفه فكرة " التحريف (١) " للمبادئ الماركسية ، فأحدثوا ما يمكن تسميته " بالشيوعية الليبرالية " كما نجد أن يوغسلافيا تخرج من حلف وارسو وتتفصل عن " الكوميكون " ، ومانحال أن إنفصال ألبانيا ويوغسلافيا عن الحلف وعن السوق كان سيقبل بنفس السهولة لو كان لألبانيا وزن عسكري أو إقتصادي ، والحقيقة أنه ما كانت هناك خسارة حقيقة سوى فقدان روسيا لقاعدة الغواصات القابعة في مياه الأدرياتيكي الدافئة ، وكذلك خروج يوغسلافيا لم يسبب خسارة تذكر إذ ليست بالسوق المستهلكة ذات الخطر ولا بالسوق المصدرة ذات التأثير على الأسعار العالمية ولا بالقوة العسكرية التي يحسب حسابها . يضاف إلى

(١) التحريف "REVISIONISM" هو إعادة النظر في مفهوم تلك المبادئ بكيفية تسمح بكثير من المرونة في تطبيقها بما يناسب حاجة البلد المطبق للتحريف

ذلك مستقبل الإتحاد اليوغسلافي الغامض الذي يشبه في غموضه مستقبل لبنان ، سوى أن الأعراق في يوغسلافيا أكثر عدداً وأشد تنافراً ، أما رومانيا فالشيوعي الصادق الوحيد فيها هو «شاوشيسكو» وستبقى رومانيا شيوعية لا - روسية - ما بقي شاوشيسكو في السلطة ، ولكن لن يعيش إلى الأبد ، ولعل الأستاذ الطبيب "أوجين بروكا(١)" هو الوحيد الذي يعرف الداء الخفي الذي يفرى صحة الرئيس شاوشيسكو ، وليس في سماء رومانيا نجم واحد ظاهر للعيان يمكن أن يخلفه عندما يحين حينه ، لذلك فمستقبل رومانيا غامض وإختيار الخلفية يعد في الحالين من أصعب الأمور . وقد جعلت بوادر الأزمة الإقتصادية العالمية الكثير من مشاكل دول البلقان وما جاورها تطفو على السطح وتعرض تناقضاتها للأضواء ، فالرومانيون يسيئون معاملة الأقلية المجرية بينهم ويحرمونهم من فرص العمل ، وما تتعرض له الأقلية الألبانية في يوغسلافيا وفي غيرها يشغل جانباً كبيراً في هذا الكتاب وتبقى مشكلة مقدونيا بين بلغاريا ويوغسلافيا فاغرة فاما وهناك من تسن أنيابها ، والصراع الخالد بين الصربيين والخرواتيين فتيله ينتظر أول شرارة ليشتعل . وولاية "فوئفودنا" تتعلق أبصارها بإقليم كوسفو" وتحفز للانفصال عن الإتحاد اليوغسلافي بمجرد خصوصه لطالب الكوسفين ، أما سكان الجبل الأسود الذين يحترون الحرب فيتشوقون بقوة إلى إعلان استقلالهم ، ولا يشدهم إلى الإتحاد السياسي إلا مصالح إقتصادية ، فإن ضعفت تلك المصالح فلن يبقى ما يمسكهم في اللحمة اليوغسلافية . ولن نتكلم عن شبه جزيرة "إستريا" لأنها قنبلة موقوتة بين إيطاليا ويوغسلافيا ستنفجر في وقتها المناسب .

(١) إختصاصي يتمتع بشهرة عالمية كنطاسي ماهر في علاج سرطان البروستاتا .

ومشكلة المليون مسلم في بلغاريا وإصرار حكومتها على أن يكونوا بلغاريين قبل كل اعتبار آخر . بينما يقول المسلمون كيف يمكن أن يعتبروا أنفسهم بلغاريين إذا كانت حكومة بلغاريا لاتساوينهم بغيرهم من المواطنين البلغاريين ، وكلا حكومتي اليونان وبلغاريا تحاولان التغلب على مشكلة مواطنיהם من المسلمين بدمجهم في مجتمعهما دمjaً كاملاً ، يتناول الأسماء والألقاب وأسلوب الحياة والعادات ، وهي أمور تجد مقاومة يتردد صداها في العالم بل وصارت تستغل سياسياً وإعلامياً . " ورامز عالية " زعيم ألبانيا الجديد يحاول أن يخرج بلاده من النفق المظلم الطويل الذي حشرها فيه سلفه " أنور خوجة " ، وعندما تعتمد أبصار الألبانيين على الأبصار في النور فسيرون طريقهم بوضوح ، ولاشك أنهم سيعودون إلى مكانهم بين شعوب العالم عناصر عطاء وخير . وعلى العموم فإن رياح إستقلال القوميات المختلفة ، أخذت تهب على بلغراد وبخارست وبودابست في نفس الوقت الذي أخذت فيه الأزمة الإقتصادية العالمية تطل لا من الكوى الضيقة فقط ولكنها تقتحم الأبواب الواسعة أيضاً ، تصبحها إطلالة من الإرهاب بوجهه الكالح ، وهذه الأمور كلها تضفي ضباباً كثيفاً على مستقبل تلك البلاد وتحول بين محلل السياسي لأوضاعها وبين الوصول إلى تقييم صحيح للمستقبل القريب والبعيد للبلقان وماجاورها . ومما يزيد في عدم وضوح الرؤية أمام المراقبين السياسيين لما يجري في البلاد التي يتناولها هذا الكتاب ، إمساك صحفتها عن نشر أي شيء عن كل هذه الأمور الخطيرة مع أنها تمس حاضر شعوبها ومستقبلها كما أن المصطلحات الصناعية والإقتصادية التي شاع تضمينها لقرارات الزعماء وتوصيات المؤتمرات القومية كمصطلح " التسيير الذاتي " و " الإدارة الذاتية " بقيت على الورق رغم جمالها وجاذبيتها ، أما الزراعة المخطط لها أصلاً لتجه نحو التصدير ، فإننا نجدها عاجزة عن توفير حاجة السكان المحليين ، أما

الترابط الاجتماعي والتواافق بين العامل ورب العمل الوحيد في تلك البلاد الذي هو الحكومة أي الحزب الحاكم الوحيد ، فقد تعرض لهزات أحدثت شقوقاً في البناء الاجتماعي تزداد إتساعاً بإزدياد الأزمة الاقتصادية العالمية حدة ، وأخطر نتائجها حدوث اضطرابات بين عمال المناجم وإعتصامات في المصانع بين عمال الصناعة وذلك لأول مرة منذ الحرب العالمية الثانية.

والدارس لأسباب الصراعات بين الأعراق المختلفة في يوغسلافيا وبلغاريا ورومانيا وغيرها ، يجد أن الجوانب الاقتصادية عامل مهم في حدوث هذه الصراعات كلها ، ولكنه يجد أيضاً أن الجوانب الاقتصادية للمشكلة ليست هي كل شيء ، بل هناك عوامل أخرى يتعدى على الباحث المنصف إغفالها ، أخطرها الاختلاف في العقائد الدينية ونظرية الناس إلى من يخالفونهم في العقيدة . ويدعم ذلك التراث الموروث من أحقاد بسبب الاختلافات الدينية بين أفراد الشعب الواحد . ولنأخذ "الإسلام" مثلاً فإنه على الرغم من إقبال غير المسلمين على دراسة القرآن الكريم فإننا نجد بعض الزعماء في جميع طبقات المجتمعات ما زالوا يجتربون الأحقاد الموروثة منذ قرون ، مما يفسر الكثير من التصرفات المقوية التي تدل على جهل كبير بالإسلام ،



١٩٤٤. فريق من الجنود المغاربة العاملين في الجيش الفرنسي يعسكرون في منطقة روما 1944, un reparto di marocchini accampato nella zona . Chiave di volta della Linea Gustav

دفعهم إلى إتخاذ المواقف التي لا نرضها منهم ولا تخدم التقارب الإنساني الذي نسعى جماعاً إلى أن يجمع بين أتباع الديانات المختلفة في إحترام متبادل من قبل كل منهم لعقيدة الآخر، ومن هذه المواقف التي تدل على أن تصرفات بعض أعرق الشعوب لا تتغير حيال نظرتهم إلى من يخالفونهم عقائدياً مهما تغيرت الأنماط السياسية التي تحكم البلاد ، ولننظر موقف دولة بلقانية معينة من معتنقي الإسلام . فلم يتغير عاداؤها للمسلمين ، ولم يختلف موقفها منذ أن كانت دولة ملوكية مسيحية عن موقفها من الإسلام عندما صارت نفس الدولة جمهورية علمانية شيوعية . إذ أنها سعت عندما كانت مملكة إلى صرف المسلمين من رعاياها عن الإسلام وسعت إلى نفس الغاية - بعد أن صارت جمهورية - بسلخهم عن الإسلام بحجة أن الشيوعية والإسلام لا يلتقيان ، وإننا نسأل عقلائهم هل من إجابة عن التساؤلات التالية تدل على أن دوافعها ليست هي ما يتadar إلى الذهن عند التمعين في تصرفات تلك الفئة .

١- وقف الجنرال ألينبي القائد الإنجليزي للجيش واضعاً قدمه على قبر صلاح الدين الأيوبي في ساحة الأموي بدمشق وقال :

- ١- "لقد عدنا يا صلاح الدين وانتهت الحروب الصليبية (١)."
- ٢- طلب البابا "بيوس الثاني عشر" من قادة الحلفاء عدم تمكين المغاربة المسلمين (٢) - المجندين في جيش فرنسا الحرة - المشاركة في تحرير روما من جيش المانيا المسيحية .
- ٣- طلب "فلهيلم الثاني" إمبراطور المانيا أن ينصب ابن عمه "وليام" أمير "فييد" المسيحي أميراً على ألبانيا المسلمة بالرغم من اعتناق الأكثريه

(١) الحروب الصليبية التي اعتبر نفسه هو آخر قواها بدأت سنة ١٠٩٧ م وانتهت بإنتصار المسلمين سنة ١٢٩٢ أما صلاح الدين فقد توفي سنة ١١٩٣ .

(٢) كتاب "لابيلي" للكاتب الإيطالي كورسيومالبارتي . Cursio Malaparte "La Pelle"

المطلقة للإسلام ، وإلى أن يتحقق الطلب دفع أحدهم بالإسقف (١) " فان نولى " ليتولى رئاسة الوزراء الألبانية .

٤ - لماذا اختير توقيت زيارة البابا لفيينا ليوافق العيد المئوي الثالث لفك حصار المسلمين عن فيينا في صيف ١٦٨٣ .

٥ - لماذا احتفل في المجر في أواخر سنة ١٩٨٢ م بدن آخر مجرى ولد مسلماً (٢) يتحدر من سلالة مجرية مسلمة ، ودفن معه هلال كرمز لدفن الإسلام معه ؟ .

٦ - هل يعتبرما يقوم به الصربيون والمقدونيون ضد الأقلية الألبانية المسلمة من نفس جنس ماتم التساؤل عنه ؟ أم أنه له طبيعة مختلفة ؟

٧ - لم يتم التعرض لما نسب للبابا " شنودة " مع أنه لا يختلف عما ذكر ، ولم يتم التعرض لما قام به البطريرك الماروني " عريضة " في لبنان أيام رئاسة كميل شمعون ، وإلى ماقام ويقوم به خليفة البطريرك " خريش " فجميعهم لعبوا أدواراً صلبيّة أشبه بدور الراهب بطرس الأمياني (٣) .

٨ - تعرضت الأقلية التركية في قبرص سنة ١٩٦٤ م إلى مذابح لم ترحم العجوز الفاني ولم تشفع على الرضيع البرئ فسفحت دماء الجميع فيبعثت

(١) D. Kostich Dragos "The Land and the people of the Balkans".

(٢) رغم أن المجر دولة شيوعية لاتدين رسمياً بأي دين فإن الإحتفال قد تم تحت سماعها وبصرها .

(٣) إشتهر بالإسميّي EREMITA وهم فرقة دينية كاثوليكيّة تعني منذ قرون بالجذومين مقر رئاستها بمسجد باليromo العتيق .

تركيا بإذنار في ١٣ مارس ١٩٦٤ م إلى الأسقف " مكاريوس " رئيس جمهورية قبرص طالبة بسط حمايته الشخصية على القبارصة الأتراك ، فلما لم يستطع أو لم يرد تحرك الجيش التركي . وإذا " بجونسون " رئيس الولايات المتحدة ينذر الرئيس التركي بأن تحريكه لأي طيارة أو سفينة تركية لتوجيهها إلى قبرص سيجعل قوات الناتو المرابطة في تركيا نفسها تطلق عليها النار ، حدث هذا الإنحياز الكامل من قبل رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ضد الأتراك القبارصة المسلمين تعصباً منه لسيحيته ضد إسلامهم رغم مكانة وأهمية تركيا في حلف الناتو بالقياس إلى أهمية قبرص ومكانتها في ذلك الحلف .

٩ - ركب كاردينال باليموسفينة لتنقله إلى طرابلس ليكون في وداع الجيش الإيطالي الذاهب لغزو الحبشة ولما إقتربت السفينة من ميناء طرابلس وإتضح له مرأى الكتدرائية خلال أقواس الرواق الفاصل بين مبنيي الضمان الاجتماعي جئ للكاردينال بمقدار من ماء البحر فباركه ، ثم إتجه بوجهه إلى الساحل ونشر ماء المعمودية وصاح :

“ TERRA RITORNI CRISTIANA COME ERI “

أيتها الأرض عودي مسيحية كما كنت .

وهكذا ، فعلى الرغم من التقدم العلمي الهائل الذي فتح بصائر الناس وأبصارهم على حقائق الحياة ، فم肯 الدارسين منهم من تبين التحريف الذي أدخل على التوراة ، وهو تحريف للحقائق العلمية الثابتة إنقلت عدواه من التوراة إلى الإنجيل ، بينما خلا القرآن خلوا تماماً من المأخذ التي يأخذها العلم على النصوص الحالية للتوراة والإنجيل ، فالتوراة مثلاً حدد

وجود الإنسان على وجه الأرض بـ ٥٧٤٤ سنة ، وهذه معلومة توراتية أثبتت علم الانثروبولوجيا بطلانها ، إذ ثبت علمياً أنه كان هناك مجتمعات بشرية منظمة تعيش منذ ٧٠٠٠٠ سنة لها صناعات فخارية وخشبية وقد عرفت إستغلال حرارة النار في استجلاب الدفء وشوى اللحم .

ويقول الإنجيل أن الله خلق الأرض مكسوة بالنبات الأخضر وفي اليوم الرابع خلق الشمس . والحقيقة العلمية التي تحكم تكوين اليخصوص وتوقف وجوده على إمتصاص النبات لأشعة الشمس تعارض مع المعلومة الإنجيلية المذكورة ؛ والقرآن لا يوجد فيه نص واحد يتعارض مع العلوم الحديثة كلها مثلاً تعارض ماجاء في الكتابين الآخرين .

والقرآن يتحدث عن جميع الأنبياء والرسل بإكبار وتقدير فاق فيما كتابي التوراة والإنجيل . والقرآن وإن نفى أن في مريم وإبنتها عنصراً إلهياً إلا أنه أنزل عيسى منزلة آدم بين الرسل ، وأنزل مريم منزلة سامية بين نساء العالمين .

ونحن لانسعى إلى المقارنة بين الكتب السماوية الثلاثة ، وما ذكرناه من فقرات إنما اقتبسناها عن دارسين مسيحيين أوردوها في مؤلفاتهم وبحوثهم التي أشرنا إلى كل منها في الهاشم المتعلق بها ، وقد استشهدنا بها لتأكيد ما ذهبنا إليه ، ولم نقصد إبراز عيوبهما بقدر ما أبرزنا ما طرأ على التوراة والإنجيل من تحريرات خلا منها القرآن بشهادة العلم الحديث . فلا يرثون إلينا أحد بعين الإتهام بالتعصب الديني ونحن منه براء ، كما أننا لم ندون تلك الفقرات إلا لإثبات بعض رواسب الحقد الديني الذي لازال يرثون على قلوب بعض الناس فيدفعهم إلى ممارسات خاطئة ، وإلى إبداء الرأي في

الإسلام مع جهل بالإسلام مطبق مقيم ، سببه – بالنسبة إلى الكاثوليك على الأقل – أن القرآن كان على رأس قائمة «الإنديكس» ، وهي قائمة أقرت في أوائل القرن السابع الميلادي تتضمن الكتب المحرّم على الكاثوليك قرائتها ، ولم تلغ هذه القائمة إلا بقرار المجلس المسكوني الذي دعى إليه البابا « يوحنا الثالث والعشرون » ، وعقد اجتماعاته في أوائل السنتين من القرن العشرين . وقد مكن إلغاء تلك القائمة من رفع الحرج على المتسكين بتوجيهات الكنيسة . ومن شواهد ذلك إقبال الناس على شراء ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإيطالية التي صارت تباع في مكتبات شوارع روما بعد أن رفع الحرج عن باعتها .

١١ - عندما سمح " عدنان مندريس" رئيس مجلس الوزراء التركي في عهد " جلال بايار بالأذان والإقامة باللغة العربية . وسمح بتلاوة القرآن في الإذاعة ثلاثة مرات في الأسبوع . قامت قيادة السياسيين الأوروبيين ، وشنوا حملة شعواء على رئيس الوزراء وعلى الحكومة التركية يتهمونها بالتعصب الديني ، وطالبوها حكوماتهم ودولهم بفرض حصار إقتصادي وسياسي على تركيا لأنها أصبحت تشكل خطراً حضارياً ، وأن أوروبا تتمنى بعودة الشعب التركي إلى التغنى بصيحات الجهاد على أنفاس طبول الغزو والفتح ، ولكنهم بعد تلك الحملة العنيفة تقبلوا مندريس وحكومته على علاته عندما ضم تركيا إلى حلف الناتو ، وغفروا له ما كان من جرائم ملصقة به . ولكن اليهود لم يغفروا له ولم يهدأوا حتى رأوه في أرجوحة الموت (١) .

(١) شنق مندريس في ١٧ سبتمبر ١٩٦١م وشنق معه وزير الخارجية ووزير المالية في حكومته . ص ٢٠٨ من كتاب "أتاترک وحلفاؤه" .

١٢ - عندما أعلن رئيس جمهورية السودان المخلوع تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد وألزم المحاكم بقصد تبييض صفتة عند الشعب - بإقامة الحدود الشرعية أعلن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية "ريجن" أن الحدود الإسلامية تتصرف بقسوة لا تتفق مع الإنسانية ، وفي تطبيقها إعتداء صارخ على حقوق الإنسان ، وأنه بصفته ملتزم بتمكين الإنسانية من الإستمتاع بحقوقها فلابد له مطالبة حكومة السودان ورئيس الجمهورية السودانية بالغاء قرارها القاضي بإعمال الشريعة الإسلامية كقانون يوقف الجاني عند حده . وهدد السودان بإلغاء برامج المعونة المتفق عليه ، ولحت أبواقه إلى تخلي أمريكا عن الرئيس نميري (١) ما لم يلغ قراره .

١٣ - صرحت كنيسة الإصلاح الهولندية بأن الإسلام دين " زائف " (٢) .

(١) لم يلبث الشعب السوداني أن قام ثورة ألقت بنميري خارج السودان وخارج المعترك السياسي .

(٢) قالت الإذاعات العالمية صباح ١١-١٩٨٦ أن مظاهرات قام بها مسلمو جنوب أفريقيا احتجاجاً على ما صرحت به كنيسة الإصلاح الهولندية في جوهانسبروج أن الإسلام دين زائف ، وقد سقط بعض المتظاهرين برصاص الشرطة .

الفصل الثاني

ألبانيا

التسمية: عرفت في التاريخ باسم "إليريا" (١) حتى سنة ١٠٨٢ م ومنذ ذلك التاريخ شاعت تسميتها باسم ألبانيا.

الأرض: شريط ضيق يمتد على ساحل البحر الأدرياتيكي مقابل كعب الحذاء الإيطالي، ويفصل بينهما مضيق تارانتو، وطول ساحلها يصل إلى ٣٠٠ ميل بعمق يتراوح بين ٥٠ - ٨٠ ميلاً من الساحل.

المساحة: ٢٨٥٦٥ كيلو مترًا مربعاً. بعضها سهل زراعي خصب وأكثرها جبال وشعاب وليس هذه المساحة هي كل أرض ألبانيا فقد بترت منها أجزاء كثيرة أهمها:

- ١- مقاطعة كوسوفو KOSOVO التي ضمت إلى يوغسلافيا سنة ١٩١٩م (سنخصص لها بحثاً خاصاً بها عند الحديث عن ألبانيا ويوغسلافيا)
- ٢- مقاطعات في غرب Македونيا في شمال اليونان.
- ٣- شريط ضيق جداً متعرج ضم إلى بلغاريا وكان جزءاً من المقاطعة التي ضمت إلى اليونان.
- ٤- جزء من المقاطعة الجنوبية لألبانيا ضمت إلى اليونان.

الحدود : في الشمال الشرقي يوغسلافيا وفي الجنوب الشرقي اليونان وفي الغرب البحر الأدرياتيكي .

السكان : الألبانيون الأصلاء هم من إنحدروا من سلالة الإليريين الذين سكنوا أرض إليريا منذ العصر البرونزي الذي بدأ قبل ميلاد المسيح بـ ٢٧٠٠ سنة تقريباً واحتل الرومان بلادهم في القرن الثالث قبل الميلاد . ولم تتوقف ثوراتهم ضد الرومان الغزاة طوال قرنين ونصف ، ومع أن الرومان إحتلوا إليريا حقاً إلا أنهم لم يستطيعوا قط أن يهزموا روح الشعب الألباني وبخاصة سكان المناطق الجبلية وهم الكثرة الغالبة في السكان ، وفي القرن الرابع الميلادي إنقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى إمبراطورتين شرقية وغربية ، فكانت ألبانيا من نصيب الإمبراطورية الشرقية (بيزنطة) . وسكنت إليريا أعرق كثيرة بإعتبارها جزءاً من إمبراطورية شاسعة الأراضي تضم سلالات بشريّة مختلفة ، وشارك في تعدد أعراق شعب إليريا غزوات قامت بها قبائل الهون والقوط والأفاريين والسلافيين ، ومن مجموع هذه السلالات كانت التركية الرئيسية الديموغرافية لسكان إليريا ، يضاف إليها سلالات القبائل التركية قبل الفتح العثماني وبعده والقبائل العربية (١) التي دخلت إليريا بإعتبارها من رعايا الروم وهم قبيلة الفساسنة وبعض حلفائهم وجماع كل هذه السلالات هو مسمى اليوم الشعب الألباني . وقد اخترط دم الإغريق بدماء معظم هذه السلالات بحكم الجوار والإتصال الوثيق بين الشعبين زمن السلم عن طريق المصاهرة ، وزمن الحرب عن طريق الأسر والإسترقاق .

(١) اتصل المسلمون بالإليريين خلال الفتح الإسلامي لصقلية الذي استمر من ٨٢٤ - ١٠٧٢ م (المؤلف)

وإحتلها الصربيون والخرواتيون بين سنتي ٦٥٠ و ٦٠٠ م ثم إنقسمت إلى قسمين فالأجزاء الشمالية منها حملت إسم صربيا وأسم خرواتيا وإقتصر إسم ألبانيا على الجزء الجنوبي منها المتدلى إلى حدود اليونان ويبلغ عدد السكان وفق إحصاء ١٩٧٥ م ٢٧٥٢٣٠٠ نسمة (١) .

اللغة : تنتهي اللغة الألبانية إلى أسرة اللغات الهند/ أوروبية واتخذت صيغة مستقلة متقدمة من اللغة الإليرية التراقية (٢) وتتفرع إلى لهجتين رئيسيتين ، " الغيفو" وهي لهجة سكان شمال ألبانيا ، ولهجة " توسكو" وهي لهجة أهل الجنوب . وهذه اللهجة تغلب على الناطقين باللغة الألبانية من سكان جنوب إيطاليا ، والحد الفاصل بين المقطفين اللذين تشيع فيهما اللهجتان هو نهر شكومبى ، والمحادثون بإحدى اللهجتين أو كليهما يبلغون في ألبانيا ٢٧٥٢٣٠٠ نسمة . يضاف إليهم مليون ونصف مليون يتحدثون بها في إتحاد الجمهوريات اليوغسلافية ، ٧٪ منهم يتجمعون في مقاطعة كوسفو ويتحدث بها في اليونان ٣٠٠ ألف ، و ١٥٠،٠٠٠ في مقدونيا ، و ٧٠،٠٠٠ في تركيا و ١/٢ مليون في إيطاليا يعيش معظمهم في القرى البعثرة في مقاطعات "ابروتزي" و"بوليفيزى" و"بازيليكاتا" و"أبوليا" و"كالابرية" و"صقلية" و الجزر المحيطة بها وهي شائعة أيضاً في الجزر اليونانية الجنوبية بأعداد غير معروفة ، لأنها وإن كانت لغة قومية ثانية إلا أنها لا تحظى بإلاعتراف الرسمي ، ويتكلم بها مجتمعات صغيرة في كل من بلغاريا وباسارابيا و"أوكرانيا" وإن لم يعرف تاريخ دخول اللغة الألبانية إلى روسيا.

(١) National Geographic Magazine N°4 Volume 158 P.52
 (٢) HISTORIA N°313 Milano P.3 أمّة تراقيا كانت تقطن المناطق الواقعة بين الدانوب

و البحر الأسود و بحر مرمرة
 أمّة مراكب ذات بعض المناطق الواقعة بين الدانوب و البحر الأسود و بحر مرمرة

وفي أمريكا يتكلم بالألبانية عدد من المهاجرين من أبنائهما يقدرون بمائتي ألف، أما في استراليا فالألبيانيون يتجاوزون الستين ألف، أما البلاد العربية ففيها أعداد في كل بلاد منها ، بعضهم اكتسب جنسية البلد الذي يعيش فيه وتأسلم باكتساب عادات البلد ولغته وبعضهم إنقطعت صلته بالألبانية ولم يعيذذكر شيئاً عنها أو عن لغتها.

الدين (١) ذكر تقرير الإحصاء لسنة ١٩٤٥ م أن الإسلام هو دين الأغلبية المطلقة ويصل أتباعه إلى ٦٥٪ من الشعب ، يليه أتباع العقيدةالأرثوذوكسية وهم ٢٠٪، وتبين أن في ألبانيا مائتي يهودي و مائة بروتستانى ، وعندما ألغت الديانات سنة ١٩٦٧ م كانت توزيعات أتباعها كما يلى:

- ٨٠٪ من المسلمين (٢) و ١٢٪ أرثوذكس ، فيما نجد أن ٩٥٪ من المسلمين من السنة و ٣٪ ينتسبون إلى فرق إسلامية مختلفة وحوالي ١٪ علويون ، ونجد فرق البكتاشية

تزيد قليلاً عن ١٪ من مجموع المسلمين وهي فرقة تنتسب إلى الإسلام أصلها طريقة تركية انحرف بها القرمطي على الأعلى قبل أن ينتسب إلى ألبانيا بزمن طويل . واتباعها الألبانيون شدیدوا التمسك بها ويقدمونها على ما عداها من الفرق الإسلامية المنحرفة منها والصحيح على السواء . وتتخذ مشيخة البكتاشية من تيرانا مقراً دولياً لها وانتقل نشاطها من العلن إلى السرية عقب الإعلان عن إلغاء الديان.



مريد بكتاشي ألباني

(١) أعلن أنور خوجة سنة ١٩٦٨ م أن ألبانيا دولة ملحدة وحرم جميع الأديان ، وأعلن بالخصوص أن لا دين في ألبانيا إلا "الألبانيزم" تفصيلات هذا الإعلان في فصل لاحق (المؤلف).

(٢)منذ إعلان الإلحاد لم تصدر دولة ألبانيا أي إحصاء رسمي يتضمن نسب معتنقى الديانات. والنسب المذكورة إما سابقة لذلك الإعلان وإما هي تقديرية .

ويقول المستشرق اليوغسلافي الاستاد محمد موكافو (١) في بحثه المنشور في العدد ٢٢٠ من مجلة العربي الكويتية:

"قامت البكتاشية بتفسير العبادات والتکالیف الشرعیة على طریقتها الخاصة فقد أحلت العضو من تأدية التکالیف الشرعیة من صلاة وصوم وغيرها كما حلت له شرب الخمر وغيرها من المحرمات وفي مقابل هذا أقامت البکتاشیة تکالیفها ومؤسساتها الخاصة بها "التكیة"، التي خلت من القبلة، فاجتماعات الذکر والتذکر للمراتب المختلفة التي تنوب عن الصلاة كانت تتخذ شکل الدائرة بحيث يقابل كل إنسان وجه إنسان آخر وفي هذا يحتاج البکتاشیون على الاتجاه الى قبلة معينة إذ ليس لك أفضل من أن تقابل أو توجه ذاتك نحو إنسان آخر.

وعلى ما يبدو شجعت هذه الأمور - بالإضافة الى مناداة البکتاشیة الى وحدة الوجود - على قطاع من المسلمين ذلك الذي بقيت فيه روابط المسيحية حيث وجد في البکتاشیة حلّاً نوعياً يمكنهم من الجمع بين مسيحيتهم السابقة وإسلامهم المعلن ويضيف في فقرة أخرى من البحث : "وعلى نطاق آخر تمكنت البکتاشیة من أن تزيد درجة نفوذها بعد قيامها بالتعاون مع حركة "تركيا الفتاة" في إتجاه قلب السلطان عبد الحميد الثاني وقد كان هذا

وعن البکتاشیة يقول الباحث روبرتو فوروتسيرو كافي صفحة ٣٧ من كتابه شعب ودين في ألبانيا البکتاشیة تكون طريقة إسلامية تعتنق أفكاراً ومبادئ مخالفة لما يشيع غالباً بين مسلمي بلاد البلقان الخاضعة للإمبراطورية العثمانية ، وتعتبر ألبانيا تاريخياً وطن البکتاشیة الثاني التالي الإقليم الاناضول و تتارجح أعدادهم بين الخمسين ألف والمئتين ألف. ويقول صالح نیازی دیدی "شيخ البکتاشیة" أن عددهم في ألبانيا يبلغ سنة ١٩٣٣ مائتي ألف. "المؤلف" (١) الاستاد محمد موكافو يشغل رئيس قسم الاستشراق بجامعة بريشتنا عاصمة ولاية كوسوفو

التعاون مرشح البروز التقارب بين الحركتين ولاسيما أن بعض زعماء تركيا الفتاة (طلعت باشا واحمد رضا) كانوا ينتمون الى "البكتاشية" .

ويقول الأستاد موكافو في بداية بحثه :

".....أن البكتاشية عند مؤرخ تركي هي أكبر الطرائق المشغولة بإضلal المسلمين ، كذلك فإن البكتاشية ليست شيعية بل مشركة ولما لم تستطع إضلal اليهود والنصارى اشتغلت بإضلal المسلمين " .

وقد أشار الأستاذ ج . كايتانو (١) في كتابه تاريخ الحركات الدينية في البلقان أن البكتاشية مثلها مثل الحركات الدينية قامت في شكل أحزاب معارضة للحكم العثماني وتعاونت فيما بينها وأقتبست كل واحدة من مبادئ الأخرى وكان التعاون عميقاً بين البكتاشية والجمعية اليهودية السبتائية " جمعية الدونما " .

مصادر الثروة :

يعتمد الاقتصاد اللبناني على الزراعة بنسبة ٩٠٪٪ من الأراضي (٢) الزراعية تدار جماعياً، و٤٠٪٪ من مجموع الأراضي تكسوها غابات . ويصلح للزراعة الموسمية للحبوب ١٣٪٪ منها مراعي والباقي غير مستغل ، ومازالت الصناعة تخطو خطواتها الأولى ، وتشمل النفط والقطران وتعدين (الكرום) وصناعة الأخشاب وتعليق السمك كما تستغل

(١) ج . كايتانو : أستاد لتاريخ الأديان والعقائد بجامعة بيتساو هو من تلاميذ المستشرق الكبير الأمير كاتياني صاحب كتاب حوليات الإسلام .

(٢) National Geographic Vol : 168 P. 18

مساقط المياه ومسيلاتها في إنتاج الكهرباء التي تسد حاجة البلد بنسبة ٦٠٪ ، وتأتي إلى ٤٠٪ الباقي من المولدات الحرارية وما زاد عن حاجة البلد يصدر إلى يوغسلافيا ومن أهم مصادر الثروة تربية الحيوانات التي تصدر لحومها وتذبح جلودها ، وهناك صناعة (١) صغيرة تقوم على عصر الأعناب ، وتملیح الزيتون وصناعة التبغ .

المواصلات :

١- سكك الحديد : في ألبانيا ٣٠٠ كم من السكك الحديدية لا تتصل (٢) بأي خط حديدي خارج الحدود . ورصد في الخطة الخمسية السابعة مبلغ مضاعفة طول الخطوط مع الإستفادة من قوى الطلبة المتطوعين كجزء من مجدهم الذاتي .

٢ - الطرق :

ويبلغ طولها ٣٤٠٠ كم لا تتصل بأي طريق خارج الحدود وتشمل الخطة الخمسية السابعة مشروعًا مضاعفة طولها .

إحصاءات :

تضاعف عدد الشعب الألباني منذ سنة ١٩٢٣ ، وزاد منذ سنة ١٩٤٠ بنسبة ٧٠٪ كما يتضح من آخر إحصاء تم تحليله وهو الذي أجرى سنة ١٩٧٢ ، أما إحصاء ١٩٨٣ فلم يصدر عنه إلا تحليل مبدئي مجمل جداً ، وقد ظهر منه أن الزيادة السكانية تراوح بين ٤٪، ٢٪، ٣٪ في المدن ، و ٢٠٪ في المناطق الريفية وهذه الزيادة ظاهرة في المواليد بسبب تحسن مستوى الصحة الذي أدى إلى ارتفاع متوسط الأعمار إلى ٦٥ سنة ، بينما كان هذا

(١) Year Book 1983

(٢) في خريف ١٩٨٦ ربطت الخطوط الألبانية بالخطوط اليوغسلافية بأمر من الرئيس عليه(المؤلف)

المتوسط في سنة ١٩٣٨ أي السنة السابقة للاحتلال الإيطالي وللвойن العالمي الثانية هو ٣٨ سنة ، كما أظهر التحليل المذكور أن أكثر من ٤٥٪ من الشعب هم دون سنة ١٤ سنة ، ويشير التحليل إلى أن إرتفاع الوعي الصحي وتحسين أساليب التوليد ورعاية الطفولة والأمومة منذ الحمل إلى قبيل الفطام هي من الأسباب التي أعطت هذه النتائج الطيبة .

التعليم :

في سنة ١٩٤٠ كانت الأمية بين أفراد الشعب اللبناني قد بلغت ٨٠٪ ، أما الآن فقد إختفت بين الأطفال ذكوراً وإناثاً القادرين على التعليم ممن هم في سن التعليم الإلزامي ، كما تناقصت بين البالغين حتى تراوحت بين ٢٠٪ و ٣٠٪ إلى سن الخمسين ، ويلاحظ التدرج في تناقص الأمية كلما قربت إلى من هم في العشرين من العمر ثم تأخذ في التزايد حتى تصل ٣٠٪ أو فوقها بتحليل ملخصه في العقد الخامس من أعمارهم . أما من جاوزت أعمارهم الخمسين وبخاصة الإناث فنسبة الأمية بينهم عالية . وإن لم يذكرها التحليل على وجه التحديد ، أما فترة التعليم الإلزامي فهي ٨ سنوات ، يلتزم ذوق الطفل بقيده في المدرسة ، وتلتزم السلطة بتوفير الدراسة ومستلزماتها إبتداء من الحضانة لمن هم في الثالثة من أعمارهم إلى الرابعة ، ثم رياض الأطفال للستين الرابعة والخامسة ، فإذا بلغ أول السادسة الحق بالسنة الأولى من التعليم الإلزامي الذي يستمر ٨ سنوات ويقبل منهم المتفوقون جداً في المدارس الثانوية التي تعدهم للمرحلة الجامعية ، والمبرزون منهم في ختام الدراسة الجامعية يمكنون من التعليم العالي أما الذين ينجحون في المرحلة الإلزامية ويحصلون على درجات متوسطة فينقلون إلى معاهد ثانوية عالية ، أما طبقة التلاميذ التي تليهم من حيث الإمكانيات العقلية أو بسبب الميل إلى الجانب العملي فتسجل في معاهد فنية سنائي

على تفاصيلها في فصل لاحق .

أما الجامعة فيها كليات سبع هي الهندسة والعلوم السياسية والجيولوجيا والتاريخ والإconomics والطب والعلوم الطبيعية ولا يوجد لكلية الشريعة أو كلية للاهوت بسبب إلغاء الأديان ، كما لم تنشأ كلية للحقوق لعدم الحاجة إليها ، إذ أن التقاضي محدود جداً ، أما القضايا السياسية وقضايا الحق العام فهي قليلة إلى الحد الذي لا يحوج إلى إنشاء كلية لتخريج محامين أو وكلاء نيابة أو قضاة ، وتوجد شعب صغيرة جداً لتخريج حاجة البلاد من هذه الفئات في الكليات العسكرية كما تدرس بعض القوانين التجارية ونصوص الاتفاقيات التجارية في كلية الاقتصاد دون أن تنشأ لها شعب تحمل أية تسمية.

التعليم العام :

كان في البلاد - حتى قيام الحرب العالمية الأولى - أقل من ستة آلاف تلميذ أما طلبة المرحلة الجامعية فقد بلغ عددهم ١٦٠٠ طالب يدرس معظمهم في جامعات أوروبا ويدرس القليل منهم في معهد على مستوى جامعي عرف باسم المدرسة العليا مقره مدينة تيرانا تحول فيما بعد إلى جامعة تيرانا . ويدرك تقرير عن إحصاء ١٩٧٠ . أن $\frac{3}{4}$ مليون من الألبانيين لهم صلة بالعملية التربوية منهم ٧٢٥,٠٠٠ (١) تلميذ وطالب ، وما يقرب من ٢٤,٠٠٠ مدرس ومحاضر ، ومن بين الـ ٧٢٥,٠٠٠ تلميذ وطالب يوجد ٥٠,٠٠٠ طفل في مرحلة ما قبل المدرسة ثلثهم في دور الحضانة والباقي في الرياض (٢) والرياض والحضانات معتمدة في جميع

Tomorrow you Die P.40 (١)

Tomorrow you Die P.41 (٢)

أنحاء البلاد ولا تخلو منها أقصى القرى الريفية والجبلية ولها هدفان أولاهما الرعاية الصحية من حيث التحصين في مواعيده و خاصة ضد الأمراض السارية و ضد أمراض الرضع ، و ضد شلل الأطفال ، والرعاية الطبية والإعداد الذهني والنفسي والعضوي لتلقي العلوم في المدرسة في أوانها ، والهدف الثاني هو إتاحة الفرص للأمهات للمشاركة في الإنتاج وفي النشاط الاجتماعي ، كما أنها تتيح الفرص لخبراء التربية العقائدية لزرع المبادئ السياسية في عقول الأطفال الغصة بأسلوب مدرس من قبل خبراء في علم النفس التربوي ، كما يتعلمون أولى خطواتهم العسكرية مع بداية دخولهم للروضة وتدفع الأسرة ٤٠٪ من تكاليف العناية بأطفالهم في دور الحضانة وفي الرياض وتتحمل الدولة الباقي .

تعليم الكبار :

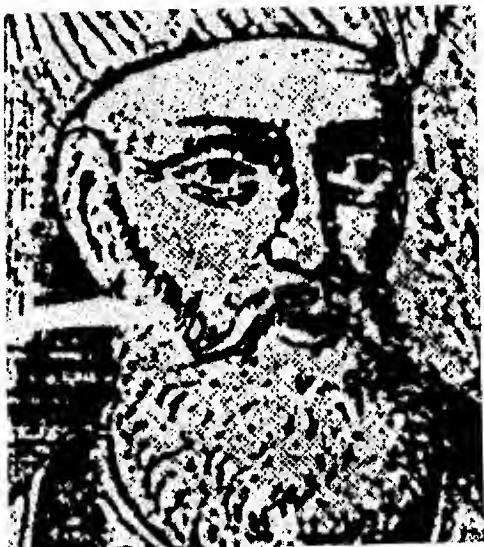
إن متوسط فترة تعليم الكبار يبلغ ٨ سنوات دراسية أي أنه مساو لفترة مرحلة التعليم الإلزامي ، ويختلف عنه قليلاً في المنهج وفي خطة الدراسة ، و ١/٧ الملتحقين بهذا النوع من التعليم يحصلون على دراسة ثانوية تنقلهم إلى معاهد فنية عليا ، منها كليات جامعة تيرانا والمعهد الأعلى للزراعة والمعهد العالي للفنون ومعهد إعداد المعلمين وغيرها من المعاهد العليا التي بلغت سنة ١٩٧٢ ٢٥ مركزاً ومعهداً مخصصاً جميعها للبحوث في علوم الاجتماع والتكنولوجيا والطبيعة وغيرها من الميادين التي تدعو إليها الحاجة غير أن الدراسة في الميادين الثلاثة التي ذكرناها هي دراسة مستمرة . أما المعاهد الأخرى فتفتح إذا دعت الضرورة لفتحها ويؤم هذه المعاهد ٢٨،٠٠٠ طالب ، ٦٠٪ منهم عمال يمارسون تعليمهم في ساعات تتخلل فترة العمل الرسمية ، وفي السنوات الأخيرة أعطيت الأولوية لتدريب العمال من هذه الفئة للتخصص في الزراعة وفي تهجين الحيوان . أما منذ سنة ١٩٧٩

. فقد تم التركيز على صناعة التعدين واستخراج المواد الأولية من مناجم النحاس والكروم وال الحديد والنikel والفحمر الحجري والفوسفات والملح الحجري والرخام والأسباستوس ، مع العلم بأن ألبانيا تنتج ١/٨ نحاس العالم وبها مكامن بترولية وإن لم يعرف بعد هل بها كميات يمكن أن تستغل تجاريًّا أم لا ، من أهم صناعاتها إنتاج المخصبات الزراعية الكيماوية التي تنتج منها ٣٣٠،٠٠٠ طن (١) سنويًا ، ويشرف على هذا الإنتاج خريجو أقسام المعاهد المذكورة .

شذرات من تاريخ ألبانيا :

كانت ألبانيا تشكل الجزء الجنوبي من إليريا^(٢) وهو إسم كان يطلق على مجموعة من الأراضي تمتد من إمارة دلاتيا في المنطقة الجبلية الواقعة في جنوب النمسا والشمال الشرقي لإيطاليا ، والشمال الغربي ليوغسلافيا وتمتد جنوباً حتى حدود اليونان ، وتشمل شبه جزيرة إستريا وكل يوغسلافيا وألبانيا ومقدونيا ، وإستمرت هذه الأرضي متحدة حتى نهاية الحكم الصربي في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي ، حيث اقتصر هذا الاسم (ألبانيا) على أراضي ألبانيا بحدودها آنذاك المشتملة على جزء كبير من جمهورية الجبل الأسود الحالي ، وعلى معظم مقدونيا ، وقد تعاقب عليها الغزاة ومن بينهم الدلاتيون وفي سنة ٤٤٦ م حكمها الصربيون والكرواتيون وتتابع عليها الغزوة حتى أخضعتها بيزنطة لحكمها في القرن الحادى عشر ، وفي مستهل القرن الرابع عشر إستولت عليها امبراطورية الصرب مرة أخرى ، وفي عام ١٣٨٥ م إحتلتتها الجيوش العثمانية ، وتمكن كبار القادة العثمانيين من إكتساب ولاء الألبانيين المسلمين

حتى قربهم السلاطين العثمانيون ووثقوا بهم ولوهم أعلى المناصب في تركيا نفسها بما في ذلك الصداررة العظمى (رئاسة الوزارة)، ومن أشهر من تولى رئاسة الوزارة العثمانية "محمد باشا كوبرولو" الألباني وذلك سنة ١٦٥٦ م.



وفي سنة ١٦٦١ توفي السلطان جلس ابنه محمد الرابع على العرش، وكان حديثاً صغيراً فتولى محمد كوبرولو (١) الوصاية على السلطان الصغير، وتقديرأً لخدماته منح لقب نبيل مع حق أسرته في وراثة اللقب، وعقب تخليه عن الصداررة العظمى تولاها ابنه "فاضل زاده أحمد كوبرولو" مع ملاحظة أن الوصاية على السلطان الصغير والصادرة العظمى هما أعلى مناصب في الدولة بعد السلطنة. وتلاهما مصطفى فاضل كوبرولو، فتولى الصداررة العظمى بعد وفاة والده. وقد إعتمد العثمانيون إعتماداً كبيراً على العنصر الألباني فعينوا قواد الجيش وأمراء البحار من بينهم، وعينوا منهم حكام الولايات ومن أشهر هؤلاء الحكام محمد على مؤسس الأسرة التي حكمت مصر منذ سنة ١٨٠٥ حتى أسقطت ثورة ٢٣ يوليه آخر ملوك هذه الأسرة الألبانية أحمد فؤاد ابن فاروق، وذلك سنة ١٩٥٣.



(١) قائمة الترافق الإيطالية صفحة ٤٨٤ الملحقة بمجلة Storia Illustrata

تسمية ألبانيا بهذا الإسم وأسبابه

كانت سنة ١٠٨٢ م . نقطة تحول مهمة في تاريخ ألبانيا ففي هذه السنة سقط ميناء "دورازو" في أيدي النورمانديين القادمين من جنوب إيطاليا وبخاصة من صقلية ، وتخليداً للمقاومة الباسلة التي جوبه بها الغزو النورماندي - والتي حمل عبئها الأكبر قبائل الألبانيين - إستعمل اسم ألبانيا لكل أراضيها بحدودها التي تضم أراضي ألبانيا الحالية والأجزاء التي بترت منها وسبق ذكرها آنفا ، ولم تمض عقود قليلة من السنين حتى نسى الناس إسم "إيليريا" .

وكان لألبانيا تاريخ حافل في مقاومة الغزو الأجنبي والإحتفاظ بوحدة أراضيها حيث شاء حظها أن تكون مدخلاً لشبه جزيرة البلقان وممراً لجيوش الغزاة صعوداً وهبوطاً ، ولم تستقر السلم فيها طيلة تاريخها، فهي دائماً في حروب داخلية أو مقاومة غزو ، ومن أشهر معاركها المعركة التي خاضتها بقيادة "اسكندر بيرج" أشهر قوادها العسكريين فهو الذي هزم الجيوش التركية في عهد السلطان العثماني مراد الثاني، غير أن تلك الهزيمة حفزت السلطان العثماني محمود الثاني إلى شن حملة سنة ١٤٦٧ م أخضعت ألبانيا خصوصاً كاملاً لسلطان الأتراك . وإذا إستثنينا هجوم جيش جمهورية البوسنة واحتلالها لميناء دولازو ، فإن ألبانيا قد خلصت للعثمانيين ثانية منذ في سنة ١٥٠١ تاريخ سحق العثمانيين لجيش جمهورية البوسنة ، ومنذ ذلك التاريخ استقر الحكم العثماني في ألبانيا جميعها دون انقطاع حتى سنة ١٩١٢ .

دولة البانيا

اضعافاً لل المسلمين حيثما هم سعت قوى كثيرة الى تشجيع شعوب البلقان على الانفصال عن الامبراطورية التركية واعدة إياها بأن تقدم لها الدول الأوربية المال والسلاح والمتطوعين والاعتراف الفوري باستقلالها حال انفصالها عن تركيا . ولوحت لها بالأمل القريب في أن تصبح دولاً مستقلة منسجمة مع بقية الدول الأوربية التي كانت ممالك دستورية سنة ١٨٧٠ ليس بها سوى جمهورية الاتحاد السويسري وجمهورية سان مارينو ، وتعداد سكان هذه الأخيرة ١٥،٠٠٠ نسمة وأخذت تلك الشعوب تنفصل بالفعل عن تركيا واحدة بعد أخرى ، واستقل أولها وهو شعب اليونان سنة ١٨٢٩ . وتتابعت بقية الشعوب في الانفصال عن تركيا حتى لم يبق منها إلا الشعب اللبناني . واختارت شعوب البلقان المستقلة في القرن التاسع عشر النظام الملكي الدستوري وبحثت عن ملوك يتسلمون عروشها من بين امراء الأسر المالكة في أوروبا ، وهي أسر تجمع بينها روابط الدم والمصاهرة ، ولم يشذ عنها سوى مملكة الصرب وامارة الجبل الأسود ، إذ اختارت الصرب ملكاً من اسرة صربية شهيرة واختار الجبل الأسود أحد حفدة أسقف من الجبل الأسود بالغ النفوذ على شعبه ليكون أميراً على اماراة الجبل ، ولكن ذلك الأمير لم يلبث أن أعلن نفسه ملكاً ، غير أنه كان لسوء حظه أول ملك على الجبل الأسود وأخر ملك له . أما القوى التي سعت لاضعاف المسلمين فقد جاهر بعضها برأيه بتنصيب أمير مسيحي على البانيا (١) والبعض

(١) في أثناء إحدى ثورات المسيحيين ضد الحكم العثماني عرض الثوار عرش البانيا على الأمير كارلو عمانويل من أسرة سافوفيا ولم يتم تتويجه حتى قضى العثمانيون على الثورة سنة ١٥٨٢ م بعد أن دامت عدة أشهر .

عن كتاب La Politica dell' Italia in Albania P . 13

الآخر قدم دعماً مالياً وسياسياً واعلامياً وعلى رأس ذلك البعض أسرة . باتشيلي . وهي أسرة ذات نفوذ عظيم في دنيا الدين والمال والسياسة في ايطاليا وأوربا ، ومن أشهر ابنائها البابا « بيوس الثاني عشر » وتدخل بعض القوى في مغامرة تعيين أمير مسيحي علناً تحدياً منه لقوى المسلمين وبخاصة البلد الاسلامية التي رشحت الأمير عمر طوسون ليكون أميراً على البانيا مستندة في ترشيحه الى أنه ابن عم خديوي مصر عباس حلمي الثاني والى أنه ينحدر من أسرة محمد على الابانية التي تحكم مصر آنئذ ، وأصلها من مدينة قوله الابانية ، والمحظى القوى الأوربية سراً وعلانية بأنها لن تتمكن الشعب اللبناني من العيش مستقلاً إلا إذا قبل تنصيب أمير مسيحي ليحكمه ، وان تنحصر وراثة عرش البانيا في عقبه من الذكور .

وزيادة في ارباك الامبراطورية العثمانية ، نجحت القوى المعادية لها في تحريض شعوب البلقان على محاربة تركيا . ومن غرائب التاريخ أن أول من أعلن الحرب على تركيا هي امارة الجبل الأسود . التي يقل تعداد شعبها آنئذ عن عشر الجيش التركي .

كشفت حرب البلقان ضعف تركيا وخاصة بعد انحسار الحكم العثماني عن كل أراضيها في أوربا . إذ لم يبق لها إلا سلطة اسمية على اسطنبول وقطعة ضيقة من الأرض تحيط بتلك المدينة المتصلة بالاناضول عند القرن الذهبي . أما الشعب اللبناني المسلم في غالبيته فكان الشعب الوحيد من بين شعوب البلقان الذي ظل على ولائه لحكامه من اللبنانيين الذين حكموه باسم العثمانيين منذ فتح الاتراك البانيا سنة ١٤١٥ ، وباستثناء الحركة التي قادها المرتد " اسكندر بيرج " سنة ١٤٦١ ، لم تقم أية حركة انفصالية جادة ، لم تتمكن الدول الأوربية والهيئات العاملة في خدمتها من دونمية ومامسونية

ومافي حكمها من نشر الفتن بين الالبانيين والاتراك إلا في سنة ١٩٠٣ ، عندما تمكنت من العثور على من بعثوا حركة تنادي باستقلال البانيا عن تركيا ، انتهت في خريف سنة ١٩١٢ إلى تمكن اسماعيل بك كمال فلورا أحد قادة المنادين بالانفصال عن تركيا من جمع الاحزاب السياسية الالبانية في هيئة واحدة عرفت باسم " الرابطة الالبانية " وكان أول أعمالها هو صدور إعلان في مدينة فالونيا يشهر استقلال البانيا وتكوين دولتها ...وسرعان ما بلغ صوتها ندوة السفراء الأوروبيين المنعقدة آنئذ في لندن ، فاصدرت من جانبها بлага نصه إن البانيا أصبحت دولة مستقلة عن تركيا مؤكدة بذلك إعلان استقلال البانيا الذي أذاعه اسماعيل بك باسم الرابطة الالبانية قبل ٢٦ يوماً من إذاعة بلاغ ندون السفراء ، إذ اقتضت تدابير الثوار الالبانيين المتواقة مع تدابير الدول الغربية استغلال انشغال الجيش التركي في حربه ضد جيوش ايطاليا المهاجمة للبيضاء في خريف سنة ١٩١١ اضافة الى انشغاله في مدافعة جيوش شعوب البلقان المتحدة ضد تركيا ، وهي شعوب البلغار والصرب والميونان والجبل الأسود و كان أمير اللواء انور باشا الارناؤوطى قائد الجيش التركي في جبهة الجبل الأسود قد اضطر إلى الاستسلام في ظروف لا تدعوا لذلك الاستسلام أدى إلى اعفائه من قيادة ذلك الجيش ، مما جعله يتضمن إلى " الرابطة الالبانية " التي اختارته رئيسا للدولة الالبانية الجديدة ، غير أن عيون المصممين على الأحكام البانيا إلا عاهم مسيحي لم يكن ليحول أي شيء بينها وبين الوصول إلى غايتها ، إذ لم يلبث أنور باشا الارناؤوطى الرئيس الالباني الجديد أن أغتيل في باريس ، ولم يمكن في الرئاسة إلا أشهرا معدودات .

ودخلت " الرابطة الالبانية " في حوار سري مع القوى الأوربية وبخاصة الامبراطورية البريطانية والامبراطورية النمساوية المجرية التي سبق لها أن أعلنت حمايتها للكاثوليك من الالبان وانتهى تامر الجميع باصدار قرار

اتخذته القوى الأوربية يوم ١٢/٢١ ١٩١٣ نصه "البانيا هي إمارة ذات سيادة يحكمها عاهل مسيحي".

أمير البانيا المسيحي

كما أشرنا أعلنت الرابطة الالبانية استقلال البانيا في ١٩١٢/١١/٢٤ واختارت أنور باشا الأرناوطي رئيساً للدولة الالبانية ، ولكنه اغتيل بعد أشهر قليلة من توليه سدة الرئاسة ، فاضطررت الرابطة الالبانية الى الدخول في حوار سري مع القوى الأوربية وبخاصة مع الامبراطورية البريطانية والامبراطورية النمساوية وانتهى حوارهما باصدار تلك القوى الأوربية الكبرى القرار الذي سبق ذكره . ووقع اختيارها على الأمير " غليوم" ولIAM دي فيد من اقارب امبراطور المانيا ليكون أميراً على البانيا .

ومن نافلة القول أن نقول ، أن الشعب الالباني لم يكن يعرف من هو ولIAM هذا بل أنه لا يعرف أن ترشيح هذا الأمير بُرز في أثناء المباحثات الدبلوماسية في ندوة سفراء الدول الأوربية التي أشرنا إليها ، وأن الشعب الالباني قد أغفل رأيه عمداً في اختيار ذلك الأمير ، ومن الناحية العملية يبدو أن لا أحد من الأمراء ذوي المكانة يرغب في أن ينفي نفسه في البانيا حيث يكون من السهل أن يتلقى رصاصة تذهب به وبإمارته ، وحيث لا يوجد أي أثر لأي نوع من الحياة الغربية .

ففي السادس من فبراير ١٩١٤ قبل الأمير ولIAM تاج ولقب صاحب السمو ولIAM الأول أمير البانياً متسلماً سلطة الدولة يوم السابع من مارس التالي ، وفي الخامس من سبتمبر في نفس عام ١٩١٤ غادر الأمير ولIAM

البانيا و معه زوجه الأميرة صوفيا ولداهما ماريا وكارلو فيتوريو الأراضي الالبانية بعد أن حكمهما ٢٠٤ أيام . وهكذا عاد الأمير وليام إلى بلاده خائباً و ماتت فكرة تنصيب أمير مسيحي على شعب غالبيته العظمى مسلمة ، كما ماتت فكرة تنصيب الأمير عمر طوسون لعجز الدول الإسلامية آنذاك على ايساله إلى عرش إمارة البانيا . ولم يعد الأمير وليام إلى البانيا قط غير أنه لم يتنازل عن عرش امارتها وإن استمر طيلة حياته يطالب بذلك العرش . حتى وفاته سنة ١٩٤٥ ، في مدينة سينايا برومانيا .

بقيت " الرابطة الالبانية" تدير شئون البلاد على وجه ما ، وعند إعلان النمسا للحرب على مملكة الصرب في نهاية يوليو سنة ١٩١٤ بقيت البانيا على الحياد حتى اضطر جيش الصرب ومعه عدد كبير من المدنيين الصربيين إلى التراجع عبر الأراضي الالبانية أمام جيش النمسا الذي واصل تتبع الصربيين المنهزمين غير مراع لحياد البانيا بل بسط سلطانه على معظمها طيلة السنتين الأولين للحرب العالمية الأولى و في نفس الوقت احتل جيش اليونان الأقليم الجنوبي من البانيا بينما احتفظت ايطاليا برأس جسر بطول الساحل الالباني ، سوى أنه ما أن انتهت الحرب العالمية ، وفرضت الدول المنتصرة شروطها على النمسا المهزومة حتى استعادت البانيا استقلالها بحدودها سنة ١٩١٣ (١) ومع ذلك فان البانيا وإن استعادت استقلالها واراضيها فقد بقيت تعمها الفوضى التي انتشرت في ارجائها منذ بداية حكم الأمير وليام ، إذ لم تقم فيها أية حكومة وطنية قوية بل قامت حكومة البانيا بدعم من يوغوسلافيا وايطاليا ، واتخذت من مدينة ميناء دورازو مقراً لها ، فلم تحظ بأي تأييد قومي ، وانهارت بعد أشهر قليلة ولس الناس

(١) D.D. KOSTICH. P. 80

خلالها عجزها عن رعاية مصالح البلد والعباد ، وتنادي القادة السياسيون القبليون والرجال البارزون في الهيئات الدينية ، وعقدوا مؤتمراً وطنياً في بلدة لوشنو اجتمع رأي المشاركين فيه على تشكيل أول حكومة الابانية عصرية ، باشرت واجباتها في يناير سنة ١٩٢٠ (١) واتخذت بلدة تيرانا مقراً لها ، وكان أول قراراتها اعتبار " تيرانا عاصمة مملكة الابانيا " [سبق للرابطة الالبانية أن أقرت أن النظام في الابانيا هو نظام ملكي دستوري وإن لم يكن لالبانيا ملك بعد] واختارت أحد شيوخها البارزين وصيا على العرش إلى أن يتم اختيار الملك .

توالى اعتراف الدول بالحكومة الجديدة ثم قبلت عضواً في عصبة الأمم (٢) ويزد في تلك الفترة تياران سياسيان قويان تجاذباً النفوذ السياسي في البلاد ، أولهما يمثل طبقة البكوات الذين يستمدون نفوذهم من القبائل التي يقودنها ، ويعارض أولئك البكوات أي تحديد لالبانيا يؤدي إلى تفتت الأرضي إلى ملكيات صغيرة ، كما يعارضون أي تحديد لالبانيا عن طريق التطوير الثقافي والاقتصادي . وثاني التيارين واصغرهما حجماً هو حزب الشعب وينتسب إليه الارثوذوكس والكثير من غربيي الثقافة ، غربيي التفكير الذين يرون أن سلامة الابانيا ورخائها ينحصران في انسياقتها وراء الغرب ، ومن أبرز زعمائه الاسقف الارثوذوكسي " فان نولى " أول رئيس وزارة الاباني تولى الرئاسة لفترة قصيرة قبل وصول الأمير ولIAM ، فلما جاء تعاون معه تعاوناً وثيقاً ، وكان يغدر بصداقته للولايات المتحدة ، ويزاحمه على زعامة حزب الشعب شاب سياسي ضابط سابق بالجيش بعد أن لعب دوراً سياسية وعسكرية زمن الحرب العالمية يدعى أحمد زوغولي " بك " .

I.B.D P.83 (١)
IBD (٢)

أحمد زوغو بك (١) : سيد الباانيا طيلة عقدين من السنين

ولد احمد زوغولي (١) بك سنة ١٨٩٥ لأب أسرة غنية من كبار ملوك الاراضي والمتزعم لقبيلة عظمى من القبائل الجبلية المعروفة باسم قبائل "ماتي" تخرج من المدرسة الحربية باسطنبول وخدم بضع سنوات ضابطاً في الجيش التركي . كان زوغولك رهينة منذ حداثته في العاصمة التركية ضماناً لاستمرار ولاء والده للباب العالي " اجاد التركية والالمانية بجانب الالبانية وتدرّب في تلك العاصمة الكبيرة على الاساليب السياسية السائدة بين طبقة النخبة التركية كما أحاط بطرق وأساليب تحديد الدولة لكثره ما استمع اليه من أحاديث ومحاضرات دوام على القائهما اعضاء جمعية الاتحاد والترقي وأعضاء جمعية تركيا الفتاة ، ويقول مؤرخو سيرته أنه أتقن الألعيب السياسة الأوربية وبراعتها في الدس والكيد ، وقضى زوغو بك العشرين شهراً الأولى من الحرب العالمية يعد كتاباً الباانيا من شباب قبائل ماتي الجبلين استعداداً لتحرير الباانيا من محتليها ، سواء أكانوا بقايا المتعاونين مع الأمير ولیام أم من أحتل اراضيها من قوات أجنبية من صرب ونساويين ومجريين وايطاليين ويونانيين ، ودرج على مصادقة أي جانب من المتحاربين يظهر استعداداً للاعتراف باستقلال الباانيا ، وقد حاولت النمسا ضمه الى جانبها فلما يئست من اخلاصه لها احتالت على نقله الى فيينا . ولما وصل العاصمة النمساوية في أوائل سنة ١٩١٧ وجد نفسه في ضيافة جبرية عند حكومتها استمرت حتى نهاية الحرب ، وهكذا قضى السنين

(١) " زوغولي " تعني الملق أو المرتفع حولها محبوه من اتباعه الى زوغو وتعني الطير وحولها هو بدوره بعد توليه الملك الى زوغ ومن معانها " النسر " المؤلف .

الأخيرتين من سني الحرب العالمية في العاصمة "النمساوية" (١) غير أنه لم يضع تلك السنتين هباء بل التحق بالمدرسة الحربية في فيينا واستكمل تكوينه العسكري والسياسي ، وتدرب على الحياة الاجتماعية الأوروبية . أما طباعة الشخصية فقد كيّفها عاملان أولهما نشأته في بيئه اسلامية وثانيهما ثقافة شرقية تركية الابانية يخالطها الكثير من الثقافة الالمانية وال التربية العسكرية النمساوية الصادقة ، وهي طباع تدفع صاحبها الى المثابرة على تحقيق أهدافه المرسومة في شجاعة المؤمن بالقضاء والقدر الأخذ بالاسباب العلیم بالطرق الموصولة الى الغایة مع علم مبين بما تحت يده من قدرات حقيقية وتقدير لما يحيط به من ظروف . هذا هو أحمد زوغو بك الرجل الذي القى القدر بين يديه مقدرات الابانيا منذ نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٩ .

لقد تسلق أحمد زوغو بك سلم السلطة في بلاده منذ أن اختاره مؤتمر زعماء القبائل الالبانية المنعقد في مدينة لوتشيني سنة ١٩٢٠ وزيرًا للداخلية في أول حكومة عصرية لالبانيا ، ولكنه لم يلبث أن صار رئيساً لتلك الوزارة في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٢ ، واستمر في الرئاسة حتى يونيو سنة ١٩٢٤ ، وفي تلك السنة عانى هزيمة انتخابية نتيجة مؤامرات الاسقف فانتولى منافسه على السلطة . وعقب محاولة انقلاب مخففة اضطر زوغو بك إلى اللجوء إلى يوغوسلافيا ، وفي اثناء اقامته في بلغراد ظهرت مواهبه غير العادية في التنظيم وكانت لاتقل عن مواهبه السياسية ، ففي فترة قصيرة للغاية أعد تنظيم تدخل عسكري يقوم به رجاله الجبليون بعد أن سلّحهم بأسلحة يوغوسلافية ، وضم اليهم بقية الجيش الالباني الذي سرح بعد نهاية الحرب ، وعاد على رأس هؤلاء الى الابانيا يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٤ .

واستعاد السلطة من حكومة الاسقف الارثوذكسي في بضعة أيام ومارس الحكم في البانيا باعتباره رئيساً للجمهورية وقائداً عاماً للجيش ، وواصل حكمه حتى سنة ١٩٢٨ . واصدر خلال تلك السنوات دستوراً حول البانيا الى دولة شديدة المركزية موحدة الشعب بعد أن قضى على الخصومات القبلية والتحزب الديني وفي نفس سنة ١٩٢٨ نادى به البرلمان ملكاً على الالبانيين وليس ملكاً على البانيا بحدودها الدولية آنذاك توطئة منه لاستعادة مقدونيا وكوسوفو والاقليم الجنوبي الذي اغتصبه اليونان ، إذ كان زوغو بك يخطط لتوسيع مساحة البانيا في ذات الوقت الذي كانت فيه حليفته ايطاليا تستعد لاتهام البانيا كلها .

لم يصل زوغوبك الى قمة السلطة في بلاده بسهولة ، كما لم يكن خاملاً متواكلاً بل كان ذكياً مقداماً في حذر ، متسامحاً مع من لا يهد التسامح ضعفاً ، ذا ارادة صلبة ، كما أنه لم يصل الى المكانة العالية التي وصلها إلا بعد ان استطاع أن يتغلب على عقبات كأداء أخطرها : عدم يأس دول أوربية من تنفيذ قرارها بتنصيب أمير مسيحي على البانيا ، ومن نتيجة سعيها المتواصل للحؤول دون فرصة قيام الدولة الاسلامية الوحيدة في أوروبا . ومن تلك العقبات الظروف الدولية غير الملائمة ومؤامرات جيران البانيا الطامعين في اقتطاع اجزاء أخرى من أراضيها ، ومن أخطر ما واجهه من صعاب مؤامرات كمال اتاتورك الخفية ضده وقطعه للعلاقات السياسية معه ، وحرمان الشباب الالباني من الانساب الى الجامعات التركية ، كل ذلك انتقاماً منه لتزويجه أخته سنية زوغو من الأمير محمد عابد ابن السلطان عبد الحميد خان الثاني ، وذلك سنة ١٩٣٦ (١) . أما ايطاليا التي اغرقت

زوغو في الديون باقراضها له ملايين الليرات الذهبية فكانت تمد له شباكها حتى حان الحين ، ونضجت خطتها فاستولت على الباانيا دون أن تسيل من جيشه نقطة دم واحدة وان لم تهنا باحتلالها لالباانيا إلا مدة تقل عن السنين .

ألبانيا الإسلامية

عندما إرتد جبلة بن الأئم عن الإسلام أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفر للاحتماء في دمشق ، فر معه قومه مسلّهم ومشرّكهم إستجابة للعصبية القبلية وحافظ المسلمون على عقيدتهم رغم اخفاهم لها.

وبعد هلاك جبلة انتشر الغساسنة في أنحاء الإمبراطورية البيزنطية ولسبب لم يتضح تاريخياً استقر عدد منهم في ألبانيا التي كانت جزءاً من الإمبراطورية البيزنطية في ذلك الوقت ، ونشروا الإسلام بين جيرانهم من الألبانيين ، ويدرك كتاب تاريخ (١) العلوين أن الناطقين بلغة " توسكو" هم من ذرية أولئك العرب الرواد الذين استقروا في ألبانيا مسلّهم ومشرّكهم ، أما النسبة القليلة من العلوين التي لاتجاوز ٢٪ من مجموع المسلمين فالمعتقد أن بعض العلوين المقيمين في سوريا نقلوا مبادئ هذه الفرقة إلى ألبانيا في أوائل عهد الحكم العثماني ، وعلى الرغم أنه ليس بين الأتراك من علوين . فالمعلوم أن بين ألبانيي ألبانيا الحالية وألبانيي كوسوفو نسبة ضئيلة من العلوين ، وكما ذكرنا فقد تم اخضاع ألبانيا للحكم العثماني منذ القرن الخامس عشر حتى نهاية العقد الأول من القرن العشرين عندما ثارت ألبانيا ضد الحكم العثماني بتحريض من اليونان والألمان البروتستانتيين " ورومانيا والنسما الكاثوليكين والكنائس الكالفينية في سويسرا ، واضطررت تركيا المشغولة في حرب مع إيطاليا عند غزوها لليبيا ، فضلاً عن مكافحة الإضطرابات التي شاعت في أراضيها في البلقان واليمن وغيرها إلى الإسراع بالإعتراف باستقلال الشعب الألباني ، قامت على إثر إعلانه

(١) محمد غالب الطويل تاريخ العلوين ، دار الأندرس بيروت ص 101

حكومة (١) متغيرة لم تتمكن من الاستمتاع بالاستقرار إلا بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩٢٠م ، تولى رئاسة الوزارة لتلك الحكومة ضابط كبير في الجيش يدعى أحمد زوغو تمكن من إيجاد وحدة بين مختلف طوائف الشعب ، وفوت على جيران ألبانيا أطماعهم فيها ولكنه أغرقها في قروض من الدول ، وخاصة تلك الدول الطامعة في الهيمنة على ألبانيا وعلى رأسها إيطاليا التي أقرضت ألبانيا ٥٠ مليون ليرة ذهبية . وفي سنة ١٩٢٨م أعلن أحمد زوغو نفسه ملكاً عليها واستمر متربعاً على عرشها إلى يوم أن غزتها إيطاليا في ١ أبريل ١٩٣٩م وطردت زوغو عن عرশها ونودي بملك إيطاليا " فكتور عمانويل الثالث ملكاً على ألبانيا وحمل لقب ملك إيطاليا وألبانيا وإمبراطور الحبشة . أثناء الحكم التركي كانت القومية مرتبطة بالعتقد الديني ، فالمسلم تعنى التركي والألباني المسلمين وجميع رعايا الخلافة المسلمين إن وجدوا في ألبانيا ، واليوناني تعنى أتباع الكنيسة الأرثوذكسيّة يشتّوّي في ذلك المسيحي الألباني وغيره من رعايا الخلافة من أتباع تلك الكنيسة ، والروماني تعنى أتباع الكنيسة الرومية الكاثوليكية ، الألبانين وغيرهم من يدينون بالثلثة ، وكان كل منهم يكتب بالخط السائد بين أتباع ملته ، غير أن الصراع بين هذه الطوائف كان على أ شده بين مؤيدي الأبجدية العربية المستعملة آنذاك في كتابة اللغة التركية واللغة الألبانية بشطريها (غيفو وتوكسو) من قبل الألبانين المسلمين وبين مؤيدي الأبجدية اليونانية التي يناصر الكتابة بها أتباع الكنيسة الأرثوذكسيّة ومؤيدوهم ، وهم يعارضون الكتابة بالحروف العربية والحروف اللاتينية التي ينادي بإستعمالها أتباع الكنيسة الرومية الكاثوليكية . وفي النهاية إنتصر

الرأي المؤيد لاستعمال الأبجدية اللاتينية سنة ١٩٠٨م في كتابة شطري اللغة الألبانية بفعل التأييد من عامة المسيحيين الكاثوليك . عملاً منهم بموقفهم الساعي إلى فصل الألبانيين عن غيرهم من المسلمين من عرب وعجم توطئة لإلتهامهم كما سيأتي في الصفحات اللاحقة . ومنذ إعلان كمال أتاتورك (١) فصل الدين عن الدولة إتجه الألبانيون إلى الدراسات الدينية (٢) في المعاهد الإسلامية في سوريا ومصر (٣) وتونس والمغرب والجزائر على تفاوت شديد بين أعداد الوافدين إلى كل بلد من البلاد المذكورة ، وإشتهرت ألبانيا برسوخ الإسلام في قلوب مواطنها ، فبالرغم من حملات التنصير وحملات الإغراء لم يتحول الألباني عن الإسلام إلا فيما ندر ومن هذه الحالات النادرة اعتناق إسكندر بيرج للمسيحية بعد إسلام ، وشرحنا الدوافع السياسية والعسكرية لذلك التحول ، وإذا كان أنور خوجة قد ألح وقرر أن يحول ألبانيا والألبانيين إلى الكفر بعد الإيمان فهو مخفق لا محالة وقد إعترف هو بهذا الإخفاق عندما قال أن المعركة مع الدين ستكون طويلة وشاقة ومعقدة ، ومما يؤكّد إخفاقه في واقع أمره رغم خداع المظاهر القصّة التالية التي رواها لي أحد زعماء المهاجرين المقيمين في باري ... قال المهاجر نظم قسم الثقافة الحزبية سلسلة محاضرات مستمرة تشرح خطأ الدين وتبيّن أن الشيوعي المخلص لم يلده يجب عليه أن ينفر من حوله من الدين ليتحرر من قيود الدين وكان أنور خوجة يلقى بنفسه بعض هذه المحاضرات كلما سينحت

(١) يقول أسامي العيتاني الأديب اللبناني أن في اسطنبول جماعة من المسلمين الأتراك أصلهم من اليهود اعتنقوا الإسلام ظاهرياً وبقوا متمسكين بيهوديتهم الهامة يعرفون بالدونما ، ومقرهم الأساسي في سلانيك يعتزون كثيراً بكمال أتاتورك ويعتقدون أنه منهم وحاجتهم أن أتاتورك أسفّر عن نياته ضد الإسلام منذ أن تولى الحكم ورسخت أقدامه فيه .

(٢) قرر أتاتورك ورفاقه التخلص من القيود الدينية فأوقفوا الدراسات الدينية مما جعل الطلبة الألبانيين يتوجهون إلى البلاد العربية لتحصيل العلوم الدينية .

(٣) عاصر المؤلف الطيبة (الوافدين) إلى الأزهر بالقاهرة سنة ١٩٣٧م وقد جاوز عددهم المائة .

الفرصة ، وفي أحد لقاءاته بالشباب الجامعي الذين استقبلوه بالهتاف والتصفيق سمح لهم بالجلوس واستعد لإلقاء كلمته وفي ذلك السكون الذي يسبق كلمة زعيم خطير كأنور خوجة إرتفع صوت أحد الحاضرين ممزقاً الصمت بالهتاف الخالد " وحدوا الله " فانطلقت الحناجر بما اعتادت أن تجib به على ذلك ال�تاف مجيبة في صوت واحد .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

لم تتخذ السلطة أي إجراء خلافاً لما يتوقع الإنسان في مثل هذه الحالات ، ويظهر أن خوجة خشى أن أي إجراء قد يزيد الموضوع إنتشاراً ويشجع الأغلبية الصامتة على الجهر بالمعارضة فألقى محاضرته وخرج وتوقف الأمر عند هذا الحد .

ولاجرم في أن تتحقق كل محاولات تكفير الألبانيين فمنذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً عرف الألبانيون الإسلام وإن لم ينتشر فيها إلا بعد سنة ٨٤٠ م عندما أخذت السفن الإسلامية تجوب البحر الأدرि�اتيكي وتحرر موانئه من سيطرة البيزنطيين عندما كانتألبانيا مازالت هي ويوغسلافيا جزءاً من إليريا .

ومنها انتشرت الثقافة العربية الإسلامية في جميع أرجاء جزيرة البلقان ووصلت إلى شواطئ بلغاريا على البحر الأسود وشاعت الكتب الإسلامية في جميع أرجاء البلقان ، فلما تنصر حاكم بلغاريا وصار أول حاكم مسيحي لها كتب إلى البابا نقولا الأول رئيس الكنيسة البيزنطية يسأله الرأي فيما

يجب فعله بالكتب العربية الإسلامية الكثيرة العدد التي تنتشر بين أفراد شعبه فتلقى منه الرد التالي :

"أنتم تسألونني عن الكتب السارشينية (العربية) المنتشرة بينكم . وأنا أقول لكم . لا تحافظوا عليها لأنها تسبب لكم الفساد في الدين ، وحيث أنها ضارة بدينكم ودنياكم فألقوا بها في النار " (١)

ونصيحة البابا هذه دليل قاطع على مدى إنتشار الكتب العربية في البلقان إلى الحد الذي استشعرت بيزنطة خطرها على عقول عامة رعاياها . ولعلمنا بمدى بطيء إنتشار الحركة الثقافية في ذلك الزمان الذي لم يعرف المطبع ولاوسائل النشر الحديث ، فضلاً عن قلة عدد من يقرأ ويكتب بالنسبة لعامة السكان ، فلا يمكن عقلاً أن تنشر تلك الكتب ذلك الإنتشار الذي شعر(٢) به رأس الكنيسة البيزنطية إلا إذا كان قد مر زمن طويل على إتصال شعوب البلقان بالثقافة العربية الإسلامية ولنقل قرنين من الزمان أو تزيد وهي نفس الفترة التي انقضت منذ أن تبعت الغساسنة ومن معهم من عرب في أرجاء الإمبراطورية البيزنطية .

(١) جريدة الدعوة الإسلامية الصادرة في ٣٠ أكتوبر ١٩٨٥ م

(٢) جريدة الدعوة الإسلامية الصادرة في ٣٠ أكتوبر ١٩٨٥ .

الإسلام في ألبانيا اليوم

في سنة ١٩٦٧م أُعلن أنور خوجة إعتناق ألبانيا للحاد رسمياً وحرم الإسلام وهو دين أكثرية السكان كما حرم الديانات الأخرى وهي المسيحية بمختلف مذاهبها ، واليهودية مع قلة عدد أتباعها ، وحطمت الصليبان كما حطمت شعارات الكنائس والجوامع كافة وكذلك المعابد الأثرية . وحولت أمكناة العبادة على اختلاف عقائد أصحابها إلى دور ترفيه أو دور للثقافة الحزبية أو دور للخيالة والرياضة أما زوايا الصوفية والتکايا وأضرحة الأولياء فتحولت إلى مساكن أو أماكن للتدريب على الحرف بعد تغيير مظهرها الخارجي بإزالة الأهلة والكتابات والزخارف المميزة مثل هذه المباني ، فإن تعذر محو مظهر المبني الديني سواء أكان رباطاً أم تكية أم زاوية أم مسجداً أم جاماً أم كنيسة أم معبداً أم ضريحاً واستمر يرمز لفكرة التبعد لأي دين أحرق المبني أو قوض دون النظر إلى الإعتبارات الأثرية أو الدراسات العلمية أو التاريخية إلا ماندر ، وهكذا إختفى أكثر من ألفي مسجد وكنيسة ومعبد ، وأهلك عدد كبير من أئمة المساجد ومشايخ العلم وعدد أكبر من المتصوفة ومن الرهبان والمطارنة وبعض كهنة الغجر ومن تبقى من كل هؤلاء إنبعاثهم في معسكرات العمل الإجباري ، أو معسكرات الإعتقال ، ثم وحد المقابر "فموتي المنطقه الواحدة يدفنون في مقبرة موحدة دون اعتبار لمعتقداتهم الدينية أو لصلة أو لتقالييد " وهذا التوحيد شيء طبيعي بعد أن زالت الفروق الدينية بين الموتى ، بإلغائها (١) .

وترص القبور في صفوف ذات أشكال هندسية ودون زخارف أولوحت

(١) من كلمة أنور خوجة التي أُعلن فيها توحيد المقابر سنة ١٩٦٧م .

رخامية أو شارات دينية ، ويتم الدفن على نفقة البلدية بآيدي عمالها مجاناً دون حضور أحد سوى الأقارب الأدرين ، ولا يتم الدفن في ساعات العمل الرسمية لأن ألبانيا أولى بذلك الزمن بدلاً من قصائه في المجاملات ، وذلك طاعة لشعار الحزب القائل " العمل والإجتهد والتfanي " والسير في الجنائز يتنافى مع التfanي في طاعة الحزب في سبيل ألبانيا .

ومنذ أن أعلن خوجة أن دين الشعب الوحيد يجب أن يكون " الألبانيزم " (١) أي لامعبود إلا ألبانيا ، تحول عقب هذا الإعلان ألفا مسجد اسلامي وكنيسة كاثوليكية وأرثوذكسيه وبعض المعابد الأخرى إلى أماكن مهجورة مقلفة حولت فيما بعد إلى ملاعب رياضية ودور تسليه وأحرق ماله يتغير معاله . ولو أن عشر إنتاج ألبانيا من الإسمنت خصص لبناء البيوت والمكاتب لما إضطر خوجة إلى تحويل المعابد إلى ملاهي ودور الثقافة السياسية الحزبية وهي الحجة التي تحجج بها في تحويل المعابد إلى دور لهو أو مخازن أو غير ذلك من الأغراض غير الدينية ، لأن إنتاج إلا سمنت مخصص كله لبناء المخابئ الحربية إذ الحزب في خوف دائم من غزو الجيران سواء في الشمال والجنوب أو في الشرق والغرب ، ويعتقد زعيم الحزب الشيوعي الألباني أن هؤلاء الجيران يدعمهم تشجيع من جشع الغرب الرأسمالي ومن نهم الشرق الشيوعي الإمبريالي " ، مع أن الألباني العادي يقول أن شدة طمع جيراننا جميعاً يغبنهم عن أي حد خارجي للعمل على إحتلال ألبانيا ، وهم يرون أن تحويل ألبانيا إلى دولة لا دينية لا يلغي رغبة الدول المجاورة في إحتلالها حتى التي يغلب فيها أتباع الدين المسيحي كاليونان وكذلك تلك التي يكثر فيها المسلمون كيوغسلافيا ويودون جميعاً

(١) من خطاب ألقاه أنور خوجة في ديسمبر ١٩٦٧ في الجمعية التشريعية الوطنية شرح فيه أسباب قراره بإلغاء العقائد الدينية .

بعد الأنف أن تزول الدولة الوحيدة في أوروبا التي توصف بأنها دولة مسلمة ، وعلى الرغم من أن أنور خوجة وأعوانه هم الوحيدين في العالم الذين يخرون بأنهم أنشأوا دولة ملحدة ، " وستظل ملحدة حتى ولو تغيرت السلطة الشيوعية " ، فهم يعتقدون أنهم زرعوا (الإلهاد) في قلوب الأجيال القادمة بأسلوب ماركسي لينيني أصيل " ستعجز جميع الآلهة عن إقتلاعه من تلك القلوب الطاهرة " ؟ واتبع هذا القرار بالتشدد في محاربة الشعائر الدينية لأي دين ولم يسمح بإقامتها حتى في المنازل . والقلة من الشيوخ الذين يمارسون أي شعائر دينية يمارسونها في خفاء شامل كما أن غياب المساجد والمعابد الأخرى وإنقطاع الأذان وأجراس الكنائس حرم أصحاب العقائد مما يذكرهم بموعده العبادة ، كما أن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقرؤة لا تشير إلى أي دين إلا في موقع الذم والتسيفي والتحقير، وكذلك الخيالة لا يمكن أن تعرض فلما أو شريطاً يحوي أي مظهر من مظاهر الإحترام لدين ما ، وفي المرات القليلة التي استقبل خوجة بعض رجال الدين كالبطريرك ديمتروف(١) أسقف إسطنبول ، فقد استقبل بإعتباره شخصية كبيرة من شخصيات الدولة التركية . وكذلك عندما زارها كاردينال مبعوث من البابا ستقبل بإعتباره ممثلاً للفاتيكان لا باعتباره كاردينالاً من كبار الكرادلة . وما زال طلب من مشيخة الأزهر للسماح ببعثه أزهريه رسمية بزيادةألبانيا ينتظر البت فيه من قبل السلطات الألبانية .

وقد بدأ أنصاره الحملة ضد زعماء جميع العقائد والأديان في فبراير ١٩٦٧م عقب خطبة له ، واعتدوا خللاها على الكنائس والمساجد والمعابد الأخرى في طول البلاد وعرضها . وحول أكثرها إلى أغراض " أكثر جدوى

(١) ديمتروف الأول أسقف إسطنبول في الكنيسة الأرثوذكسية .

"للمجتمع" فلعب الشباب الكرة الطائرة تحت قبة كاتدرائية مدينة سكودرا ، أما الدير التابع لها فصار مقرًا للشرطة السرية . وفي نفس السنة ألغى القانون المنظم لشؤون الديانات والمرافق الدينية والأوقاف ، وتم تحريم القيام بأي عبادة مهما كان نوعها وأصدرت الأوامر للمسيحيين بحرق أناجيلهم والمسلمين بحرق مصاحفهم ، ثم أعلن أنور خوجة أن ألبانيا هي أول شعب ملحد على وجه الأرض . وفي سبتمبر ١٩٦٨م سمعت إذاعة تيرانا تنشر على الملاً أن المسيحيين مازالوا يجتمعون سرًا ، وأضاف المذيع أن أمرهم سيسوي ، وبعد فترة أذاعت نفس الإذاعة أنه مازال من المسيحيين المتطرفين عدد قليل من الفرانشيسكان بلغ بهم التعصب حد مقاومة التعليمات الجديدة . وقد وضع هؤلاء المتعصبين في براميل مغلقة ودحرجت من المرتفع ل تستقر في قاع البحر^(١) . وأعلن أنور خوجة أمام مؤتمر الجبهة الوطنية الديمقراطية أن المعركة ضد التقاليد والديانات المتبعة التي استقرت جذورها في ضمائر أفراد الشعب ، هذه المعركة لن تنتهي إلا بعد إجتثاث هذه الجذور" وسيذكر التاريخ أن ألبانيا هي أول دولة في تاريخ البشرية ينكر المسؤولون فيها بصرامة وجود الإله ، ويعملون بقسوة شديدة على محق أي رمز أو تعبير عن أي عقيدة دينية ، وبالغ في هذا الأمر حتى وصل إلى اللغة الألبانية فطهرها من المصطلحات الدينية غير المرغوب ، فيها وفي ٢٦ نوفمبر ١٩٦٨ شرع في تصفية الرهبان الكاثوليك الأجانب بحججة أنهم كانوا طليعة الاحتلال الفاشي ، ثم أتبع الرهبان بزعماء الكاثوليك الألبان ، ومن لم يقتل منهم وعجز عن الفرار اعتقل أو سخر للخدمة

(١) دخل رهبان الروم الكاثوليك من طائفة الفرنشيسكان ألبانيا سنة ١٢٥٠م، كتاب "غداً ستموتون" "TOMORROW YOU DIE".

انصب تطهير اللغة على جميع المصطلحات الدينية بحذفها من القواميس وتحريم ذكرها إلا مصحوبة بالذم والتحقير (المؤلف).

الإجبارية .

وفي ٤ مارس ١٩٧٦م أذاعت تيرانا أن ألبانيا قد وافقت على تعديل دستوري نصه : " كل والد يتعين عليه تنشئة أبنائه دون أية عقيدة دينية " والأحوال الشخصية ستكون وفق الصالح العام " .

وهو نص دستوري أضفى شرعية على القوانين واللوائح التي صدرت من قبل التعديل الدستوري المذكور والمطبقة بالفعل منذ ١٩٦٧م رغم أن الدستور كان يتضمن مادة نصها : " جميع المواطنين متساون بقطع النظر عن سلالتهم أو عقيدتهم " . وقال أنور خوجة لتبرير هذا التعديل الدستوري أن الدين لم يزل يزاول في المسجد والكنيسة والمعبد . إذن فالمعركة ضد العادات والتقاليد والمؤسسات الدينية والتي لها جذور عميقة في ضمائر شعبنا ، لم تأت نهايتها بعد . إن معركتنا معها ستكون معركة قاسية ، طويلة . معقدة ، غير أن الشباب ضعيف الإحساس بالدين وهذا مما يقوى أمامنا في الانتصار " . ونشرت جريدة " ديلي تلغراف " يوم ٢٥ أبريل ١٩٦٤م بлагаً أصدره الفاتيكان حول إعدام الراهب الكاثوليكي الأب " أسكورتي " مع فريقه من أهالي أبرشيته كانوا قد فروا إلى يوغسلافيا طلباً للنجاة من الملاحقة ولكن الحكومة اليوغسلافية سلمتهم إلى حكومة أنور خوجة فنفذت فيهم حكم الإعدام في ٢٦ نوفمبر ١٩٦٨م ، ومما شجع أنور خوجة على تبني العنف الذي لا يعرف حدوداً ضد معارضيه ضد من لا يرى رأيه ، عصف ستالين بخصوصه مثلما فعل بتروتسكي عندما أرسل إليه من هشم ججمته بمطرقة حديدية ، وكما فعل بخمسة ملايين روسي في القرم لم يكونوا يستسيغون سياسته فرحلهم إلى بقعة تبعد أميلاً كثيرة جداً عن موطنهم الأصلي ، كما أن حملات التطهير الشهيرة التي أودت بحياة مئات الآلاف

من الرؤوس التي تختلف ستالين في فهمه لتعاليم ماركس ، وقتل خمسة ملايين أوستة ملاميin روسي خلال حكمه الذي إمتد من يناير ١٩٢٤ م إلى ١٩٥٣ م ، ولما كان ستالين هو القدوة العظمى لأنور خوجة فقد ترسم خطاه في نفي معارضيه وتعذيبهم وقتلهم إذا خشى خطرهم كما فعل برئيس وزرائه شيخو ، وزير دفاعه بكر بالوكو ، وزيرة الشؤون الإجتماعية ليري جاغا ، وعدد من زهرة ضباط الجيش الذين شك في ولائهم لشخصه ، ومن نافلة القول : الحديث عن إفناه للعلماء والمشايخ والتصوفين والرهبان والقسيسين والنساك والراهبات وكهنة الفجر وجميع من تمسك بعقيدته الدينية .

أنور خوجة وحزبه يجاهران بالإسلام من الإسلام

من أهم أسباب " علمنة" كمال أتاترك لتركيا بعد إستيلائه على السلطة إعتقاده ، أن أكثر ما ينقم الأوربيون على تركيا هو تمسكها بالإسلام ، وجود الخلافة في عاصمتها إسطنبول ، التي كانت عاصمة للمسيحية لقرون طويلة ، فالغاتها كعاصمة وإتخذ من قرية صغيرة في شمال الاناضول تدعى أنقرة ، عاصمة جديدة . ولم يلبث أن ألغى الخلافة ، ثم فصل الدين عن الدولة ، ثم فصل الأتراك عن ماضיהם عندما يستبدل بالأبجدية العربية التي كانت تكتب بها اللغة التركية الأبجدية اللاتينية ، وبهذا التدبير لم يعد أتاترك مضطراً لإحرق الكتب التركية مهما كانت موضوعاتها متعارضة مع سياساته ، مما إن انفرض الجيل قادر على قراءة وكتابة اللغة التركية بالحروف العربية حتى تحقق الفصل بين التركي المحدث وتاريخه ماضيه

وثقافة أجداده وخلق حاجزاً بينه وبين القرآن (١) الكريم . وهو الهدف الأساسي في كل هذه العملية الصعبة . فكمال أتاترک يعتقد أن الأتراك إذا إنسلخوا من الإسلام فستزول أسباب حقد الغربيين عليهم فهل زال حقاً ؟ وأحس أنور خوجة بنفس الإحساس فكان أجرأً على الإسلام من أتاترک ، فلم يقتصر على فصل الألباني عن الإسلام كما فعل كمال ولكن أعلنه إلحادا فاجراً صريحاً ، ولم يتغىظ بالإخفاق الذي واجهه خطوة كمال . ولا بالإخفاق الذي تجرع مراته أنور باشا وزملاؤه من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين رأوا سعيًا منهم لتفصيف حدة كراهية أوربا لتركيا أن يطيحوا بالنظام الذي توهموا أن أوربا تركز كرهها فيه (٢) فقاموا بحركتهم التي أدت إلى إرغام السلطان عبد الحميد على منح الدستور وتكوين برمان ثم إنتهوا إلى عزل عبد الحميد سنة ١٩٠٨م (٣) ، غير أن الدول لم يكن هدفها النهائي هو عبد الحميد ونظامه ، ولكن هدفها الحقيقي كان القضاء على تركيا وإقتسام أراضيها نفسها لا إقتسام أملاكها فحسب ، فبعد أن حقق أنور ورفاقه هدف تلك الدول في إذلال السلطان عبد الحميد ثم عزله ، تظافرت ضد أنور ونورى وكاراباكيير وغيرهم من أساطين جمعية الاتحاد والترقي . واستغلت النمسا ضعف تركيا المزمن والحالة الدولية المضطربة ، فبسقط سلطانها الكامل على ولالي "البوسنة" و"الهرسك" كما وجدت إيطاليا في ذلك الوضع المضطرب ذريعة للإستيلاء على ولاية طرابلس في شمال أفريقيا

(١) سعى إلى إحلال الفاظ طورانية في اللغة التركية محل الألفاظ العربية التي شاعت فيها عقب دخول الترك في الإسلام واشتغل في ذلك حتى غير لفظ الجلالة [الله] بحيث لا تذكر لا في الشهادتين ولا في غيرهما وإنما على التركي أن يستعمل لفظ "تانري" TANRI بدلاً عن لفظ الجلالة "الله" ، أي المعبود أو الإله (المؤلف)

(٢) جمعية الاتحاد والترقي والسلطان عبد الحميد رمضان صيام حميد أبواصح ٢٦ ص ١٠٢ .
L. SALVEMINO La Fine del Sultano Rosso Pavia. (٣)

. وقام رجل اليونان القوي "فينزيلوس" بتشكيل رابطة البلقان التي إستهدفت إخراج العثمانيين من البلقان جميعه ، وبالتالي إقصاءها عن أوروبا ففي سنة ١٩١٢م وجد العثمانيون أنفسهم مجبرين على مقارعة إتحاد قوى مكون من دول اليونان وصربيا وبلغاريا ومملكة الجبل الأسود الذين وجدوا مقاومة ضعيفة من تركيا . وقد تقدم المنتصرون حتى أدرنة" وعند إحتلالها بدأ الصراع فيما بينهم وكانت النتيجة حرباً بلقانية ثانية في سنة ١٩١٣م وكانت الحرب هذه المرة بين اليونان والصرب والجبل الأسود ورومانيا في جانب بلغاريا في الجانب المقابل . ولاشك أن هذه الحرب قد أنقذت وضع تركيا في أوروبا . فاستردت تركيا أدرنة" ثم وقعت مع الدول التي تحاربها معااهدة الصلح في "بوخارست وقد أرغمت تركيا على أن تتخلى عن مقدونيا التي قسمت بين اليونان والصرب وبلغاريا . كما أبدت موافقتها على إستقلالألبانيا فقد احتفظت بالقسطنطينية ومساحة صغيرة في الجانب الأوربي بما في ذلك أدرنة .

وعداء أوروبا لتركيا ولسلمي شبه جزيرة البلقان وما حولها يرجع إلى ما قبل الحروب الصليبية وما زال هذا العداء يعيش في قلوب بعض ضيقى الأفق من المسيحيين ، كما أنه ما زال وسيلة سمسرة يلجأ إليها بعض محترفي السياسة عندما يريدون إستشارة دهماء العوام ليتحققوا من وراء هيجانهم أغراضًا لاصلة لها بالدين ولا بالسبب الظاهر الذي استغلوه في تحريك عواطف العامة ، ومنذ إضطرار بايزيد باشا كره مصطفى لرفع حصاره عن فيينا سنة ١٦٨٣م إستمر المتعصبون من مسيحيي أوروبا يحاربون المسلمين بكل الوسائل التي تقع عليها أيديهم حتى تمكنا من إحتلال ٩٠٪ من أراضي المسلمين ، بما في ذلك تركيا نفسها ، وإن لم يدم إحتلالهم لها إلا أشهراً معدودة ، وقد أخذ الحكام المسلمون يفكرون في

كيفية التخفيف من حقد الغرب على الإسلام ، ولعل أسوء ما خطر لأحدهم هو الخاطر الذي دفع أنور خوجة إلى إعلان إلحاد ألبانيا ، لعل في إصلاحها من الإسلام ما يخفف نسمة الأوربيين عليها ، ولكن خاب ظن أنور خوجة فقد خسر دينه ، وضل هو وأرغم جميع الألبانيين على الضلال ، وإن لم يضل إلا قلة منهم . لكنه لم يربح رضا أوربا ، ولارضا المسيحيين المتعصبين .

إذن لم تنجح خطة خوجة بالإصلاح من الدين في تهدئة مخاوف من يحيط به من مسيحيين ، وضارع إخفاقها إخفاق خطة مصطفى كمال أتاترك الذي رأى في تخلي تركيا عن الدين الإسلامي سبباً مقنعاً لأوروبا لتنسى حقدها على الإسلام وال المسلمين ، ولقد ألدَّ أحدُّ أنور خوجة كما أوقف كمال أتاترك العمل ب تعاليم الإسلام من قبله ، ومع ذلك فلم يؤدِّ هذا إلى أي نتيجة مما كان قد تصوره الزعيمان "المتأوريان" ولم يعتبرا بما حدث للزعيم الهندي سير ميرزا غلام أحمد الذي اعتقد أن التقرب من المستعمر الأوربي وتحوير معاني الإسلام بما يرضي المستعمر ينسيه الحقد ، وبالغ في ذلك حتى أصدر فتوى بتحريم الجهاد ضد الانجليز بالهند . ومع تأييد الانجليز السياسي لغلام أحمد والاغداق المادي عليه ، فقد بقى دائماً ذلك الهندي المستعمر الذي لا يمكن أن يرتفع مهما علا شأنه إلى مستوى الانجليزي الأصيل ، وكذلك أنور خوجة لم يفده إصلاحه من الإسلام بل جمع عليه ازدراء أوربا واحتقار المسلمين .

كما أن خوجة لم يتعظ بتاريخ البانيا منذ استقلالها إلى أن تزعمها هو ، ولم ينتبه إلى أن الحقد الديني بقى يوجه سياسة أوربا ضد الإسلام

وال المسلمين ، والى أن هذا الحقد نفسه هو الذي دفع زميله في مقاومة الاحتلال دولتي المحور ليوغسلافيا وهو العقيد " دراجا ميخائيلوفيتش" ومليشيته أن ينتهز فرصة انشغال الجيش الالماني في معارك الحدود ليهاجم على المزارع والقرى الاسلامية في البوسنة والهرسك بعامة وفي خرواتيا وخاصة فعاثت عصاباته في مواطنיהם المسلمين اليوغسلافيين غصباً وسلباً وقتلاً وتشريداً . فهلك بنيران وأسلحة ميخائيلوفيتش وعصابته مائتا الف شهيد ويقدر الهلكي من المرض والجوع والبرد بمائتي الف نسمة أخرى ، ولو لا تدخل مفتى فلسطين (١) في ذلك الوقت لدى السلطات الالمانية والايطالية وخاصة في المساعدة على تكوين فرق دفاع من الشباب اليوغسلافي المسلم ليعمل على حماية المسلمين اليوغسلافيين لاستئصلت عصابات ميخائيلوفيتش كل مسلم في المقاطعات الثلاث ، وما إن نزل جيش الدفاع الاسلامي (مائة الف مسلم) حتى فرمي ميخائيلوفيتش وجنوده الى مخابئهم في الجبال . ولم يلبث تيتو أن استغل جرائم ميخائيلوفيتش التي أرتكبها ضد المسلمين العزل واستثمرها في إستصدار الحكم بإعدامه ، فأعدم كما سيتضح في فصل لاحق . أن خوجة يعرف أن انحسار الحكم العثماني سنة ١٩١٣ عن معظم أراضي تركيا الاوروبية وضعفها الشديد مكن الدول الاوروبية من إعادة رسم خريطة دول البلقان بعد أن اعلنت كل من المانيا والنمسا وبريطانيا وفرنسا استقلال البوسنة عندما تأكدت من إخفاق مساعيها السرية المكثفة للحيلولة دون قيام دولة مسلمة في أوروبا ، ومع ذلك فقد أضطررت اوروبا للاعتراف بقيام البوسنة المسلمة بعد أن سارعت تركيا الى منحها استقلالها ، ولكن الحقد المسيحي لم ييأس فسعى لنسخ اسلامها بتشجيعه لحزب سياسي يقوده اسقف ارشوذكسي نجح في حكم البوسنة مدة تقارب سنوات

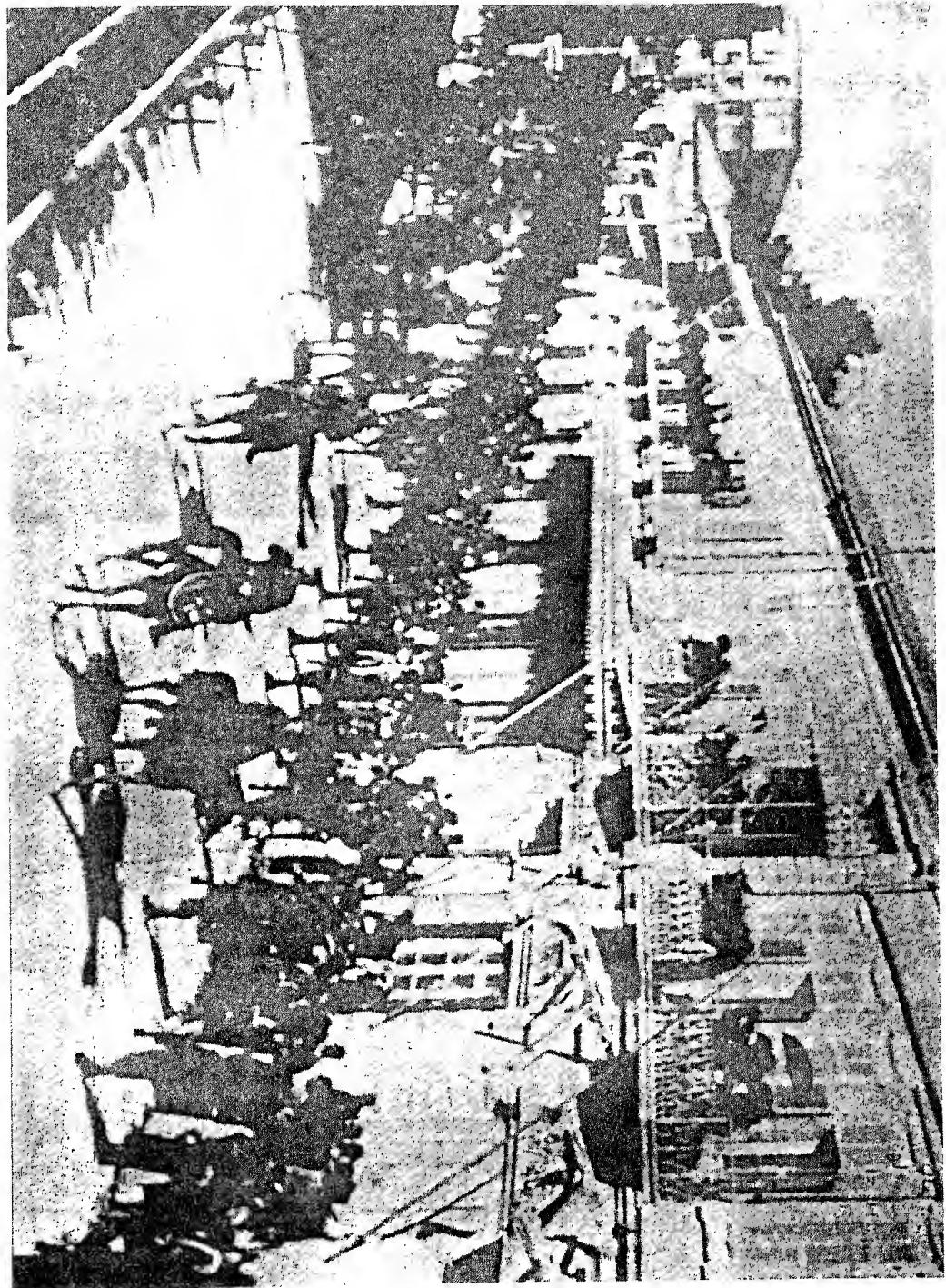
(١) محمد الغزالى . مع الله . دراسات في الدعوة والدعاة . ص ٢
 (٢) نفس المصدر

أربع ولكن أى حكم !!! .

وأشتد الصراع الخفي فإيطاليا الطموح ترى أن البانيا هي جزء من نصيتها المشروع في اشلاء تركية الامبراطورية العثمانية المحتضرة ، وترى اليونان جارة البانيا أن الجارة أحق بالشفعة ، وترى صربيا وحلفاؤها الصقالبة انهم هم المنتصرون حقاً في حربهم ضد العثمانيين ، وبالتالي فهم أولى بهذه الغنيمة ليحلقوها بما سبق أن أقسموها من أرض تركية ، خاصة وان روسيا تبالغ في تأييد صربيا ، أما المانيا زعيمة الحلف الثلاثي فلا تتفق معهم إلا فيما يتعلق بحربهم ضد العقيدة الاسلامية (١)، ورُشح فلهيم الثاني امبراطور المانيا ابن عم له لينصب أميراً على البانيا . ولم تجاوز مدة حكمه ٢٠٤ أيام لأن ايطاليا الطامعة في بسط نفوذها على البانيا عملت على تأخير تسليمها للسلطة حتى قامت الحرب العالمية الأولى فأضطر الأمير إلى العودة إلى بلده خائباً . وماتت مؤامرة تنصيب ملك مسيحي على شعب مسلم ، وإن لم تمت الفكرة نفسها فقد طبقت في السنغال (٢) وهاهي تطبق في الكاميرون كما سبق أن طبقت في بلد عربي منذ سنة ١٩٤٣م، ولما عجزت أوروبا المتعصبة عن تنصيب ملك مسيحي لم تثبت أن صنعت ملكاً للألانيا لينفذ سياستها ويتوافق على مخططاتها ، كما أوضحنا عند الكلام على أحمد زوغو ، والذي لم يخيب أمل من صنعوه وخاصة عندما تزوج أميرة مجرية مسيحية لتنجب للعرش الالباني ولليأ للعهد تربيه أم مسيحية،

(١) عند دخول الجنرال الانجليزي "المبي" القدس سنة ١٩١٩م قامت الافراح في المانيا حلية تركيا بإعتبار إنتصاره على تركيا المسلم هو نصر للمسيحية يجب على المانيا أن تشارك فيه مع أنها مشاركة في حرب ضروس ضد بريطانيا كتاب . محمد الغزالى . مع الله . دراسات في الدعوة والدعاة . ص ٤١٥

(٢) تولى "ليوبولد ستغور" حكم السنغال منذ استقلاله حتى عام ١٩٨٤م وهو ابن لأسرة مسلمة تتصر على يد البعثة التبشيرية التي تعلم على يدها . المؤلف .



الجنرال اللنبي لدى دخوله مع قواته إلى القدس

عرفت بتعصبها ، في حجر أب نصيبيه من الإسلام الحقيقي اسم وشهادة ميلاد ، تشهد أنه ولد لأبويه مسلمين ، ولكن ميلاد ولد العهد المرتقب كان شؤما على والده أحمد زوجو وأمه الملكة "جيرالدين" إذ لم يك يولد حتى قامت إيطاليًا بعزل والده .

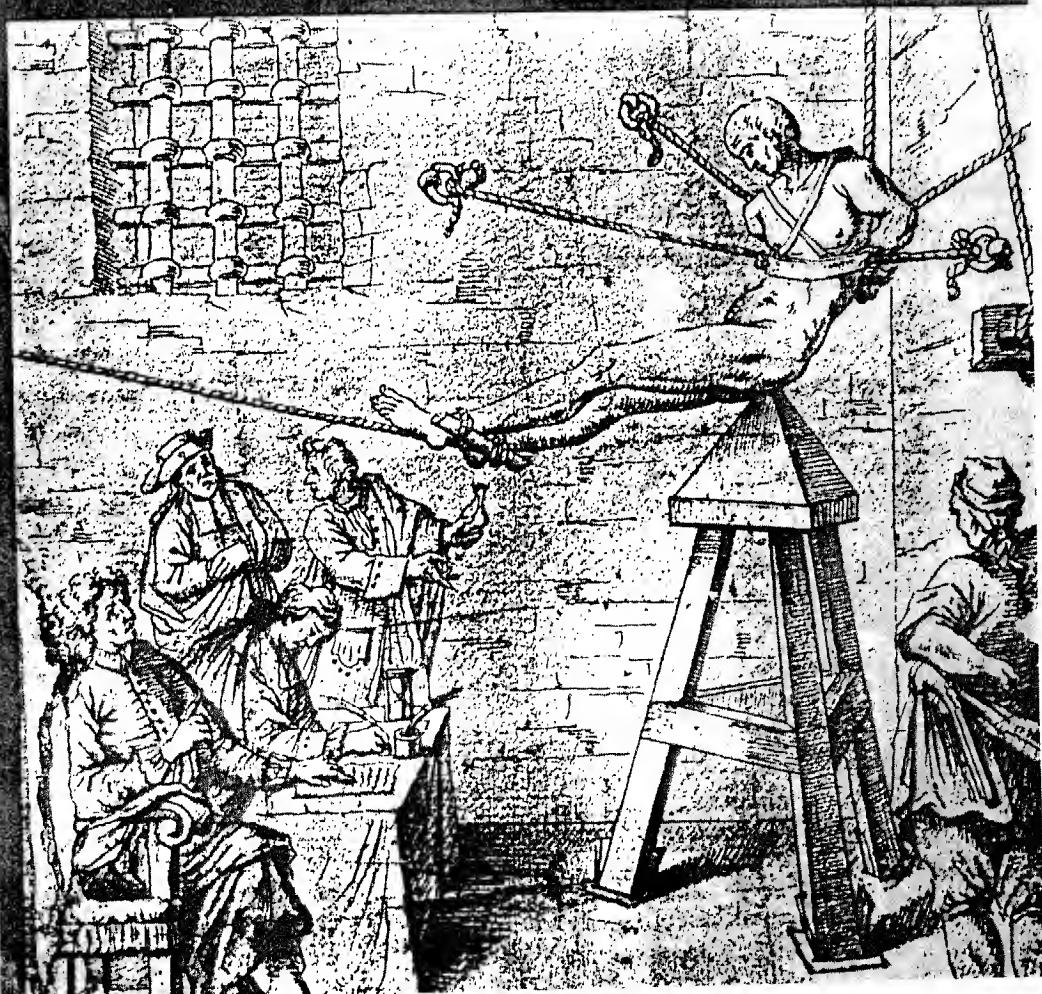
وال الأمير زوجو المطالب بعرش البانيا يعيش الآن في أوروبا ترقبه عيون أنور خوجة وتحصى عليه أنفاسه .

جمعية الدونما اليهودية

إنتهت الدولة الإسلامية في الاندلس سنة ١٤٩٢ م ففقد اليهود بإنتهاءها حماتهم . ولم تثبت إيزابيلا ملكة إسبانيا أنّ الولت بهم وطردت منهم عشرات الآلاف بعد أن صادرت أموالهم . وبقي من اليهود عشرات الآلاف من المستضعفين وهمل الناس ، وتعرض هؤلاء للتنصير ، وللاسترقة ، ولم تثبت الكنيسة المسيحية في إسبانيا أن استحدث نظام محاكم التفتيش ، وهي محاكم انشئت خصيصاً لراقبة وتقديم عقائد الناس ، ولم يحل بينها وبين أداء مهمتها ما أتفق عليه علماء الأصول في مختلف الأديان عندما قرروا أن العقائد من أفعال القلوب ، وأنه لا يعرف ما في القلوب إلا خالق القلوب ، لكن الكنيسة لم تكن تتفق مع أولئك الأصوليين في هذا الرأي ، فرأيت أن تكشف عما في قلوب الناس للتأكد من صحة عقيدتهم ، فأنشأت محاكم للتفتيش لاتخضع للقوانين المدنية في إسبانيا ، وكان من بين ضحاياها مابقى في تلك البلاد من يهود ، وتفنن محققو تلك المحاكم في تعذيب اليهود لاستخلاص "الحقائق" ، وعذبوهم تعذيباً قاسياً بلغ حدّاً صيرّ الولت أمنية يتمناه من يقع في أيدي زبانية التحقيق التابعين لمحاكم التفتيش ، مع أن الموت الذي صار أمنية يتم حرقاً أو بإجلال المحكوم عليه

IL QUATTROCENTO: L'EUROPA NELLA MORSA DELL'INQUISIZIONE

Per salvare l'anima si strazia il corpo



على خازوق يهتك مستقيم . لكنه لا يميت ضحيته إلا بعد عذاب يدوم ساعات طوالا.

وقد أدى فقدان اليهود لما كانوا يتمتعون به من حماية إسلامية ، وفقدانهم للعدل في المعاملة في البلاد المسيحية التي هاجروا إليها من إسبانيا ، وهي بلدان تمواج بإضطرابات سياسية وعقارية بعد أن بُلّبت أفكارهم مبادئ مارتن لوثر واضع مذهب البروتستانتية ، كل هذا جعلهم يتطلعون إلى معجزات سماوية لتنقدهم من البلاء الذي حل بهم ، وهو تطلع أرهف حسهم حيال المسيح المنتظر (١) ، وهكذا تمكّن أحد اليهود من أن يدعى أنه المسيح الذي ينتظره اليهود . فصدقه كل من غلبته أمانيه على عقله ، وتكونت فرقة الدونما سنة ١٦٤٨ ، ومن آمن بهذا المسيح الداعي ، فما هي هذه الفرقة ؟



سبتي بن زفي

الدونما كلمة تركية تعني العودة ، وهي مشتقة من المصدر "دونمك" وتعني العودة أو الرجوع ، ويعاقبها بالعربية ، المصطلح الإسلامي "الردة" وعلى هذا الإيضاح يكون وصف المنتمي لفرقة الدونما ، هو "مرتد" واستعملت كلمة دونما في اللغة التركية خلال القرنين الأخيرين . في معنى التحول (٢) من دين إلى آخر ، كما أطلقـت على فرقة يهودية متميزة مستقلة لها طقوس دينية وعادات خاصة بها ، حافظـت عليها و على

سريتها وتمكنـت من صونها عن غير اتباعها ، حتى أن العالم لم يعرف عن مبادئ تلك الفرقة شيئاً إلا في سنة ١٩٣٥ ومؤسس هذه الفرقة هو اليهودي سبتي بن زفي المولود في أزمير سنة ١٦٢٦ ، نشأ بها ذكياً ، مكبـاً على التعلم ، فلما

(١) هو مسيح بشرت به كتبـهم ، يرسلـه الله لإنقـاذ اليهود وينـشـئ لهم مملـكة ويقودـهم لسيطرـة العالم وإلى السعادة والرفاهـية (من كتاب يهود الدونـما - للدكتـور محمد عمر) والمعنى الخـاص لـكلمة المسيح هو النـبي أو المـخلص .

(٢) مجلة العربي الكويـtie - العدد ٣٢٥ ، صفحة ٤٢ .

ركبته روح شعبه في عصره ، انصرف إلى التعمق في دراسة العقيدة اليهودية والتصوف اليهودي ، وهي دراسة تتسم بالأزمة العقدية التي تسيطر على صدور اليهود في تلك الفترة التي تفوق بإعادة النظر في السمات الدينية لدى المسيحيين واليهود ، وحتى عند المسلمين . وقد تحولت أفكار اليهود بعامة ، حول الفكرة القائلة بأن اليهود - وهم شعب الله المختار وهو إلههم دون غيرهم - فما باله يتخلى عنهم ويتركهم "للقويم" يسومونهم سوء العذاب ، وما باله لا يرسل إليهم مسيحهم الذي ينتظرون ؟ وقد رأى سبتي أنه يملك الإشارات التي ذكرتها النبوءات البشرية يقرب ظهور المسيح مما دعاه إلى التساؤل لما لا يكون سبتي هو المسيح الذي ينتظره اليهود المطحونون ؟ وما فتئ أن أعلن أنه المسيح الذي ينتظره اليهود وفرض على الذين يتبعوه ، وصايا ثمانية عشرة ، بدلاً من وصايا الكليم موسى العشر (١) ، ويهمنا منها في السياق الوصية السادسة عشر (٢) ونصها :

" يجب مراعاة عادات الأتراك ، ذراً للرماد في عيونهم ، ويجب عدم إظهار الضيق بصوم رمضان ، وعند تقديم الأضحية ، وتجب المحافظة على جميع المظاهر " .

والوصية السابعة عشر ونصها

" يمنع الزواج من المسلمين "

كما فرض عليهم الالتزام بالمزاوجة في جميع مناحي حياتهم

(١) قالت مجموعة أبناء الرب أن الخوف من الزنا لم يعد له مكان وأن عمليتي اللواط والسحاق مباحثات في شريعتهم

مجلة "المسلمون" لندن عدد شهر نوفمبر ١٩٨٦ ،

(٢) الدكتور / محمد عمر . يهود الدونما بيروت ص ٣ .

الشخصية ، وهو يوصي من يواليه بالإلتزام بإعتناق عقيدة أصحاب السلطة حيث يقيم مع إخفاء معتقده الأصلي أي أن يكون مسلماً في الظاهر إن كان يعيش في بلاد المسلمين مع إحتفاظه بعقيدته اليهودية المحورة وفق مبادئ فرقة الدونما كمعتقد أصيل لا يحول عنه ، وأجاز لهم إلباحية وتبادل الزوجات وهم أمران أديا إلى رفض قبول فرقة الدونما ضمن اتباع العقيدة اليهودية ، لأن هذه الفرقة في نظر اليهود ، ولد أفرادها من والدين لم تقم بينهما علاقة شرعية التزموا فيها بشروط الديانة اليهودية ، ويرى اليهود أن أشد مظاهر شذوذ هذه الطائفة هو تجرؤها على التلفظ باسم "يهوه" (١) المحرم على اليهودي التلفظ به ، وهي جرعة عرضت طائفة الدونما إلى العزل والإضطهاد ، وعرضت زعيمها سباتي إلى المطاردة من قبل حاخامات الطوائف اليهودية الأخرى ، وهجر أزمير واستقر فترة في سالونيك حيث وجد أنصاراً زرع مبادئه في تربتهم الخصبة فترعرعت فيها وازدهرت حتى بعد أن طرد الحاخamas سباتي من تلك المدينة ، لكن طرده لم يحل دون إزدهار مبادئ الدونما وأن تعيش رغمما عن غرابتها ومحاربة الديانات الكتابية لها ، حتى يومنا هذا . تجذر مبادئ الدونما في تلك المدينة ومنطقة السالونيك كلها صارت قبلة لاتباع تلك الطائفة فاتخذوها مركزاً رئيسياً لهم واكتسبت نوعاً من القدسية عندهم -

(ومدينة السالونيك هي المدينة التي نشأ فيها . مصطفى كمال أتاتورك) - ومنها إمتد نفوذهم إلى جميع مناطق تركيا ثم صار لهم إتصال وثيق بالجهات العليا في حكومة الإتحاد والترقي التي حل محل السلطان المخلوع عبد الحميد الثاني .

(١) "يهوه" كلمة عبرية تعطى معنى لفظ الجلالة "الله" غير أن لليهودي أن يستعمل أي كلمة بأي لغة غير عبرية تفيد معنى لفظ الجلالة ، والغالب أن يستعمل اليهود ، لفظ "دوناني" العربية وتعني السيد (المؤلف) .

ويدور لغط كثير حول زعماء الإتحاد والترقي وبخاصة حول تسهيلهم مؤسس الصهيونية " هرتسل" مقابلة السلطان العثماني عبد الحميد ... وسنعرض لما دار في تلك المقابلة في أسطر لاحقة ، أما الأمر المؤكّد فهو الدور الذي لعبه فريق الونما في إنشاء " منظمة تشكيلاتي مخصوصة السورية" التي تزعمها أنور وجمال وطلعت رؤوس جمعية الإتحاد والترقي ، الذين تأكّد انتقامهم إلى المسؤولية وتحيط بهم شبّهات قوية حول انتقامهم لفرقة الونما وتصعب تبرئتهم منها . ومن الزعماء المعاصرين الكبار الذين وصموّا باعتناق مبادئ المسؤولية : عصمت إينونو ثاني رئيس للجمهورية التركية ومنهم أنور خوجة زعيم ألبانيا الذي يجمع معارضوه على أنه ماسوني ودوني عريق واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة أهمّها هو إصرار خوجة على محاربة جميع الديانات والعقائد في نفس الوقت الذي يرافق فيه باليهود الرأفة كلّها . ومن أتباع المسؤولية المعروفيين ، مفكّر القومية التركية وفيلسوفها ضياء كوك ألب تلميذ المفكّر اليهودي دوركايم وكذلك الصحافي الملحد عبد الله جودة الذي كان مكتبه في رئاسة تحرير جريدة " حرية" ملتقى الشباب التركي الذي اخذه " صرعة" الانتقام للدونما والصحفية الأدبية اليهودية خالدة أديب ، التي تعتبر من أكبر اعلام الأدب التركي الكمالـي . والفارق بين الدونمية والمسؤولية فارق ديني محض ، أما من حيث الأهداف والوسائل فلا فارق بينهما، بل يدفعهما وحدة الهدف إلى تناسى الفارق الديني ليتمكنوا من تحقيق الأهداف التي رسمها الجدود . أما كمال آتاترك فقد يكون الفضول الطبيعي في الشباب قد دفعه إلى تقصي مبادئ المسؤولية والدونمية ولكن يظهر أن طبيعته الحذرة حالت بينه وبين الاندفاع نحو أيٍّ منهما فنجا من السقوط من حيائهما إذ لا يتفق تحمسه المفرط للدعوة القومية الطورانية وما تتطلبه المسؤولية من ولاء مطلق لمبادئها وهو ولاء يتطلب التخلّي عن أيٍّ مبدأ لا يتفق مع مبادئها التي تتبذل الوطنية و

الإقليمية والعقيدة الدينية . صحيح أن أتاترک كان من أنصار التتریک دون اعتبار للعقائد الدينية أو الشرائع العرقية وصحيح أن أتاترک سعى إلى الاستفادة من كل القوى الموجودة في الساحة التركية في تنفيذ سياسته ، كما إنه لا جدال في أن المسؤولية في تركيا كانت قوة سياسة ومالية وعقائدية كبيرة إلا أنها من طبيعتها أن تحصل دائمًا على مقابل كبير قبل أن تقدم هي أي عنون .

ولم يلبث أتاترک عندما استولى على السلطة أن فصل الدين عن الدولة وألغى الخلافة واستبعد من حكومته كل من لبس فيه تمسكاً بالدين وتحمساً له ولقد حاول زعماء المسئولية وزعماء الدونما إستمالة أتاترک لينفذوا من خلاله سياساتهم الهدامة في تركيا إلا أن كمال لم يرض أن تكون في تركيا سلطة غير سلطته وأعلن لكل من ألقى السمع أنه لا يقبل أن يكون له شركاء في إدارة سياسة تركيا . فلما يئس زعماء الدونما والمسؤولية من السيطرة على أتاترک " وكان أشد أولئك الزعماء يائساً محمد جاوید وكان أئذ رئيساً خفياً لجمعية الدونما وهو يأس دفع الجمعيتين المسئولية والدونمية إلى التآمر على حياة أتاترک مستعينتين في تآمرهما يفلول جمعية الاتحاد والترقي (١) ، ولكن أتاترک الذي عركته التجارب السياسية كان للمتأمرين بالمرصاد فاعتقلهم جميعاً قبيل الشروع في تنفيذ خطتهم وحاكم صغارهم وشنق من أدين منهم في الساحة العامة بإزمیر ، أما زعماء المؤامرة فحُكموا في أنقرة وصادق أتاترک على الأحكام الصادرة ضدهم بالشنق ، بما فيهم صديقه القديم مصطفى عارف وسعيد خورشيد ورأفت ورؤوف وعلى فؤاد وكاظم كره بكير وعدنان زوج خالدة أديب . وأول من شنق منهم كان محمد

(١) مصطفى الذين أتاترک وحلفاؤه صفحة ٢٠٨

جاويد (١) كما أوضحتنا في فصل آخر . ولم يعف من الشنق الا اربعة شفع فيهم ماضيهم العسكري المشرف من بينهم كره باكير وأقام اتاترك ليلة شنقهم حفل راقص أهرق فيه خمر كثير وانقض مع الفجر عندما ابلغه مدير الشرطة بالفراغ من شنق آخر متامر (٢)

دور الدونما في اسقاط السلطان عبد الحميد الثاني

لرجوع قليلا الى العقد الاخير(٣) من القرن الماضي ، والعقد الأول من هذا القرن لاستعراض الدونما ، ورئائهما في خدمة الصهيونية العالمية وفي محاربة الاسلام والمسلمين ، وتخطيطهم لعزل أو تصفية من يقف في طريقهم من حكام المسلمين ، وفي تمكين من ربوه واعدوه نفسيا وخلقيا لكي يتولى أمر المسلمين ليسكت كل صوت يعارض سياستهم وليكافئ بمال والجاه والمناصب والألقاب والنياشين كل مخلص مطيع في خدمتهم ، يشركونه في تنفيذ مخططهم الرهيب في غفلة من المسلمين الذين يحيط بهم جهل مطبق بما يبيت لهم ، وابتداوا بمحاولة ترويض الخليفة العثماني آنذاك عبد الحميد الثاني ، وجدوا جميع اعوانهم من اليهود عقيدة ، واليهود عملا حتى يسرروا لهرتزل (٤) لقاء السلطان عبد الحميد ليعرض عليه ، استعداد المجلس اليهودي العالمي لتسديد جميع ديون تركيا فورا ودعم الاقتصاد التركي

(١) امعانا في التخيّي للتمكن من خداع المسلمين سمي هذا اليهودي الدونمي باسم "محمد" وقد ثبت لدى المحكمة أنه يهودي أشكنازي ، ولعل هدف أبيه عند تسميته هو نفس هدف الشاعر الماروني اللبناني سعيد عقل اعدى اعداء العروبة والاسلام عندما سمي ابنه محمدأ . (المؤلف).

(٢) د . جعفر هادي حسن : فرقة الدونما بين اليهودية والاسلام.

(٣) وضع مخطاطات لتنفيذ مقرارات مؤتمر برلين الذي انعقد سنة ١٨٧٨ ، لتقسيم ممتلكات الخلافة العثمانية وسمى بمؤتمر " المسألة الشرقية " .

(٤) صحفي يهودي اشتهر بأنه مؤسس الصهيونية . (المؤلف)

النهار ، بقروض طويلة الأجل دون فوائد مقابل أن يوافق على منح عدد محدود من اليهود حق الإقامة في فلسطين وأن يمكنهم من شراء حاجتهم من الأراضي البور ليعيشوا عليها في سلام ، ولكن السلطان رفض هذا العرض المغربي - اذا ما رأينا ظروف تركيا الاقتصادية آنذاك - والتي لا تزال تركيا تعاني من اثارها حتى اليوم، وكان رفض السلطان باتا عندما قال : "ليست فلسطين ملكي ولا ملكا لتركيا ، ولكنها ملك لأهلها وللمسلمين ، فكيف اعطيكم مالا املك؟".



وعاد هرتزل من القسطنطينية وقد تضاعف حقده على السلطان الذي جرؤ على رفض مطلبه الذي هو مطلب "شعب الله المختار" وازداد حقده على الحكومة التركية التي لم ينجح انصار الصهيونية المنبثرين في كل ركن منها في اقناع السلطان بأهمية العائد الاقتصادي من وراء الاقتراح اليهودي ، وازداد غليان مراجيل حقده على عرب فلسطين الذين رأى السلطان أنهم أصحاب الأرض . وهكذا رسخ في ضمير هذا اليهودي المتعصب ان الفلسطينيين هم العقبة الكبيرة . التي تحجج بها السلطان عند رفضه لطلبه وانطلاقا من هذا الحقد الأسود ، رتب هيرتزل أولويات الحركة الصهيونية على الوجه التالي :

- ١- ضرورة إزالة العقبة الأولى ، وهي السلطان عبد الحميد .
- ٢- شغل تركيا بإغراقها في مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية باشعال نار الفتنة في أراضيها المترامية ، وخاصة في البلقان والمناطق التي تفور بالفتنة ، ودفع الدول التي لها مطامع في اراضي خاضعة للخلافة الى اقتطاع تلك الأراضي ، وحث المصادر - وخاصة المملوكة لممولين يهود -

على تضييق الخناق على الخزانة العثمانية بعدم تسهيل دفع ديونها وبعدم اقراضها إلا بشروط مجحفة تجعل القرض نفسه عبئاً جديداً على الخزانة . لاجرعة شافية لإقتصاد تركيا العليل ، وجدت لتحقيق هذه الاهداف جميع اسلحته مهما كانت غير مشروعة ولا اخلاقية ، وفي مقدمتها الخبث الشيلوكي (١) المشهور . كما جند البيوت المصرفية وعلى رأسها اسرة روتشيلد ، كما جند فاسدى الضمائر في بريطانيا وسويسرا وايطاليا وفرنسا . وركز جهده في فاسدى الضمائر في تركيا بالذات وعلى رأس هؤلاء حقي باشا (٢) سفير تركيا في روما . الذي صار صدراً لأعظم (رئيس وزراء) ، في حكومة الاتحاد والترقي عند غزو ايطاليا للبيضاء سنة ١٩١١م واخيراً تحريك الطابور الخامس (٣) المكون من الجواسيس والمخربين وان كان اعتماد هيرتل الأكبر ، كان مركزاً على طائفة الدونما ، وقد كانت هذه الطائفة عند حسن ظنه فلم يخسر مقاماته عليها وتمكنـت بسيطرتها : اليهود ، واعوانهم من الساسة الاتراك ، من تنفيذ مخططه للتخلص من عدوه الأول عبد الحميد الثاني . ولم يترك هيرتل سبيلاً ظن أنه يساعدـه على تحقيق اغراضه إلا اتبـعـه فاشـتـرىـ ذـمـمـ ضـبـاطـ فـيـ الجـيشـ فـيـ مـخـتـلـفـ اـسـلـحـتـهـ وـأـعـضـاءـ فـيـ مـجـلـسـ الـمـعـوـشـانـ وـصـحـافـيـنـ وـكـتـابـ ، وـسـيـلـتـهـ الـيـهـمـ أـعـضـاءـ طـائـفـةـ الدـونـمـاـ الـذـيـنـ يـتـصـيـدـونـ ضـحـايـاهـمـ فـيـ أـوـسـاطـ مـلـوـاـ ظـلـمـ السـلـاطـينـ العـثـمـانـيـنـ وـخـاصـةـ ظـلـمـ السـلـطـانـ عـبـدـ الـحـمـيدـ الثـانـيـ ، وـنـحنـ

(١) مرابي يهودي شهر به شكسبيـرـ فـيـ تمـثـيلـيـتـهـ " تـاجـ الرـذـقـيـةـ " .

(٢) لعب دوراً خطيراً في التمهيد لاحتلال ايطاليا للبيضاء لم يكشف بعد ، وشهر ادلة خيانته هي اضعافه للحامية العثمانية في ليبيا ، بحجة تقوية الحامية العثمانية في اليمن (المؤلف) .

(٣) مصطلح شاع استعمالـهـ اثنـاءـ الـحـربـ الـعـالـيـةـ الثـانـيـةـ ، وـمـنـشـأـهـ مـقـولـةـ لـاحـدـ أـمـرـاءـ الـأـولـيـةـ الـذـيـ كـانـ يـقـودـ حـصارـاـ عـلـىـ مدـرـيدـ أـثـنـاءـ الـحـربـ الـأـهـلـيـةـ الـإـسـبـانـيـةـ ، أـجـابـ بـهـاـ عـلـىـ سـؤـالـ وجـهـهـ إـلـيـهـ القـائـدـ الـعـامـ الـذـيـ لـمـ سـقـىـ طـوابـيرـهـ ، سـائـلاـ كـمـ طـابـورـاـ لـدـيـكـ فأـجـابـ أـمـيرـ الـلـوـاءـ لـدـيـ أـرـبـعـةـ طـوابـيرـ هـنـاـ ، وـعـنـدـيـ طـابـورـ خـامـسـ فـيـ مـدـرـيدـ ، وـيـقـضـدـ اـعـوـانـهـ مـنـ الـجـواـسـيـسـ وـالـمـخـربـيـنـ الـذـيـنـ بـثـمـ دـاخـلـ مـدـرـيدـ . (المؤلف)

لو تجاوزنا الدعایات الظالمة التي بثها اليهود والانجليز وغيرهم من اعداء الخلافة ، فإن الكثير من تصرفات عبد الحميد تجعل التأمر ضده عملا وطنيا لكن جرائم السلاطين جميعها لايمكن أن تغفر التعاون مع الصهيونية والاستعمار واعداء الاسلام والمسلمين . صحيح أن كلما ما ارتكبه حكام المسلمين ، في تلك الفترة من اخطاء صار في ذمة التاريخ غير اننا لازلنا تعاني من شرور آثار اخطائهم وجهلهم وتتجاهلهم للشعب الاسلامي على مختلف اعراقه من عرب وغير عرب وصقالبه واكراد ، فقد عانوا جميعا من الظلم والجور مما عمل على تأخير نهضتهم العلمية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، ولو لم ينحدروا الى ذلك الحضيض لما جرؤ الاعداء على تفتیت صف المسلمين في جميع مناحي الحياة ، الأمر الذي مكن يهودي خبيث كهرتzel وأعوانه أن يفتكوا بالأمة الاسلامية بعامة وبالأمة العربية بخاصة وهم السبب في كل مانعانيه وبما ستعانيه الاجيال المعاصرة والاجيال القادمة وبخاصة نكبتنا في فلسطين ، والتي لن يخرج منها اليهود إلا إذا إتحد العرب وخلصوا النية في استردادها حكاماً وشعوباً ، ولكي يستحقوا دعم المسلمين ويحصلوا عليه ، ودعم أنصار الحرية في شعوب العالم . فلا مفر لهم من الاتحاد وتحصين الشباب المسلم بالعلم وبالأخلاق الاسلامية ، اذ لن يعرف كيف يحارب الدونما ، ويحارب من رضعوا من أثدائها السامة فكانوا حربا على أمتهم وعلى دينهم وعلى أنفسهم ، فخسروا كل شيء الدين والدنيا والآخرة ، ولم يربحوا حتى احترام من اقدموا على الخيانة استرضاء لهم ، نقول هذا لمن خدموا اليهودي الدونمى " عدس " في العراق والذي لم تنتبه السلطة العراقية إلى ما ألحقه بالعراق ، إلا في اللحظات الأخيرة فشنقته ، لكن شنقه - وإن حد من اضراره - فإنه لم يرمم ماسيق إن أتلفه " عدس " وهاهو رببه " زلخا " يهرب من العراق بالكثير من اموال " عدس "

إلى بيروت ليفتح فيها مصرفًا اشتهر بمصرف زلخا للقروض، ونهب ما استطاع
نهبه ليفر بما نهبه إلى بريطانيا، ليؤسس فيها متجرًا لتجارة ملابس الأطفال،
وكان أكبر عميله في بيروت ولندن من العرب وانتهى ببيعه بماليين الجنيهات
اشترى بها شركة نفط أمريكية تسمى "تاورن بيتروليوم" اقتعد فيها كرسي
رئيس مجلس الإدارة ليواصل امتصاص أموال العرب من خلال تجارة النفط.
فمنى ينتبه العرب والمسلمون إلى افاعيل اليهود مهما تعددت المظلمات التي
يستظلون بها من جمعيات دينية وانسانية ومن شركات يتسترون وراءها، ولو
استعرضنا مشاهير من عاش بيننا من اليهود الذين استغلوا طيبتنا وسدا جتنا
وجهلنا أمثال المليونير كوريل (١) مؤسس الشيوعية الجديدة، في مصر، وعدس،
وابن زايون، وشمنلا الذين سيطروا على جانب كبير من التجارة في مصر، وأمثال
كوهين جاسوس إسرائيل في سوريا على عهد أمين الحافظ وغيرهم من أساطين
الدونما في العالم، لوجدناهم لا يشاركوننا في شيء من عواطفنا. بل كانوا حربا
علينا وعلى ديننا، وسنذكر مثالين منهما عاشا ينفثان سموهما في حاشية
السلطان عبد الحميد. وقد أجلنا الحديث عن رأسى الأفعى السامين وهما "كراسا"



Papst Plus X. "Jerusalem nicht für die Juden"

و "جاويد" لأنهما أول من جاهرا بالعداء ضد الإسلام والأمة العربية في أوائل هذا القرن ، وهو عداء لم يتوقف منذ أن بدأه ذاتك اليهوديان بتوجيهات من المجلس اليهودي العالمي ورئيسه هيرتزل ، وهما أهم من نفذ خطة الانتقام من العثمانيين ومن الاتراك ومن الأمة العربية بتخويل من المجلس اليهودي العالمي والبيوتات المالية اليهودية الشهيرة ، كبيت روتشيلد في كل من فرنسا وبريطانيا

(١) أسس أول حزب شيوعي مصرى سنة ١٩٢٢ وأعترفت به الشيوعية الأممية سنة ١٩٢٢ (المؤلف)

والمانيا ، وقد افردنا لها فصلاً خاصاً بهما في هذا الكتاب بإعتبارهما مؤسسي حركة الكيد للعرب ، وطليعة الجيش الخالي للصهيونية الذي وضع أساس تنفيذ إنشاء إسرائيل على أرض عربية مسكونة بقسم من أمّة العرب .

اليهوديان كراسا(١) وجاويد(٢)

ليست اليهودية دينا ، ولا هي جنساً بشرياً ولا هي ثقافة متميزة ، ولكن اليهودية مصيبة كبيرة يجب على اليهودي تحملها بكل شجاعة " جورجيو فوجيرا (٣)



Giorgio Voghera

كراسا وجاويد رأسان لأفعى واحدة إسمها "المكابي" السبتائية أو "الدونما" أو "الماسونية" أو "الصهيونية" أو "الروتاري" أو "اللاینر" أو ما يستجد من أسماء تراها الأفعى مناسبة للفترة التي تباشر فيها مهماتها الخبيثة في المجتمعات ، وحقيقة أنها هيئة يهودية نشأت في ظلمات التاريخ اليهودي ، يعيده بعض المؤرخين نشأتها إلى أيام تدمير هيكل سليمان ، ويعيدها بعضهم إلى فترة ما قبل داود ، ويصر فريق ثالث على أنها قامت عقب اضطهاد الأوروبيين لليهود في زمان "فردينند" والملكة "إيزابيلا" الإسبانيين وما تلاهما من الهيئات والحكام الذين اضطهدوا اليهود كمحاكم التفتيش ، والكنيسة في بعض عهودها ، وقيصر روسيا "نيقولا الأول" ومن تلاه من قياصرة حتى قيام الثورة الشيوعية ، وفي هذا القرن اشتهرت المانيا .

(١) عمانويل كراسا وقع اتفاقية الصلح مع ايطاليا ممثلاً للحكومة التركية ، سنة ١٩١٢ .

(٢) محمد جاويد ، استاذ جامعي . هذان الهاشميان عن كتاب "فرقة الدونما بين اليهودية والاسلام" د . جعفر ابادي حسن .

(٣) كاتب ايطالي له منزلة عالية في الأدب المعاصر ، يقرأ له شباب اليوم . في مختلف أنحاء أوروبا وأمريكا . يهودي الأصل (المؤلف) عن مجلة "Panorama" عدد ١٠٢٢ .

النازية والدول التي دارت في فلكلها باضطهاد اليهود ، وبقطع النظر عن الدعاية المبالغ فيها عن عدد ضحايا النازية واتباعها من اليهود الذي ترفعه الدعاية الصهيونية الى ستة ملايين ضحية ، بينما عدد الضحايا الحقيقي لا يمكن أن يتجاوز المليون إذا ما احتكمنا الى قواعد الاحصاء العلمية الصادقة ، فعدد اليهود قبل قيام النازية معروف ، ونسبة الزيادة الديموغرافية بينهم معروفة ، وعدد اليهود اليوم معروف . فلو كان عدد الذين افناهم الالمان وغيرهم ستة ملايين حقيقة لما زاد عدد اليهود الاحياء اليوم عن ثمانية ملايين ، وبينما هم يجاوزون خمسة عشر مليونا . ومع عدم اقرارنا بجواز قتل يهودي واحد ظلما ، وبقطع النظر عن عدد من قتلوا من اليهود ظلما أو عدلا فقمة الظلم أن نقوم نحن العرب بالتكفير عن جرائم يقر اليهود أنفسهم بإإن مرتكبيها هم من ابتكرروا قوانين حماية العنصر في كل من المانيا وإيطاليا ، وحاربوا السامية في كل من روسيا وفرنسا وقضية النقيب " دريفوس(١) " مشهورة ودفاع الأديب " أميل زولا(٢) " عنه يعرفه كل من له المام بتاريخ فرنسا في نهاية القرن الماضي . ومهما كان الصحيح من النظريات حول نشأة هذه الهيئة اليهودية ومهما كان الاسم الذي تتسمى به . فإن الحقيقة التاريخية الثابتة هي أنه وجد دائماً فريق كبير من اليهود يجد نفسه مرغماً بقوة نفسية يعجز عن مقاومتها تسويقه نحو إلحاق الأذى " بالقويم" أي غير اليهود مهما كان عرقهم أو معتقدهم ، وفي سبيل تحقيق ذلك تستحل تلك الهيئة الإرهاب والخيانة والاضرار والكذب والسرقة والغصب وشهادة الزور والفتنة وغيرها من الصفات الذميمة التي اتفقت البشرية منذ فجر التاريخ على استهجانها ونبذها ، ولا مفر لنا من أن نذكر

(١) ضابط فرنسي يهودي الأصل اتهم بالتجسس لصالح المانيا .

(٢) أديب فرنسي قاد حملة صحفية لتبرئة دريفوس ، متهمًا قيادة الجيش الفرنسي بالتعصب ضد المتهم بسبب عرقه اليهودي .

أن فريقاً من الناس يلتمسون لليهود المنضويين تحت هذه الهيئة العذر ، فهم في نظر - من يعذرونهم - إنما يقدمون على تلك الأفعال الذميمة اطاعة لقوة لا يملكون لها دفعاً ، وكلمة الأديب التي صدرنا بها هذا الفصل خير تعبير عن الفكرة التي حاولنا طرحها . ولنعد إلى رأسي الأفعى كراساً وجاويد ، فكراساً هذا هو رئيس المحفل المسؤولي في مدينة أزمير ، وهو أيضاً عضواً من أعضاء الخطاب اليهودي المحيط بالحكومة العثمانية ، ونظراً لما له من صلات برجال حاشية السلطان عبد الحميد ونفوذه قويٌّ لديها تمكّن من اقناع السلطان باستقبال " هيرتزل " واصطحبه^(١) هيرتزل عند لقائه بالسلطان وكان شاهداً على اخفاق هيرتزل في مهمته ، فغلى في صدره من الحقد ماغلى في صدر هيرتزل منه . وبذلك صار افضل منفذ لخطط الانتقام من السلطان ومن الحكومة العثمانية لرفضها المطالب اليهودية ، فلما كلف بتنفيذ قرار المجلس اليهودي العالمي بالإطاحة بعد الحميد ، بادر بإصدار تعليماته إلى جميع المحافل المسئولة التابعة له في إسطنبول وخاصة ، وفي بقية أراضي الدولة العثمانية بعامة ، بالعمل على اجتذاب الضباط الاتراك الناقمين من عبد الحميد ، وتمكن من ضم عدد كبير منهم ، ذكر جاويد منهم في أثناء التحقيق معه أسماء كل من نوري و أنور و جمال و طلعت و فتحي^(٢) ونيازي^(٣) واغدق عليهم اليهودي المال ثم عمل على خلق خلية لابتکار الشائعات وبثها تشويهاً لسمعة السلطان وحكومته ولاحداث ذبذبات شديدة في الأسواق المالية لايتحملها الاقتصاد العثماني الهش ، واستأجر كراساً

(١) اصطحب هيرتزل كراساً أثناء مقابلته للسلطان عبد الحميد الثاني ، لمكانة الكبيرة بين رجال حاشية السلطان . اتاترك وخلفاؤه . ص . ٢٩ .

(٢) زعماء جمعية الاتحاد والترقي (عن كتاب فرقـة الـدونـما بـين اليـهـودـيـة وـالـاسـلامـ) د. جـعـفـرـ الـهـادـيـ حـسـنـ

(٣) أول من نقل مبادئ جمعية الـدونـما اليـهـودـيـة إـلـىـ الـبـانـيـاـ بعدـ عـزـلـ السـلـطـانـ . عبدـ الحـمـيدـ وـكانـ أحـدـ زـعـماءـ جـمـعـيـةـ الـاتـحـادـ وـالـتـرـقـيـ الذيـ اـبـعـدـ إـلـىـ الـبـانـيـاـ عـنـدـمـاـ شـتـتـ اـسـطـنـبـولـ زـعـماءـ الـجـمـعـيـةـ ، وـكانـ لهـ ثـلـاثـ مـنـ أـعـضاـءـ الـدوـنـماـ :ـ مـنـهـ فـائقـ ، وـمـصـطفـىـ عـارـفـ وـاسـمـاعـيلـ جـمـ أـبـكـاجـيـ رـئـيـسـ تـحـرـيرـ "ـ مـلـيـتـ "ـ (ـ المؤـلـفـ)ـ .

اقلاما صورت عبد الحميد في صورة طاغية والغ في الدماء حتى أنه لقب بالسلطان الأحمر ، ولتعمل تلك الأقلام أيضا على تضخيم الأخطاء وهي كثيرة وعلى أخفاء الحسنات وهي قليلة ، فانتشر التذمر وما يصحبه من مؤامرات بعضها لها خطرها وببعضها عبث صبيان ومع ذلك فلا تستطيع حكومة ما ، التغافل عنها ، فعوقب البريء والمذنب على السواء وافت مذنبون لوجود من يحذرهم في الوقت المناسب أو يضفي حمايته عليهم ، وساعدت كل الظروف التي أصطنعها الاعداء وضمنتها خيانة الاصدقاء على أن تسير الأمور وفق مادبره كراسا واعوانه . فكان ما كان من عزل عبد الحميد وتولى جمعية الاتحاد والترقي السلطة في تركيا ، وهي حكومة ترأسها أنور فأختار اليهودي جاويد ليكون وزيراً ماليته (١) مكافأة له على ما اغدقه على جمعيتهم من أموال ثم مخصوصه - بصفته وزيراً للمالية - من مال من خزانة الدولة لإنفاق على الجمعية التركية السرية التي اطلقوا عليها اسم "شكيلات مخصوص (٢)" وهي ذات طابع مخابرات وتجسس . وما درى أنور ورفاقه أن جاويد ما كان ليخصص " بارة (٣)" واحدة لو لم يضمن استخدامها لصالح الصهيونية ، ولقد تسرب الشك في جاويد وأهدافه - التي يخفيها أخفاء شديدا إلى وجдан كمال أتابترك ، منذ أن كان ملحقا عسكريا في بلغاريا ، عندما أكتشف أن جاويد كان يعطل تقاريره التي يطالب فيها بتقوية الجيش العثماني بعد أن توالت نذر الحرب في السياسة الأوروبية ، ومن أجر من كمال بالشك في نوايا جاويد وهو الذي خبره عن قرب عندما كان أمينا لصندوق جمعية الاتحاد والترقي وكان من أعضائها وإن لم يكن من زعمائها الكبار . وتأكدت لدى كمال جرائم جاويد عندما

(١) أتابرك وخلفاؤه . ص ٢٠٦ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) أصغر وحدة عملة عثمانية في ذلك الوقت (المؤلف)

وقف في مجلس الوزراء - بصفته وزيرًا للمالية - ضد تخصيص الأموال الكافية لتحسين أسلحة الجيش العثماني ولمعارضته شراء أسلحة جديدة لتحديث الجيش التركي ، وكانت أسلحة يحتاجها الجيش احتياجاً شديداً واكتشف كمال الأعيب جاويه في قضية الطرادتين اللتين أوصت البحرية التركية على صنعهما في بريطانيا ، وهي الأعيب أدت إلى عدم تسلم البحرية العثمانية الطرادتين حتى دخلت تركيا الحرب ضد بريطانيا ، فأعتبرت بريطانيا الطرادتين ضمن غنائمها الحربية من تركيا ، ولعل حادثة الطرادتين وأمثالها هي التي فتحت عيني اتاتورك على خطر جاويه على تركيا ، مما أن تولى أتاتورك مقاليد الأمور في تركيا كلها حتى وضع جاويه تحت المراقبة الشديدة وبخاصة بعد أن خلف كراسا في الرئاسة العليا للمحافل الماسونية (١) في تركيا كلها . وادرك جاويه أن أتاتورك قد ينجح في الحد من تدمير اليهود للشعب التركي كما بدأ هو يفقد الأمل في الاستحواز على كمال أتاتورك وحكومته كما كان مستحوذًا في الماضي على أعضاء جمعية الاتحاد والترقي . وعندما يئس من تسخير كمال أتاتورك لاختلافه عن زعماء الاتحاد والترقي ، جمع حوله مجموعة من فلول تلك الجمعية وخاصة أصدقاء أتاتورك الطموحين المستائين من انفراده بالسلطة وميله الواضح إلى الدكتاتورية ، من أمثال عارف وهو صديق شخصي قديم لأتاتورك ورأفت وعلى فؤاد وكاظم قره باكير وعدنان زوج الأديبة خالدة وسعيد خورشيد وجميعهم أعضاء في الجمعية الوطنية (مجلس النواب) ، ليتأمروا على اغتيال كمال أتاتورك ، ولكن عين أتاتورك اليقظة تتبع حركاته ، فاعتقلوا جميعاً واعترف النائب سعيد خورشيد بأن الرئيس المدبر والممول للمؤامرة هو اليهودي جاويه . وأكدت المؤامرة شكوك أتاتورك في جاويه فلما قدم وزملاؤه

(١) أتاتورك وخلفاؤه ص . ٢٠٧ .

للمحاكمة قامت الصهيونية بحملات (١) اعلامية عالمية تطالب بالافراج عن جاويド دون محاكمة ، وانثال سيل من البرقيات على مكتب اتاترك من لندن ووشنطن وفيينا وباريس وبرلين تطالب بإخلاء سبيل جاويد الذي صدر الحكم عليه بالشنق وتدخل رؤساء دول تلك العاصمة (٢) شخصيا (لاستبدال عقوبة اخف بعقوبة الشنق القاسية) غير أن اتاترك - وقد أتضح لديه ما الحقه جاويد بتركيا من اضرار - لم يترد في التصديق على الحكم ، وأمر بأن يكون جاويد (٣) هو أول من يشنق من المجرمين الذين نفذ فيهم حكم الاعدام في فجر اليوم التالي للتصديق عليه .

أتري اليهودي جاويد يختلف كثيراً أو قليلاً عن العزيز "هنري(٤)" ؟ ان جاويد لم يأت بجديد ، فقد سار على نهج اسلافه من أمثال اليهودي يعقوب بن كلس وزير المعز لدين الله الفاطمي ، وباغوص بك يهودي ارمني كان المستشار والمتصرف المالي لمحمد على مؤسس الأسرة المالكة في مصر حتى سنة ١٩٥٣ ، والتاريخ العربي الاسلامي مملوء بأمثال من ذكرنا من الحكام واليهود . أما اليهود الانجليز فلهم لدغات في اجسام العرب قاتلة ، ولن نستطيع أن نحصيها وان كنا سنعرض قليلاً لبعضها ، فمنذ اليهودي " ديزرائيلي " الذي تولى رئاسة الوزارة البريطانية سنة ١٨٧٤ حتى سنة ١٨٨٠ بصفته رئيساً لحزب المحافظين في عهد الملكة كتوريا والذي وطأ اكتاف السياسة البريطانية لتكون في خدمة اليهود ملباً سياسته ثوباً

(١) اتاترك وخلفاؤه ص ٢٠٨ .

(٢) اتاترك وخلفاؤه ص ٢٠٩ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٠٩ .

(٤) العزيز هنري تعبير اطلقه أنور السادات على وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية السابق خادم الصهيونية الأمين هينري كيسنجر (المؤلف) .

ظاهره الحفاظ على المصالح البريطانية ، وباطنه تلمس منفعة اليهود قبل كل شيء آخر ، اذ أنه هو الذي خطط لاحتلال بريطانيا لمصر سنة ١٨٨٢ . ومصر تقع على الحدود الغربية لفلسطين وهو الذي أرغم السلطان عبد الحميد الثاني على التخلص عن قبرص لبريطانيا في ١٢ يونيو ١٨٨٧ . وشواطئ قبرص على مرمى حجر من فلسطين ، وقد زاول ديزرائيلي ضغطا شديدا على السلطان فلما لمس فيه عنادا ، القى خطابا في مجلس العموم هدد فيه " بتخلي بريطانيا عن تركيا وسلطانها اذا بقي السلطان متشددا في قضية قبرص " ، ولم يكن بلفور صاحب الوعد المشؤوم إلا نتاج تربية ديزرائيلي . واحد صنائعه منذ ان كان موظفا صغيرا ، وكذلك " سائكس " شريك " بيكو " في مشروع تقسيم الوطن العربي بين المنتصرين عقب الحرب العالمية الأولى كان ربيبا لدизرائيلي ، ومثله " هربرت صموئيل " أول مندوب سام لبريطانيا في فلسطين الذي قيد ايدي الفلسطينيين وارجلهم ، وأطلق شياطين اليهود يعربدون كما شاؤا . والاحياء من الليبيين يذكرون " بيونا حوم (١)" الذي تولى تصدير مخلفات الحرب الى أوروبا ومنها الى اسرائيل . ولا يتسع المقام الا لذكر عدد ضئيل من اليهود المعاصرین أو من رضعوا حليبا يهوديا وكانت لهم صلة ما بالعالم الاسلامي وبالحكام المسلمين في مختلف الاعصر، وفي أي ناحية من أنحاء العالم الاسلامي وخاصة أولئك النفر الذين إتمنهم المسلمون على مصالحهم وأموالهم فقابلوا الآتمان بالخيانة والفضل بالجحود منذ عصر الخلافة الأولى حتى اليوم انطلاقا من شاس وفنحاس الى الصحفى ماردوخ ورجل النفط هانس هامر مرورا بميمون القداح فيما بين النهرين الى ابن ميمون بالاندلس . أما في

(١) أثناء حكم الادارة المدنية البريطانية للمناطق الليبية الشرقية ، تحصل اليهودي ناحوم على امتياز تجميع مخلفات الحرب العالمية الثانية فجمع الاسلحة المختلفة من ميدان المعارك من دبابات ومحركات طائرات ومدافع وقنابل والغام وذخائر وصدرها الى أوروبا كحديد خردة ومنها الى اسرائيل ، أما العرب فنصبوا منها خراب الديار والموت ويترا الاطراف والتشوهات . " المؤلف "

القرن العشرين فسنذكر قلة ممن تولوا السلطة في بلادهم أو في الهيئات الدولية الذين كان لهم بحكم مناصبهم تأثير في السياسة تجاه العالم الإسلامي والعربي أمثال ليون بلوم رئيس وزراء فرنسا إلى باروخ المستشار بالبيت الأبيض لستة من رؤساء الجمهورية بالولايات المتحدة الأمريكية ، وزوج اليهودية ويلسن رئيس وزراء بريطانيا السابق مروراً بإبن اليهودية تريجفالي أول أمين عام لهيئة الأمم المتحدة والذي في عهده قامت إسرائيل، إلى ابن اليهودية الآخر الجنرال الكسندر هيج وزير خارجية الرئيس ريجن عند غزو إسرائيل للبنان، إلى عضو الشيوخ موئليهان مثل الولايات المتحدة السابق في هيئة الأمم المتحدة الذي فاق جميع من سبقه من ممثلي أميركا تأييداً لإسرائيل ومحاربة للعرب وتفوق حتى على اليهودي آرثر بيرج مثل الولايات المتحدة على أيام الرئيس جونسون . كل هؤلاء خانوا أماناتهم وباعوا ضمائرهم استجابة للموراثات اليهودية التي تخلط كروموزوماتهم .

ونحن لم نشر إلى ابناء أو أزواج اليهوديات من أعضاء برلمانات بلادهم أو رؤساء هيئات دولية لأن معظمهم طالبوا أصوات أو أموال أو مناصب وقل فيهم من لهم ضمير حي.

الفصل الثالث

التمهيد للاستعمار الایطالي لألبانيا

لم يكن خافيا على أي سياسي تلهف ايطاليا على الانفراد بألبانيا ، غير أن وجودها ضمن أملاك العثمانيين حال دون تحقيق رغبتها ، وقد اهتبلت فرصة ضعف تركيا وانشغالها في حروب ١٩١١ ، ١٩١٢ ، ١٩١٣ م فشجعت ألبانيا على الثورة ضد الخلافة فلما استقلت البانيا أطمأنت ايطاليا على أن الثمرة قد نضجت وان قطفها سيفين في قابل الأيام . وقد شاركت عوامل كثيرة في التهيئة لهذا الأمر ، اخطرها ضعف تركيا وانبعاث الحلف المقدس (١) المعقود سنة ١٧٨٤ م بين مدريد وفارساي وجمهورية البندقية والنسما مع الاحتفاظ بالحلف في سرية كاملة خوفاً من انبعاث الوحدة الإسلامية وعوامل أخرى متصلة بالسياسة الأوربية والاعيب بمسارك مستشار ألمانيا ودغدغته لعواطف الأوروبيين ، ولعلمه بطعم ايطاليا في البانيا أعلن أثناء انعقاد مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ م أنه لا وجود لشعب الباني فقامت في وجهه ثورة عارمة ومقاومة سياسية ومعنوية عنيفة هددت مصالح ألمانيا في جميع أنحاء الخلافة العثمانية اجبرتاه على التراجع عن تصريحه ، واججم بعدها زعماء الشعوب الطامحة في الاستحواذ على البانيا عن تردید مثل هذا الهزء غير أنهم أضمرموا للشعب الالباني الشر ، وسنت الفرصة في نهاية الحرب العالمية الأولى ، فألحق ٤٠٪ من الشعب الالباني بيوغسلافيا وضمت أراض

(١) هو حلف تم بمباركة البابا بين إسبانيا والبندقية وجنو ومالطا غايتها محاربة القوة الإسلامية الكبرى أئذ وهي قوة الدولة العثمانية (المؤلف) .

تجاوز ٥٠٪ من أراضي البانيا الى جاراتها : منها ٨٠٪ الى يوغسلافيا و ١٨٪ الى اليونان و ٩٪ الى بلغاريا .

ومنذ أن تم توحيد إيطاليا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أخذت تتطلع إلى تكوين مستعمرات أسوة بالدول العظمى التي سبقتها في هذا المجال واحتلت أغنی المستعمرات بالمواد الأولية المعدنية أو الزراعية الازمة لصناعتها ، والتي تحوى عدداً كبيراً من السكان يكونون سوقاً استهلاكياً لمنتجات مصانع الدول الاستعمارية ،

ومنذ مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ وهو المؤتمر الذي سمي " بمؤتمر المسألة الشرقية " وهو في الحقيقة إنما عقد لتقسيم أملاك السلطنة العثمانية بين الدول الأوروبية ، فيه انتزعت بلغاريا جزءاً كبيراً من أراضي تركيا في أوروبا وفيه اتفق في الخفاء على خطة أوجى بها بسمارك رئيس وزراء المانيا ب التقسيم " تركية الرجل المريض " الخلافة العثمانية ليشغل أوروبا بالخلافات بين دولها عن التفكير في مشاريعه لبناء المانيا الموحدة حديثاً والتي شكلت بالفعل قوة قادت باعلان الحربين العظيمين خلال أقل من ربع قرن وهما حربان كلفتا أوروبا الكثير من الضحايا البشرية والخسائر المادية ويكفي لتصویر بشاعتها أن الحرب العالمية الثانية اودت بحياة خمسة وخمسين مليون نسمة هلكوا بسبب الحرب ، إما في ميادين القتال أو بسبب الغارات الجوية أو معسكرات الاعتقال والأسر ، كل ذلك بسبب نجاح خطة بسمارك في شغل أوروبا في التنافس على اقتناص المستعمرات بينما هو يبني المانيا في غفلة منها ، وصادفت دعوته هو في نفس إيطاليا ، ومنذ ذلك الوقت قررت إيطاليا أن تكون حصتها في تركية الرجل المريض هي :

البانيا - ليبيا - الدوديكانيز - اليمن . وخططت لاستعمار هذه المناطق

الأربع خططا نجحت ثلث منها خلال ٦١ سنة ، بدأت بليبيا سنة ١٩١١ فالدوديكانيز سنة ١٩١٩م فالبانيا سنة ١٩٣٩م فكوسفو سنة ١٩٤٠م بالاشتراك مع الألمان أما اليمن فلم يتسع لها الوقت لاحتلالها ، ولم يبق لها من هذه المستعمرات شيء بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية ، وكما ذكرنا ، فان ايطاليا كانت عينها على البانيا منذ ١٨٧٨م وقد تمت مباركة بريطانيا لاستيلاء ايطاليا على البانيا ، بينما لم تسمح لها باحتلال ليبيا الا بعد عشرين سنة وسجلت هذه الموافقة في رسالة من وزير خارجية بريطانيا اللورد ديربي سنة ١٨٩٨م أما جزر الدوديكانيز فلم توافق بريطانيا على تمكين ايطاليا من احتلالها الا كثمن لتخلی ايطاليا عن الحلف الثلاثي الذي يضمmania وامبراطورية النمسا / المجر وايطاليا ، والانضمام إلى الحلفاء في الحرب العالمية الأولى . وتخلت ايطاليا عن الحلف الثلاثي (١) ثم اعلنت الحرب على النمسا حليفتها حتى اسابيع قليلة قبل اعلان الحرب . وكان دورها بارزاً في اعداد وتشجيع الضابط الطموح أحمد زوغو على تولي السلطة كرئيس وزارة أولاً ثم حاكما مطلقاً ثم ملكاً ودام حكمه للبانيا منذ اعتراف ايطاليا ودول الحلفاء باستقلالها إلى أن عزلته ايطاليا عن العرش سنة ١٩٣٩م باستثناء فترة صغيرة سنة ١٩٢٤م اضطر فيها إلى اللجوء إلى يوغسلافيا ونرى ايطاليا تحذو حذو بريطانيا في صناعة الملوك فتصنع أحمد زوغو على عينها ، وتربيه وترعااه ولتدعم حكمه تقرضه (٥٠) مليون ليرة

(١) الحلف الثلاثي كان يضم الامبراطورية الالمانية و الامبراطورية النمساوية المجرية و مملكة ايطاليا . وقد تخلت ايطاليا عن حليفتها مستغلة مادة في معاهدة تكوين الحلف تنص على أنه على أي عضو أن يسارع إلى مساعدة أي عضو آخر يتعرض للهجوم . و لما كانت النمسا هي البادئة بمحاجمة صربيا فلم تر ايطاليا أنها ملزمة بالحرب مع حلفائها ولم تثبت أن فعلت العكس (المؤلف) .

(٢) منحت ايطاليا أحمد زوغو رئيس الجمهورية آئند قرضا قدره خمسين مليون ليرة ذهبا ليكون رأسمال لصرف البانيا المركزي الذي منع حق اصدار العملة الالبانية عن كتاب la Politica dell' Italia in Albania P.2.

ذهبية قرضاً تعلم ايطاليا أنه سيعجز عن رده ، وتعلم أيضاً أن القرض سيخضع زوغو لنفوذها لتهيئين على البانيا ما شاعت ، وهذا ما حدث بالفعل طيلة العقدين الواقعين بين الحربين العالميتين ، حيث تولت تدريب جيش زوغو وتسلیحه بينما تولت بريطانيا تدريب الشرطة الالبانية وتسلیحها ، ووجهت ايطاليا سياسة البانيا الخارجية (١) وسياستها الاقتصادية وربط الـلـيك الـلـيـانـي بالـلـيرـة الـاـيـطـالـيـة .

(١) في خريف سنة ١٩٢٥ أرغمت ايطاليا أحمد زوغو رئيس جمهورية البانيا انذاك على توقيع ميثاق سرى احتوى مواد يمكن بعضها ايطاليا من إحكام هيمنتها على شؤون البانيا الاقتصادية والعسكرية وعلى سياستها الخارجية وإغراء زوغو بتوقيع الميثاق قبلت ايطاليا أن يضمن الميثاق مادة "نصبها ثلتزم ايطاليا بأن تأخذ في اعتبارها مستقبل جميع الشعوب الناطقة باللغة الالبانية عند اجراء مفاوضات سلام تكون ايطاليا طرفا فيها [المقصود هم سكان مقاطعة كوسوفو في جنوب يوغسلافيا] المصدر السابق ص ٣ .

(٢) في أول أبريل ١٩٣٩ ارسل موسوليني رسالة شخصية إلى الملك زوغو ووضح له فيها ان التحالف بين بلديهما ينبغي تقويته بتوحيد شعبيهما ويربطهما بحيث يكون لهما قدر واحد ومصير واحد وأنه يحمله مسئولية عواقب رفض مقترحة . واتبع موسوليني خطابه ذاك باذار نهائى قدم لزوغو عند العاشرة من صباح السادس من أبريل نفسه مع التشديد على أن لا يتاخر الرد عليه عن الساعة الثانية عشرة من ظهر نفس اليوم .
نفس المصدر ص ٣٥٧ .

البانيا وايطاليا

في سنة ١٦٧ (١) قبل الميلاد احتل الرومان البانيا - الليريا كما كانت تسمى آنذاك - وتعاقب على حكمها غزاة كثُر سُنُعرض لبعضهم في فصول لاحقة . أما ايطاليا المعاصرة فقد اقدمت على احتلال البانيا فجر يوم ٨ أبريل ١٩٣٩ م قاطفة ثمار تمهيدها (٢) لهذا الغزو منذ مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ م مما يفسر احتفاظها بعلاقات متينة مع الشعب الالباني منذ اقدم العصور و على الاخص العلاقات التجارية والدينية والاجتماعية ، ولازاللت تحفظ بهذه العلاقات حتى يومنا هذا (مع ملاحظة أن العلاقات الدينية أختفت في الظاهر منذ سنة ١٩٦٧ م) وكعربون لهذه الصداقة الشعبية المتواصلة جعلت ايطاليا أرضها ملأً مريحاً لكل الباقي هاجر اليها منذ عصور الحروب القبلية والإقليمية الالبانية أو في أثناء الغزوات الأجنبية للألبانيا . ولجأ الكثيرون الى ايطاليا وخاصة جنوبها في مناسبات شتى أشهرها ما تم عقب كل من الغزو النورماندي والعثماني وعقب انتصار الشيوعيين على الجبهة الوطنية (باتى كوبيتار وحزب ليقاليتى) سنة ١٩٤٤ م وأخرها - وان كانت باعداد قليلة - الهجرات التي حدثت عقب عمليات التطهير الرابع التي قام بها انور خوجة في السنوات ١٩٤٨ م و ١٩٧٥ و ١٩٨٣ . ولقد حافظ الشعب الایطالي على هذه الصلات

(١) NATIONAL GEOGRAPHIC N.H VOL . 158,P.359 .

(٢) أوضح مظاهر هذا التمهيد كانت :

أ - رعاية زوغو . عندما كان رئيساً للوزارة ومده بالخبره والمالي .

ب - الميثاق السري الذي وقعته معه سنة ١٩٢٥ .

ج - معاهدة صداقة وتأمين سلامه وقع بينها في ١٩٢٦/١١/٢٦ .

د - تحالف عسكري دفاعي وقع بينهما رفي ١٩٢٧/١١/٢٢ م . (المؤلف)

عن . LA POLITICA DELL ITALIA P.22-23-356

حتى في الأزمنة التي كانت ايطاليا مقسمة الى دواليات متحاربة فيما بينها أو تابعة لدول عظمى كاسبانيا وفرنسا . ويقدر عدد اللاجئين اللبنانيين منذ سنة ١٩٤٤ بمائة الف لاجئ ويجد الكاثوليك منهم ترحيبا من الكنيسة وتقدم لهم كافة التسهيلات ، وعلى العموم فالمهاجر اللبناني بقطع النظر عن عقيدته لا يتعرض للقيود التي يتعرض لها غيره من المهاجرين اذ يجد أبواب الجامعات الايطالية ومعاهدها حتى العسكرية مفتوحة أمامه .

ومن مظاهر العون الذي تقدمه ايطاليا نجد ان الأدوية والملابس والخيام والأغطية والأطعمة ارسلت سرا الى البانيا عندما ضربها زلزال في أبريل سنة ١٩٧٩ . وقد قبلت البانيا هذه المعونة دون غيرها من المعونات التي عرضتها الدول أو وكالات الأمم المتحدة لأن المساعدات الايطالية لم يصاحبها ضجيج اعلامي .

سهل اللبنانيين قرب باليرمو

قرب باليرمو عاصمة صقلية يقع سهل اللبنانيين ، وهو سهل بين قمم بعض المرتفعات يجاوره موقع يعرف بمورد الخيل (هو اسم عربي للموقع بقى على حاله في لغة الصقليين كما ورثوه عن العرب) وقد اتخذه المهاجرون اللبنانيون موطنًا لهم عندما هاجروا في موجات متلاحقة بين سنتي ١٤٧٨ و ١٥٠١ وتكاثروا فيه حتى عرف باسمهم . واعتمدت التسمية جغرافيا في الخرائط الرسمية كما سبق أن اعتمد اسم مورد الخيل . وقد سألت أحد المعمرين اللبنانيين المهاجرين عن سبب اختيار هذا الموقع بالذات من قبل المهاجرين اللبنانيين . وانقل اليكم اجابته كما دونتها حرفيًا في

مذكري :

"أثناء الحروب القبلية التي وقعت في منتصف القرن الرابع عشر هاجر بعض أفراد القبائل من لم يتحملوا ذل الهزيمة ومواجهة أفراد القبائل المنتصرة . وكانت هجرتهم إلى ماوراء بحر البنان . فنزلوا من مراكبهم في مدينة " ليتشي " على الساحل الإيطالي المقابل للساحل اللبناني فلما تكاثر عددهم وضاق بهم المكان وتعدد المنازعات بينهم وكثُر احتكاكهم بالإيطاليين أصحاب الأرض اندفع المهاجرون يبحثون عن موطن وعمل يعيشون من كسبه، فأنطلقوا إلى مناطق مختلفة في الوطن الإيطالي فذاب بعضهم في الوطن الجديد وتقطّع بعضهم في بقاع معينة أشهرها السهل الذي لا يبعد عن باليرمو أكثر من عشرين كيلو متراً فحمل اسمهم . وعندما نشطت الهجرة بعد أن غزا جيش جمهورية البندقية البنان سنة ١٤٧٨ تضاعفت الهجرة طيلة الستين والعشرين سنة اللاحقة . فلما خرج جيش البندقية واستقر الأمر للعثمانيين زادت موجات الهجرة ، وكان كل مهاجر يحاول دائماً أن يعيش مع أبناء قبيلته أو بلته مما جعل السهل المجاور لباليرمو يمتلئ بهم حتى حمل اسمهم ، وعلى أي حال فليس كل الباني كان قادر على الاحتفاظ بـالبانية نقية ، فتحت إغراء العمل والزواج وتأثير الكنيسة اندمج عدد كبير من المهاجرين اللبنانيين في الشعب الإيطالي . ولم يمض قرن من الزمان حتى صاروا إيطاليين لغة وعادات واذواقاً ومعتقدات . وهذا يلاحظ بوضوح حتى في يومنا هذا ، فعندما نجتمع في مهرجاننا السنوي في هذا السهل يحضر الكثير من هم من أصل الباني للمشاركة فيه غير أن الكثير منهم لا يعرف إلا أقل القليل من التقاليد والعادات الالبانية في الرقص والغناء الشعبيين ، ولم يبق لديهم إلا القليل من القدرة على تذوق الموسيقى الالبانية القديمة " .



من الرقص الشعبي اللبناني، الذي لا يزال له وجود، باعتباره جزءاً من هوية وتراث أهل الإقليم، رغم أنه شديد التأثر بالمرحلة العثمانية. ويكون بشري غريب في أوروبا، ينطلق بالعادات الشرقية. المقدمة من كوسوفينا، لكنها مكررة في كل بلد في المشرق (إلى اليسار).

ألانيا واليونان

في الثالث من ديسمبر ١٩٨٢ قام "كارلوس بابولياس" وزير خارجية اليونان بالوكالة بزيادة ل Tirana وقع خلالها اتفاقيات تتعلق بالنقل الجوي والمواصلات والعلاقات العلمية والثقافية مما يوحي بتحسين العلاقات .

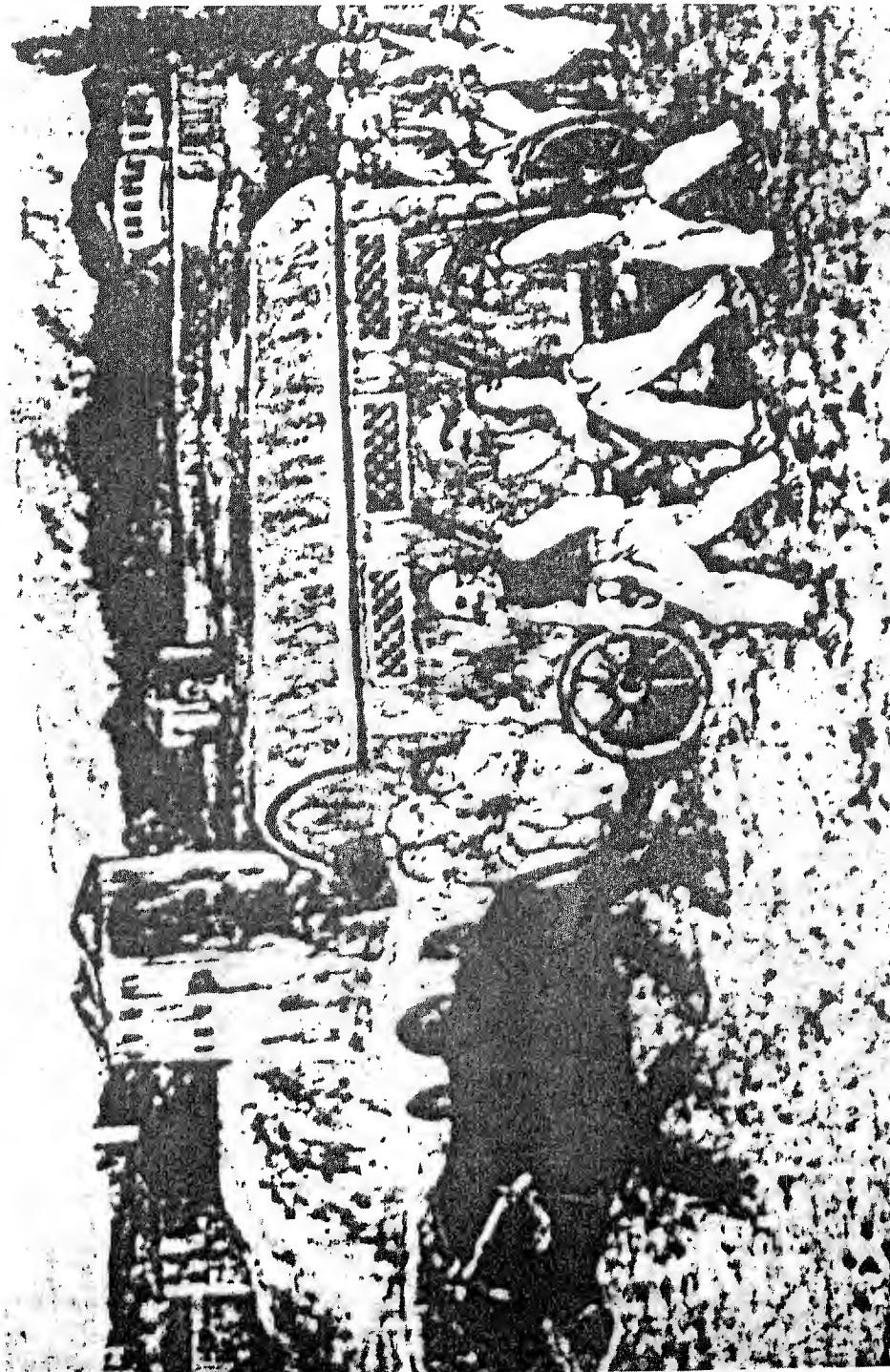
وعلى الرغم من مظاهر التحسن في العلاقات التي تطفو على السطح من حين إلى آخر إلا أن تردي العلاقات له جذور تاريخية عميقة بعضها سابق لسنة ١٣٨٩ م (١) وكانت هناك حروب سكان سلسلة الجبال الفاصلة بين مقدونيا والأراضي الألبانية التي استمرت عشرات السنين . كان هذا قبل الإسلام ، وكلا الجانبين المتحاربين مسيحي واثوذكسي وكان لليونان - دوما دور ملموس في تقسيم البانيا إلى دولتان إعمالاً لمبدأ انقسام الخصم إضعاف له ومن ضعفه قوة لمنافسه ولعل أبرز تلك الحوادث قيام إدارة كاستريوتى وسعيها لضم بقية الإمارات إلى بعضها لتقوى على محاربة اليونان ، غير أن الحروب بين تلك الإمارات أدى - كما هو الحال دائماً إلى قيام اليونان بنجدة بعضها توطة لابتلاع ذلك البعض بعد أن يكون قد استنزفت قواه في الحروب مع الإمارات الأخرى .

وفي أوائل القرن الرابع عشر الميلادي كانت البانيا مجزأة بين ثمانية Emirates مستقلة ، متصارعة فيما بينها حول مشاكل الحدود والمياه والمراعي ، وهذه الإمارات هي على الترتيب من الشمال إلى الجنوب : بالشأن دوكاجين



عندما يلتقي أبناء البلد ويحنون الى رقصاتهم الشعبية بالسيوف ، يرقصون على دقات طبول الحرب !

لوحة عرس كوسو فاري للفنان اللبناني عبد الرحيم بوظا، العروسان في عربة مقفلة يجرها اثنان من الشيران.



صلیل ۱۶۰ - دیسمبر
کانون (۱) ۱۹۸۱



- طوبيا - كاستريوتي - فوزاكي - ماريانيتي (سميت ارناوط أثناء الحكم العثماني الأول) - كامونين - شيشتا - فلما غزا العثمانيون البانيا سنة ١٤٣١ خضع امراء هذه الامارات للحكم العثماني واحد تلو الآخر . ورغم الثورات التي تفجرت هنا وهناك ، ورغم مقاومة ولاية كاستريوتي بقيادة اسكندر بيرج فقد انتهت البانيا الى خضوعها كلها للحكم العثماني سنة ١٥٠١م . واشتهرت هذه السنة بفرار عشرات الالاف من الالبانيين الى جنوب ايطاليا . وقد شاهدت بنفس آلafa من ذرية أولئك المهاجرين يتقاطرون من مختلف أنحاء ايطاليا على سهل الالبانيين المجاور لباليرمو للمشاركة في حفل أحيا ذكرى هجرة اجدادهم من بلادهم . وكان حضوري تلبية لدعوة من أحد اصدقائي الالبانيين الذين عرفتهم منذ أن كنا زملاء دراسة بالقاهرة .

"اما اسكندر بيرج الذي قاوم الاتراك مدة ربع قرن وعطل زحفهم فهو جورجي كاستريوتي " يقال أنه من نسل امراء كاستريوتي ارسل طفل رهينة الى قصر السلطان في اسطنبول لضمانته ولاء اسرته للسلطان العثماني كما هي العادة في ذلك الزمان . وهناك ربي تربية عالية في الحكومة العثمانية وحصل على رتبة البيكوية مع صغر سنّه ، فكان موضع اعجاب كبار رجال السلطان وقادوه العسكريين ، فلما عين قائدا عسكريا في ولاية كاستريوتي تمرد على السلطان العثماني سنة ١٤٤٥م بعد أن استمال الفرسان الالبانيين الذين كانوا ضمن الحامية التركية في الولاية وعددهم ٣٠٠ فارس، وأنضم اليه الناقمون على الحكم العثماني ، كما أنضم اليه المغامرون وطلب الغنائم ، فلما أحس بقوته أعلن مطلبـ الحـقيقـيـ الذي ثـارـ منـ أـجلـهـ وهوـ حقـهـ فيـ حـكمـ الـولـايـةـ باـعـتـبارـهـ الـوارـثـ الـكـفـءـ الـوحـيدـ منـ بـيـنـ أـبـنـاءـ الأـسـرـةـ الـحاـكـمـةـ السـابـقـةـ فيـ اـمـارـةـ كـاسـتـرـيـوـتـيـ . واستجـلاـباـ لـرـضاـ الـمـسـيـحـيـنـ الـذـيـنـ مـازـالـواـ

يحنون الى الحكم المسيحي الذي كان لهم فيه الكلمة العليا ،أعلن اسكندر ارتداده عن الاسلام ، ففارقه المسلمون من جنوده الذين ثاروا معه عند قيامه بالتمرد ، ولكن أفواجا كثيرة من المسيحيين سدوا الفجوة التي أحدثها مفارقة المسلمين له واستمر اسكندر رمزا للمقاومة ضد العثمانيين حتى وفاته سنة ١٤٦٨ م بعد أن قاوم العثمانيين ٢٥ سنة هزمهم فيها على أيام مراد الثاني وأوقف تقدمهم .

ومع أن اليونانيين قد خضعوا سنة ١٤٥٢ - للحكم العثماني كما خضع غيرهم من سكان شبه جزيرة البلقان ، إلا ان اليونانيين عملوا دائما على استثارة الالبانيين ضد العثمانيين دون أن يعنوا بمن يقتل في تلك الانتفاضات ، اذ القاتل والمقتول كلهم عدو لليونان سواء أكانوا الالبانيين أم عثمانيين . وفي عصرنا نحن لم تتوقف اليونان منذ ٧٥ سنة (١) عن المطالبة بمقاطعة " ايبيروس " الشمالية وهو الإسم الذي تطلقه اليونان على المقاطعة الجنوبية لالبانيا ورغم عجز اليونان عن احتلال الالبانيا إلا أن الرغبة في ذلك الاحتلال لم تمت قط في صدورهم . وسننرب صفحـا عن تفاصـيل ماضـي العلاقات بين ذينك البلدين ونتحدث عن هذه العلاقات منذ انهيار الدولة العثمانية أو قبله بعقد من السنين، أى منذ أوائل هذا القرن، فالاليونان منذ استقلالها عن تركيا سنة ١٨٢١ م كانت على رأس المعارضـين على قيام دولة مستقلة في الالبانيا . ففي سنة ١٩١٢ م - ورغم تحريضـها الشـديد ضد العـثمـانيـين واستغـلـالـها لانشـغالـ تركـيا فيـ الحـربـ معـ اـيطـالـياـ قبلـ توقيـعـ اـتفـاقـيـةـ " اوـشيـ"ـ وـاستـثـمارـهاـ لـحـادـثـ " كـورـفوـ"ـ (٢)ـ المعـروـفـ ،ـ فـانـهاـ لمـ تـخـفـ

(١) National Geographic N° 4 Volume 158 P 52

(٢) في ديسمبر ١٩١١ قصفت بارجة ايطالية جزيرة كورفو العثمانية آنذاك.

طمعها قط في جزر الدوديكانيز^(١) وفي البانيا ، وان لم تتمكن من تحقيق ذلك الاحتلال في أثناء حربها مع ايطاليا عندما استولت على جزر الدوديكانيز كلها وعلى ربع البانيا وذلك أثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥-٢٩ م الى أن طردها منها الالمان (حلفاء الايطاليين) ، واستمر الاحتلال الالمان لها حتى طردتهم الحلفاء من جميع دول البلقان في خريف ١٩٤٤ م ورغم انسحاب جيش المحور من البانيا لم تستطع اليونان احتلالها مثلاً أاحتلت الدوديكانيز لانشغالها في حرب أهلية شرسة قامت بين القوات اليمينية واللبرالية من جهة و بين الشيوعيين اليونانيين (حزب أ.م) من جهة أخرى ، ولعب التعصب الديني الارثوذكسي والكاثوليكي في البلقان وبخاصة في اليونان ويوغسلافيا والنمسا دوراً في توصيل السلاح الى القوة الشيوعية في البانيا على اعتبار أن خسارة أي الطرفين المتنازعين في البانيا هو لصالح اليونان وجيرانها ، حيث سيكون الخاسر هم المسلمين والشيوعيون وكلهم اعداء في نظر اليونانيين الواثقين من عون أمريكا وبريطانيا لهم ضد الشيوعيين اليونانيين (حزب أ.م) اما الحرب الأهلية في البانيا التي استغلها اليونانيون واللحفاء فقد كانت قائمة بين القوى الاسلامية المكونة من الجبهة الوطنية " بالي كوبيتار" وحزب " ليغاليتتي" وانضم اليهم جميع المسلمين الذين شعروا بخطر الشيوعية على عقيدتهم من جهة والحزب الشيوعي الذي يقوده أنور خوجة من جهة أخرى . ورغم كل هذه الملابسات لم تنس اليونان قط اطماعها في الاستيلاء على البانيا ، مع علمها بشدة شره يوغسلافيا لاتهام البانيا ، وفي أثناء اجتماعات مجلس الصلح الذي أقر معاهدة فرساي الشهيرة عقب نهاية الحرب العظمى الأولى

(١) أربع عشرة جزيرة في البحر الأيوني يسكنها أقوام من اليونان والترك والألبان أشهرها جزيرة رودس فتحها المسلمون سنة ١٥٢٢ وبقيت جزءاً من الخلافة حتى سنة ١٩١٩

Encyclopedia britannica Volume 10 P.801

تقدم مندوب اليونان الى زميله مندوب يوغسلافيا في ذلك المجلس ، عارضا عليه السعي المشترك في سبيل اقناع مجلس الصلح لتمكين البلدين من تقسيم أرض البانيا وشعبها بين البلدين ليضم الجزء الشمالي من البانيا الى يوغسلافيا فيكون ذلك الجزء مع مقاطعة كوسوفو الجمهورية السابعة في اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية ، ويضم الجزء الجنوبي ومنها الى مقدونيا اليونانية ، غير أن مساعي ايطاليا الخفية التي لم يكن طمعها في البانيا مجهولا عند المتكلبين على التهامها حال دون نجاح اليونان على الرغم من أن النفوذ اليوناني في البانيا قوى جدا بسبب انتشار الارثوذكسية المسيحية بين الالbanيين اذ تصل نسبتها الى ٥٧٪ ، ولقربهم جغرافيا الى عاصمة الارثوذكسية في [اثينا] فمنذ انفصال الكنيسة الارثوذكسية الشرقية وتسمى أيضا الكنيسة اليونانية الذي تم سنة ١٠٠٤م لم يستطع أي مذهب مسيحي مزاحمة المذهب الارثوذكسي اليوناني ، وبالرغم من رغبة اليونان الشديدة في ضم البانيا اليها إلا أنها لم تفلح قط في تحقيق هذا الحلم . وكلما نجحت فيه هو الحيلولة دون انتشار المذهب الكالفيني(١) المتعصب فليس بين الالbanيين مسيحي واحد يدين بالكالفينية كما وقفت في وجه المذهب البروتستانتي فعدد اتباعه لا يتجاوز مائتين وخمسين فرداً

(١) مذهب مسيحي انشأه الفرنسي جون كالفي ، واقامه على أساس أن المسيحية فرع من اليهودية ويرى الاخذ بالاراء اليهودية كلها باستثناء إنكار اليهود للمسيح ومركزها في جنيف (المؤلف) .

البانيا وبريطانيا

بعد سقوط فرنسا تحت ضربات الألمان وإنسحاب جيوش الحلفاء وبخاصة الانجليز من البلقان وإستيلاء ألمانيا على كل أوروبا باستثناء البرتغال وأسبانيا وسويسرا والسويد ، دخلت إيطاليا الحرب في يونيو ١٩٤٠ زاحفة على اليونان بجيوشها المتجمعة في البانيا . غير أن الشعب اليوناني لم يقاوم الغزو الإيطالي فحسب ، بل ردّه على أعقابه ، ثم طارده داخل البانيا نفسها ، وتمكن اليونانيون من إحتلال ربع البانيا ، ولعلهم كانوا سيحتلونها كلها لو لم تسارع ألمانيا إلى نجدة الجيوش الإيطالية ، وعقب إعلان هتلر الحرب على روسيا في يونيو ١٩٤١ نشطت حركات المقاومة للإحتلال الألماني في معظم الدول الأوروبية وكانت أوضح ما يكون في فرنسا وفي البلقان وسارع الحلفاء إلى نجدة حركات المقاومة ، وقامت بريطانيا بإدخال أربعة عملاء في سرية مطلقة إلى البانيا المحتلة ، عرفوا في تاريخ الجاسوسية باسم الفرسان الأربعة .

وانضموا فور وصلولهم إلى قيادة المقاومة الشيوعية التي يقودها أنور خوجة وهي فرقة من فرق الحركات الشعبية الكثيرة التي تصدت لمقاومة الإحتلال الإيطالي المشتركة ، غير أنها إشتهرت بأنها أشد الفرق شراسة وميلًا إلى إقتراف أبشع وسائل التعذيب لمن يقع في أيديهم من الأسرى ، كما أنها كثيراً ما عمدت إلى عدم المبالغة بأرواح الأبراء حتى من مواطنيها إذا كان في موتهم إلحاقي ضرر بأعدائهم الألمان والطليان ولم تمض أسابيع قليلة حتى إكتشف الفرسان الأربعة أن ولاء أتباع أنور خوجة كان خوجة كان موجهاً إلى الاستالينية دون البانيا أو غيرها من البلاد ، بما في

ذلك بريطانيا التي تمد هذه الفرقة بكل أسباب الحياة ، وأسباب الحرب . فنصحوا حكومتهم بضرورة التخطيط لكافحة الشيوعية فورا، لمواجهة ماتوقعوه من مشاكل ستثيرها بمجرد إنتصار الحلفاء وتفرغ الشيوعيين لنشر عقيدتهم ، مما سيضطر المعسكر المقابل لكافحتهم ويرون وجوب إعداد خطة دقيقة عملية تمكن من القضاء على حركة الدعوة الشيوعية في مهدها وأن يكون الأمر حاضرا في أذهان الحلفاء عند مفاوضات الصلح فلا يتخلون عن الساحات الخطرة استراتيجيا لتبسيط فيها الشيوعية نفوذها .

وعلى الرغم من هذا التنبؤ الصادق الذي أثبتت الأحداث بعد نظر من نادى به، وفي قمتها الحرب الباردة بين المعسكر الشيوعي والمعسكر الآخر الرأسمالي التي أدت إلى خلافات كادت تجر العالم إلى حرب مدمرة ، على الرغم من هذا كله قررت الحكومة البريطانية مساندة أنور خوجة وحزبه لما برهنوا عليه من كفاية قتالية عالية ضد قوات المحور . وقد أوضح تقرير بريطاني مرفوع إلى وزارة الحرب (١) أن المقاتلين الشيوعيين في ألبانيا هم من أفضل المارعين ، ويقول التقرير : أما أنصار الجبهة الوطنية فهم رجال كلام " صالونات " لهذا يتعين على بريطانيا تقديم جميع المساعدات (٢) للمقاتلين الذين برهنوا على إتقانهم لفن قتل الأعداء والقيام بأعمال تكفل بإدخال الرعب البالغ في قلوب الجنود الألمان .

(١) وزارة الحرب هي مجلس وزراء بريطاني خاص مكون من وزراء الحرب والخارجية والبحرية والإنتاج الحربي والمالية والمستعمرات وبعض رؤساء وزراء دول الكومنولث أشهرهم الجنرال اسموتيس رئيس وزراء جنوب أفريقيا أثناء الحرب العالمية الثانية (المؤلف) .

(٢) Year Book on International communist affaires 1983 P. 248.

وفي خريف ١٩٤٤ ربح جيش التحرير الوطني الحرب بمساعدة الحلفاء وبخاصة بريطانيا. وفي أكتوبر من ذلك العام أرسلت وزارة الحرب تعليماتها إلى قيادة الجيش البريطاني في جنوب إيطاليا وقد جاء فيها .

« لا يبدو أنه في إستطاعتنا الحيلولة دون ولادة حكومة شيوعية فيألبانيا عقب الحرب ، ومن المؤكد أن زعماءها سيتوجهون نحو روسيا نشداً للمساعدة لذلك فإن هدفنا الآن هو توثيق الروابط مع المقاتلين الشيوعيين لنتمكن مستقبلاً من التأثير على تلك الحكومة ». وقد نفذ الشرط الأول من السياسة التي أذت إلى قيام حكم شيوعي في ألبانيا في نوفمبر ١٩٤٤ وفي الأول من مايو ١٩٤٥ تم الإتفاق على إقامة بعثة دبلوماسية بريطانية في تيرانا مكان البعثة العسكرية التي ساعدت على تدريب فصائل الشيوعيين وزودتهم بالمال والأسلحة والذخائر والتموين بينما، أهملت الفصائل الأخرى وحرمتها حتى من السلاح الخفيف الذي يدافعون به عن أنفسهم، ووسائل الإتصال السلكي واللاسلكي التي تمكّنهم من طلب النجدة عند الحاجة .

وفي الخامس عشر من أكتوبر من نفس السنة قذفت المدفعية الألبانية مدمرتين بريطانيتين في مضيق كورفو (١) .

ومن سخريات القدر أن المدافع التي ضربت المدمرتين من ذوات ٢٥ رطلًا كانت من الأسلحة التي أوصلتها بريطانيا إلى أنور خوجة من أسلحة الجيش الثامن الموجود في ليبيا في ذلك الوقت ، ومن الطبيعي أن تتحج بريطانيا

(١) كورفو جزيرة يونانية يفصلها عن الساحل الالباني أربعة كيلومترات (المؤلف) .

إحتجاجاً شديداً، كما أنه من الطبيعي أن تعتذر ألبانيا عن هذا العمل غير المعقول ثم عرفت الغاية من هذا القذف عندما أغفلت ألبانيا مضيق كورفو وإعتبرت مياهه مياها إقليمية لها. ومنعت المرور فيه، ولم تلق بالاً لإحتجاجات أصحاب الأساطيل العربية والتجارية الضخمة، بله أصحاب السفن الصغيرة أو تلك المملوكة لدول ضعيفة وما زال هذا الحجر قائماً حتى هذا اليوم.



وكاحتجاج بريطاني على هذا القذف سحب بريطانيا بعثتها الدبلوماسية وقطعت العلاقات مع ألبانيا وهي علاقات لم يعد ربطها حتى هذا اليوم، فالبانيا ترفض إعادة العلاقات مالم تستعد الـ ٢٤٥. كيلو ذهب المملوكة لألبانيا والتي نقلت من خزائن ألمانيا وأودعت في بنك إنجلترا، وببريطانيا لاتفاق على إعادة الذهب قبل حصولها على تعويض عن المدمرين المشار إليهما، وهي تتحج الآن أيضاً بضرورة تسوية تعويضات تطالب بها أمريكا عن حادث مماثل لم تدفع لها ألبانيا تعويضاً عنه بعد.

دور بريطانيا إرادياً ولا إرادياً في خلق ظاهرة "أنور خوجة" في ألبانيا :
- كيم فيليبي الجاسوس британский الشهير في الشرق الأوسط ودوره في حماية أنور خوجة من مؤامرات خصمه :-

لم تكتشف بريطانيا أن ركيزة تجسسها الكبرى في الشرق الأوسط كيم فيليبي هو في نفس الوقت جاسوس للروس رغم أنه سليل الحاج عبد الله فيليبي جاسوسها الأكبر في بلاط الملك عبد العزيز آل سعود ، وكيم هو تلميذ "فرييا استاك" الأديبة الكاتبة البريطانية الشهيرة عميدة الجواسيس الإنجليز في أثناء الحرب العالمية الثانية وهي التي دفعت بكيم إلى أعلى المناصب في

سلك التجسس وإن لم تعلم قط حتى سنة ١٩٦٢ أن كيم كان جاسوساً روسياً لدواتع عقلانية منذ سنة ١٩٣٠ وإن ولاءه للشيوعيين أعظم بكثير من ولائه لبريطانيا، ولهذا السبب كان يمد الروس وبالتالي الدول الشيوعية الموالية لموسكو بكل ما يهمها . وبحكم كون كيم فيلبي أحد صفة أجهزة التجسس البريطانية فقد كان يعلم بجميع المحاولات للقضاء على أنور خوجة ونظامه سواء تلك التي نظمها معارضوه من اللبنانيين (١) وتلك التي أعدتها أمريكا وبريطانيا ،فكان فيلبي يحيط موسكو بتفاصيلها ودقائقها قبل أن تصل إلى علم كبار المسؤولين الإنجليز، ومن الطبيعي أن تعلم موسكو بدورها حليفها أنور خوجة بما يدبر له فلا يصل المتأمرون إلى ألبانيا إلا وتكون قوات أنور خوجة في إنتظارهم فتقتل من تقتل وتتأسر من تأسر فلا ينجو منهم أحد .

واستمر أنور خوجة يحاط علماً (٢) بما يدبر له خارج حدود بلاده بفضل كيم فيلبي الجاسوس البريطاني المزدوج وذلك إلى قبيل إكتشاف أمره وإضطراره للهروب إلى روسيا يوم ٢٤ يناير ١٩٦٣ .

(١) كتاب الخيانة العظمى عن مطبوعات دار فلا ماريون الفرنسية لسنة ١٩٨٥

(٢) أذاعت محطة تيرانا يوم ١٩٨٢/٩/٢٨ أن عصابة من اللبنانيين المهاجرين قد هاجمت الساحل اللبناني وقد اكتشفت العصابة خلال خمس ساعات وصفاها الجيش وكان المغامرون مسلحون ببنادق اوتوماتيكية ومسدسات ومناظر وأجهزة إرسال واستقبال إذاعي . وقد الحملة جودة مصطفى زعيم حركة مضادة لنظام خوجة الشيوعي . عن Keessing Volume XXIX P.31971

البانيا ويوغسلافيا

تحليل تطور العلاقات الالبانية - اليوغسلافية

الحادية ١٩٦٨ / ١٩٨٣ .

ليس من رقعة أرض في المعمورة بهذا الضيق النسبي ازدحم فيه هذا العدد الوفير من الأعراق البشرية ، كل عرق يريد أن لا يحكم نفسه فقط ولكنه يطمع أن يكون مستقلًا، ويحكم في نفس الوقت الآخرين ، وقد نشأ عن هذا الوضع صعوبات جمة أدت إلى تطاحن ترتب عليه مشكلات أخطرها الصراع العرقي ،إليه إختلاف النظرة السياسية والاقتصادية والعائدية . ومامن خلاف في شبه جزيرة البلقان أشد خطراً من ذلك الذي حدث بين البانيا ويوغسلافيا رغم وحدة نظرتهما حيال الكثير من المشكلات السياسية ، ورغم أن كلا البلدين هو اشتراكي شيوعي وإن افترقت بهما السبل ، فألبانيا شيوعية لينينية ستالينية ، ويوغسلافيا شيوعية تأخذ بالتأويل في فهم مبادئ الشيوعية مما يطلق عليها (Revisionist) وسنطلق عليها في البحث لفظ " التحريف " :

ولشبه جزيرة البلقان أهمية سياسية وعسكرية بالغة في نظر كبار سياسي العالم وبخاصة في نظر كلا المعسكرين الأعظمين : المعسكر الرأسمالي والمعسكر الشيوعي . ولانعدام الاستقرار في البلقان عواقب خطيرة على أمن واستقرار جهات عديدة في أوروبا .

وتحتل جمهورية البانيا الشعبية الاشتراكية ، وجمهورية يوغسلافيا الاتحادية الاشتراكية موقعًا استراتيجياً خطيراً في شبه جزيرة البلقان المكشوف عسكرياً ، هذا الموقع الممتاز لكلا الجمهورتين جعل تطور

علاقاتها نحو الأفضل في السبعينات عاملًا هاماً في المحافظة على الاستقرار في هذا الجزء من أوروبا ، كما كان عامل استقرار فيهما نفسيهما، غير أن الإضطرابات العرقية التي حدثت في ربيع ١٩٨١ في جنوب يوغسلافيا نتج عنها تردّ في تلك العلاقات التي تعارضت ومصالح الشعبين اللبناني واليوغسلافي اللذين ارغمتهما الظروف على التخلّي عن تلك العلاقات التي سببت طمأنينة في البلدين لأكثر من عقد من الزمان ، اذ كانت تلك الإضطرابات مصدر قلق للألبانيين بسبب ما تعرض له إخوتهم اللبنانيون جنوب يوغسلافيا من مأس وحجر حريات وسجن وعذاب وتصفيات جسدية ، وسيتناول التحليل عواقب احداث اللبنانيين في اقليم كوسوفو، وأثر تلك الأحداث على العلاقات بين الباانيا ويوغسلافيا .

كان قدر الباانيا أن تواجه خطر الخضوع للهيمنة الأجنبية والإذلال الدائم فضلاً عن محاولات جيرانها تجزئتها بينهم، اذ كان على الدوام لكل من جيرانها مطامع في جزء من أرضها أو في أرضها كلها . ففي سنة ١٩١٢ ضمت صربيا والجبل الأسود أكثر من ٤٠٪ من الشعب اللبناني كما ضمت أكثر من نصف الأراضي اللبنانية الأهلة بالسكان بما في ذلك اقليم كوسوفو . وضمت اليونان اقليم الباانيا الجنوبي "شيمريا" وهيمونت ايطاليا - طيـاـ فترة مابين الحرب العالمية الأولى من الباانيا هيمنة كاملة، سياسياً واقتصادياً وعسكرياً في شكل نفوذ سياسي وتدريب عسكري وارتباط إقتصادي شمل دوائر المال والتجارة والصناعة والتصدير والاستيراد والمواصلات وهي هيمنة إنتهت بالاحتلال الصريح سنة ١٩٣٩ كل هذا الظلم زرع في أبناء الباانيا الحاليين الإحساس بأن جيرانهم وبخاصة - يوغسلافيا - هم عدوهم الرئيس، ويشكرون خطراً محدقاً على استقلال الباانيا وعلى سلامتها أراضيها، وهم أشد خطراً أو تجيئاً على طموح شعبها .

ويعرف المؤرخون أن اليوغسلافيين لعبوا دوراً مهماً في تكوين الحزب الشيوعي الالباني سنة ١٩٤١ . وهذا مكثهم من السيطرة على الحزب ، فمنذ انتصار الشيوعية في الحرب العالمية الثانية تعاظم النفوذ اليوغسلافي في الالبانيا جميعها واستطاع هذا النفوذ أن يشكل العامل الأول في كل عمل في جميع القطاعات في الفترة بين سنتي ١٩٤٥ و ١٩٤٨ وأدى الى حرمان تيرانا من القيام بأي مبادرة سياسية في الداخل او الخارج ، وكانت الخطة اليوغسلافية الخفية هي السعي إلى دمج الالبانيا جميعها في الاتحاد اليوغسلافي ، ولكن تردي العلاقات بين يوغسلافيا وروسيا نشأ عنه تنازع شديد بين يوغسلافيا والالبانيا التي تتبع سياسة داخلية ستالينية النهج شديدة التسلط ، بينما اتبعت يوغسلافيا نهج التحريريين (١) REVISIONIST متبنية سياسة داخلية تعتمد على سياسة التسيير الذاتي واتباع سياسة خارجية تناصر عدم الانحياز، وكلتا السياسيين تظهر يوغسلافيا بمظهر البلد المستقل في إتخاذ قراراته ، الشريك لحلفائه عند وضع السياسة، لا التابع وبذلك نجد البلدين قد تبني كل منهما وجهة نظر مختلفة عن وجهة نظر الآخر في معظم القضايا المهمة المؤثرة في أنماط الشيوعية الدولية، فلما تعمق الخلاف بينهما اشتبتتا في نزاع وجداول أيديولوجي حاد . وجاء تصالح خروتشوف وتيتو، وما نتج عن هذا التصالح من تحسن كبير في العلاقات بين يوغسلافيا وروسيا ضفتا على إبالة في العلاقات الالبانية اليوغسلافية، وأدى الى انهيار العلاقات بين السوفيت والالبانيا، وانتهى بأن يكون هذا الصلح هو من أهم العوامل المؤدية الى القطيعة الكاملة مع موسكو ، كما كان السبب الكامن وراء نشوء علاقات حميمة بين الالبانيا والصين

(١) انظر حاشية رقم ١ صفحة رقم ٢ . .

الشعبية الى الحد الذي جعل أوربا تتندر على م坦ة تلك العلاقات وتردد النكتة التالية : " اذا امطرت السماء في الصين نشر الالبانيون مظلاتهم " . ويضيف المتابعون لسير العلاقات بين البلدين الى ما ذكرنا من أسباب تردي العلاقات بين تيران وبلغراد سببا آخر شخصيا يتمثل في البغضاء التي تكناها صفة تيرانا لصفوة حكام بلغراد بسبب ما يعتقد كل فريق من أسلوب في تطبيق مبادئ الشيوعية ، فأنور خوجة يرى أن قادة يوغسلافيا يمثلون خطراً حقيقياً على نظامه وعلى منصبه هو شخصيا ، وهذا الإدراك سبقة تجربة خوجة مع اليوغسلافين خلال فترة الحرب العالمية ، فمنذ اللقاء الأول بين اليوغسلافين والالبانيين الشيوعيين في مطلع سنة ١٩٤٠ تبين أن اليوغسلافين لا يستطيعون أن يثقوا في أنور خوجة بسبب الفكر الذي يحمله ، وبسبب خلفيته الثقافية البرجوازية وحاولوا استبداله بكموشي خوجة الأطوع لرغباتهم والأقل طموحاً من أنور خوجة وقد حرض اليوغسلافيون سنة ١٩٤٨ خصوم خوجة ضده ووعدوهم بالمال والسلاح ، وفي سنة ١٩٥١ شكل اليوغسلافيون من المهاجرين الالبانيين في يوغسلافيا هيئة نشطة اعلنت في مطبوعاتها أن هدفها هو قلب نظام خوجة ، وإلى أن جاءت سنة ١٩٦٦ كانت العلاقات بين الجمهوريتين قد تعقدت تعقداً شديداً بسبب قسوة اليوغسلافين في تعاملهم مع الأقلية الالبانية في جنوب يوغسلافيا ، وتتضخح قيمة هذا العنصر ويتبخر تأثيره في العلاقات بين تيرانا وبلغراد فلا مفر من استعراض وضع الالبانيين في يوغسلافيا الاشتراكية :-

في أثناء المؤتمر الرابع للحزب الشيوعي اليوغسلافي المعقود في مدينة دريزدين (بمانيا الشرقية اليوم) سنة ١٩٢٨ ايد الحزب الشيوعي اليوغسلافي عودة مقاطعة كوسفو إلى الالبانيا وكرر تأكيد العودة في ندوته التي عقدها في مدينة زغرب بيووغسلافيا سنة ١٩٤٠ ، وعقب سقوط الحكومة الملكية في يوغسلافيا سنة ١٩٤١ ، اتحدت كوسفو مع الالبانيا ، ولكن ما ان

هزمت دولتا المحور حتى استقلت يوغسلافيا مستردة مقاطعة كوسوفو من الاليانيا . وعندما تأسست حركة وطنية في كوسوفو في أثناء الاحتلال الالماني ليوغسلافيا احتفظت تلك الحركة بصلات قوية مباشرة مع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اليوغسلافي، اذ كان الحزب المذكور قد وعد الالبيانين الكوسوفيين بوضع دستوري وحقوق متساوية لحقوق الاعراق اليوغسلافية الأخرى، وأن تحقيق هذا الوعد سيتم بمجرد إنتهاء الحرب بالنصر على الأعداء واستعادة يوغسلافيا حرية التصرف في أراضيها وسياساتها، كما اعترف الحزب بأن للأقلية الالبيانية الحق في تقرير مصيرها بما في ذلك حقها في المطالبة بالانفصال، وكان لهذا الاعتراف صدى بينا في تصريح تيتو وتردد في كثير من وثائق الحزب .

وخلال اجتماعات قادة الشيوعيين اليوغسلافين مع زعماء الحزب الشيوعي الالبياني اشترکوا في صوغ التصريح المعروف باسم " اتحاد كوسوفو" مع الاليانيا واعلنوا بأن هذا التصريح كان أمراً سهلاً لأنه لم يكن تصريحاً متولاً عن ضغط أو خوف أو طمع وما كان التصريح مشكلة قادرة على زعزعة العلاقات بين يوغسلافيا الاشتراكية والاليانيا الاشتراكية أيضاً وشدد الحزب الشيوعي الالبياني على ضرورة ممارسة كوسوفو لحقها في تقرير مصيرها بمجرد إنتهاء الحرب، لتقرر ما إذا كانت ترغب في الاتحاد مع الاليانيا أم تحافظ ببعضها المميز كجزء من يوغسلافيا ولكن الالبيانين واليوغسلافين اختلفوا أثناء الحرب حول نقطة تقرير المصير التي سبق أن اقرت بها قيادة الشيوعيين، ولم تكتف بهذا الارتداد عن التصريح بل "مارست ضغطاً هائلاً أرغم الحزب الشيوعي الالبياني على إلغاء اتفاق "موکاج" الموقع سنة ١٩٤٣ بينه وبين الحزب الوطني الالبياني (بالى كوبيتار) والقاضي بأن مستقبل كوسوفو يجب أن يقرر من خلال استفتاء الكوسوفيين

. أما الالبانيون في يوغسلافيا جميعها فأغلبهم العظمى تؤيد فكرة الاندماج في البانيا ولعل تعرف اليوغسلافين على مشاعر الالبانيين ورغبتهم في الاندماج مع البانيا هو السبب الكامن وراء إرتداد اليوغسلافين عن التصريح الخاص بمنح الالبانيين حق تقرير المصير ، خاصة وأن الشيوعيين الكوسفيين قد أيدوا هم أيضا هذا الاندماج في قرار اجازته الندوة الاولى لمجلس الشعب في إقليم كوسٌفو سنة ١٩٤٤ . وكان نص القرار كما يلي :

كوسٌفو وسهل دوكاجين هوإقليم " " "

يسكنه الالبانيون منذ ما قبل احتلاله " " "

من قبل الاجانب كما كان دائما وكما هو الان " " "

وهو يرغب في الاتحاد مع ألانيا وعليه فنحن نعتبر " " "

أن من واجبنا هداية الالبانيين الى الطريق الصحيح " " "

الذى يجب عليهم السير فيه لتحقيق رغائبهم ، ونقول " " "

لهم أن الطريقة الوحيدة لتوحيد ألانيا كوسفو " " "

وسهل دوكاجين مع ألانيا هو الكفاح المشترك " " "

مع الشعوب اليوغسلافية الأخرى ضد المحتل وضد " " "

من وضعوا أنفسهم في خدمته ، لأن الكفاح هو الطريق " " "

الوحيد لاسترجاع الحرية ، وعندما تتهيأ الفرصة لجميع " " "

الشعوب - بما فيهم الالبانيون - لتقرير مستقبلهم " " "

عن طريق الحق في تقرير المصير حتى لو كان قرارهم هو " " "

الانفصال" " "

ان الشيوعيين اليوغسلافين الذين واجهوا واقعية التمسك بالسلطة بعد أن تضمر السيطرة الصربيّة ما زالوا متحمسين لايجاد تحالف قوى مع

الصربين محالفه الند للند ، إذ ان الصربين يعارضون التصريح الخاص بمستقبل كوسٌقو معارضة شديدة، وهم يخشون أن اتحاد كوسٌقو مع الباقيا أو اندماجها فيها سيلحق الضرر بالقومية الصربية وسينتهي عنه فقدان تأييد أكبر الأعراق اليوغسلافية عدداً وهم الصرب ، ففي الرسالة المؤرخة في ٢٨ مارس ١٩٤٤ نقض الحزب الشيوعي اليوغسلافي اعترافه بقرار الشيوعيين من الباقيا كوسٌقو المتعلق بتبعيتهم ووضعهم تجاه الحزب الشيوعي اليوغسلافي وهو تقلب سياسي غير مقبول ، لكن الحزب الشيوعي الباقيا وكذلك الشيوعيين في كوسٌقو لم يكونوا في وضع يمكنهم من تحدي قرار اليوغسلافين الشيوعيين المتعلق بذلك التصريح الحيوي بالنسبة للشعب الباقي .

ولكن الكوسوفيين لم ينسوا قط تسبب الحزب الشيوعي اليوغسلافي في خيبة أملهم ، فلم تك الحرب تنتهي حتى وجدت بلغراد نفسها تواجه مشاكل خطيرة في كوسٌقو كرد فعل لخيبة أمال الكوسوفيين الذين لم يتقبلوا قط عن رضا دمجهم في يوغسلافيا وبخاصة أنهم الأقلية العرقية الوحيدة التي كانت جيشاً لمقاومة النظام اليوغسلافي الشيوعي حتى اضطر الجيش اليوغسلافي إلى استخدام أساليب متطرفة خالطها الكثير من الإرهاب حتىتمكن من سحق انتفاضة الباقيين في كوسٌقو المضادة للنظام اليوغسلافي، وتصرف الحزب الشيوعي الصربي في مؤتمره الأول المنعقد في مايو سنة ١٩٤٥ تصرفاً خسناً غير حضاري أحق بالباقيين الكثير من الضرر المادي والمعنوي ، مما جعلهم موضع نقد حاد من قادة يوغسلافيا وعلى رأسهم تيترو وجيلاس ورانكوفيتش . إلا أن الباقيين حرموا في نفس السنة من حقهم في تقرير مصيرهم نتيجة لقرار رسمي من الحزب الشيوعي اليوغسلافي ، ملزماً لتيترو وحكومته وإن كان هذا الحرمان لم يزد على اصياغ صفة قانونية

على وضع كان قائماً منذ الارتداد عن التصريح قبيل نهاية الحرب ، ويقول الواقع أن اليوغسلافين لم يحترموا قط ذلك الوعد منذ أن شعروا بالقوة والقدرة على التصرف، بل ولعلهم لم يكونوا قط ينونون الوفاء به حتى عند اعلانه ، رغم أن التصريح لم يكن ليعطي الكوسفيين أكثر من مجرد مساواتهم ببقية الاعراق اليوغسلافية ولكن اليوغسلافين ضحوا بالطموح الوطني المشروع للكوسفيين في سبيل تأييد الطموح القومي للصربين ، ولسكان الجبل الأسود ، فالاعراق الالبانية المتعددة لايمكن الاستناد اليها سياسياً من قبل الحكومة المركزية مالم تضمن تأييد الصربين ، ومن الاساليب التي لجأت اليها الحكومة المركزية لاضعاف العرق الالباني ، تقسيمها للأراضي التي يسكنونها في كوسفو وغيرها الى ثلاث مناطق : أولاً كوسفو منحت حكماً ذاتياً محدوداً جداً وضمت الى جمهورية الصرب . ثانياً جزء آخر منها أُعلن منطقة ذات حكم ذاتي محدود وضمت الى جمهورية الجبل الأسود . وجزء ثالث ضم الى مقدونيا وهكذا انتهى حلم اتحاد الالبانيين مع الالبانيا الأم او اندماجها فيها . ورغم نجاح صربيا في القضاء على آمال كوسفو إلا أنها لم تنجح في دفع الحكومة المركزية الى الزحف على الالبانيا لتكون الجمهورية السابعة في الاتحاد اليوغسلافي وفي سنة ١٩٤٦، طلب أنور خوجة في أثناء أحد اجتماعاته " بتيلو " أن يناقش قضية اتحاد كوسفو مع الالبانيا ، وذكر تيلو بوعده ووعود الحزب الشيوعي اليوغسلافي التي نمت آمال الشعب الالباني في قيام وحدة بين شقيقه في كوسفو والالبانيا الأم . بقوله : إن بقاء كوسفو ضمن الجمهورية اليوغسلافية هو أمر مؤقت اقتضته ظروف خاصة يزول بزوالها . كما طلب خوجة عونه في تخفيف معاناة الالبانيين في كوسفو ومقدونيا ، غير أن تيلو يرى استحالة الأمر مالم تتوافق صربيا على ذلك وموافقة صربيا أمر مستحيل كما أوضحتنا في موقع آخر من هذا الكتاب . ولم تتوصل يوغسلافيا والالبانيا الى أي حل

مرض ، وبقى الصراع بينهما مرتديا ثوبا عقديا بينما حقيقة استيلاء يوغسلافيا على كوسوفو جعل امر استردادها هدفا قوميا يوجب إعادة القطاع إلى البانيا . ووجدوا في مذكرات خوجة مانصه :

"لقد سألني تيتتو عن أفكاري"
"المتعلقة بكوسوفو وبالمناطق الأخرى"
"التي يسكنها ألبانيون في يوغسلافيا فأجبته"
"إن المناطق الالبانية التي بترتها القوى العظمى من البانيا"
"دون وجه حق ، تخص ألبانيا ويجب أن"
"تعود إليها وأضفت : وبما أن كلينا"
"بلد إشتراكي فالظروف مواتية لحل "
"هذه المشكلة بالطريقة الصحيحة فأجابني"
"تيتتو إنني موافق على رأيك وهذا "
"هو مانتمناه ، لكننا لسنا قادرين "
"في الوقت الحالي على فعل أي شيء لأن صربيا"
"لاتستطيع أن تفهم هذا الأمر فقلت له "
"إن كانوا لم يستطيعوا أن يفهموه اليوم فسيفهمونه غداً"

وقد كان طابع التركيبة الالبانية في كوسوفو خلال الخمسينات والستينات هو عدم المساواة بين العرق الالباني الذي يشكل أغلبية السكان في كوسفو وبين الصربيين . وهو نفس وضعهم في الحرب الاهلية اليوغسلافية فقد كانوا غير معترف بهم كعرق مستقل منذ ١٩١٢م حتى سنة ١٩٤٥م . ومع ذلك فقد طور الالبانيون وضعهم بصورة ملحوظة تتمثل في نمو الاقتصاد المزدهر نسبياً وفرص تعليمية مناسبة لم تكن متاحة في الماضي . ورغم هذا

التحسين في وضعهم فقد بقوا في حالة متدنية بالنسبة لحالة الصربيين فأعضاء الفريق الصربي المسيطر يمسك بالنفوذ السياسي وهيمن على مقدرات كوسٌو جماعتها ، فهم يحتلون المراكز القيادية ويستثمرون الوسائل السياسية المتاحة لهم وبخاصة الشرطة السرية لاستدامة وضعهم المهيمن . أما اللبنانيون فهم محرومون حرماناً منظماً من حقوقهم المدنية والقومية ومعرضون للإضطهاد السياسي والاقتصادي ، وبين شبابهم أعلى نسبة للبطالة إذ ترتفع إلى ٨٠٪ كما أن نصيب الكوسموفين من المشروعات الاتحادية ضئيل إلى ما يقارب العدم ، بينما نجد هذه المشروعات في المناطق التي تسكنها أكثريّة صربية تقارب التشبع وتخفي فيها البطالة بين القادرين على العمل وما يتبع ذلك من إتقان للحرف وتعلم ما يستجد فيها من تطور فضلاً عن الدخل الثابت الذي يتمتع به العامل وما يوجده من استقرار نفسي وأسري ومادي ، أما اللبنانيون فقد أزري بهم الفقر . وعواقب ما يتبع الفقر من جهل محيط المجتمع اللبناني كله إلى الحد الذي اضطروا بسببه إلى بيع أولادهم إلى عصابات دولية متخصصة في شرائهم بجنيهات معدودة ليعاد بيعهم إلى محترفي الشحاذة بعد تشويه ابدانهم استجلاباً لعطاف المحسنين ، يحدث هذا للأطفال الحسني الحظ ، أما سينؤ الحظ فيباعون لعصابات تدربهم على التسلل والسرقة والخطف ، فإذا كبر الطفل منهم قبل أن يقع في أيدي العدالة فإنه يدرّب على تهريب المخدرات وغيرها من الممنوعات كما يدرّب الأقوياء منهم على الاغتيال بمقابل ، هذا ما يحدث للفتيان والفتيات عامة أما نوات الوجوه الجميلة فيُعدّن أعداداً خاصاً لاستغلالهن في صباحهن في بيوت الدعاارة ، حيث يذوي شبابهن بسرعة، إذ تدخل الفتاة في بيت الدعاارة في سن الرابعة عشرة على الأكثر فتنتهك فيه صحتها بسبب السهر والخمر ومبشرة السكارى والمخدورين الذين يزرعون فيه أنواعاً شتى من الأمراض والعلل ، واقواهن بدنًا تستهلك تماماً قبل بلوغها

الخامسة والعشرين ، وحينئذ تتخلص العصابة منها بالقتل عادة خوفاً من أن تفضح أسرارها ، وقد يتعرض الفتيان مثل ذلك ، ولقد بث برنامج (راديو أونو) من الإذاعة الإيطالية صباح يوم ١٠ ديسمبر ١٩٨٥ م . أن سيدة يوغسلافية تقدمت ببلاغ إلى شرطة مدينة كورينثية النمساوية الواقعة على مقربة من نقطة إلقاء حدود النمسا مع غسلافيا وإيطاليا ، وأفادت في بلاغها بأن عصابة دولية استأجرتها لمرافقه عشرة أطفال تم شراؤهم من أقليل كوسفو حيث تقيم السيدة وعاشرهم هو ابنها ، ومهمتها هي رعاية الأطفال أثناء نقلهم من موطنهم إلى جنوب إيطاليا عن طريق النمسا ، إمعاناً في تضليل الشرطة ، وقد نقلوا في حافلة مصنوعة خصيصاً لهذا النوع من السفريات ، وهذا النوع من الركاب، تعاونها سيدة أخرى مستأجرة لنفس الغاية . وحسب إفاده المبلغة لم تكن هذه الرحلة هي الرحلة الأولى غير أنها في هذه المرة - رغم أنها باعت العصابة ابنها طمعاً في أن يباع ابنها إلى اسرة غنية لا أولاد لها ، فيعيش حياة أفضل مادياً وعلمياً ونفسياً من حياته معها ومع والده العاطل في ظل العوز والجهل - غير أن السيدة وقد قربت ساعة الفراق ، لم يطأوها قلبها على فراق فلذة كبدها رغم المغريات . وقالت الإذاعة : ضبطت السيارة ومن فيها . وأذاعت الإذاعة لندن ظهر هذا اليوم الثالث والعشرين في ديسمبر نفسه أن الشرطة ضبطت عصابة تاجر في الرضع الذين تشتريهم في ولاية كوسفو اليوغسلافية - افتر منطقة في أوروبا، وروت قصتهم بما لا يخرج عما ذاعت الإذاعة الإيطالية . وروت مجلة أودجي " الإيطالية قصة " المتاجرة المشينة في الصبيان اليوغسلافيين ونشرت صورة صبي اسمه شعبان في العاشرة من عمره أبلغ شرطة مدينة ميلانو أنه يستغل من قبل مالكه الغجري في السرقة وسلب الناس أموالهم وأنه يحبسه ويجلده إذا لم يحضر له يومياً مبلغاً كبيراً أو مسروقات ثمينة . هذا إذا لم يرهبه ويخيفه بقضاء الليل في غرفة مظلمة

وكان الصبي قد اصطحب قد معه عددا من نظرائه الذين ملوا حياة اللصوصية (١)، ويقول وكيل النيابة الذي حقق في بلاغ شعبان ورفاقه أنه يوجد في ميلانو حوالي ألف صبي وصبية يعيشون حياة الأرقاء مع أسيادهم الذين اشتروهم أو استأجروهم مقابل عشر ما يحضرون من مسروقات.

ADESSO CHI MI COMPRO



وتقول المجلة ان شعبان ولد في قرية تقع على بعد كيلومترات قليلة من مدينة "بيسن" في ولاية كوسفو قرب الحدود الألبانية. ويقول شعبان أنه خطف من قبل عصابة باعته لسيده الغجري الحالي، أما وكيل النيابة فيعتقد أن أسرته هي التي باعاته لفقرها الشديد من ناحية، ولكرة الأفواه التي يتوجب على والد شعبان أن يطعمها، علىأمل أن يجد شعبان حياة أفضل من حياته مع أسرته.

وتنتظر محكمة في ميلانو منذ بداية السنة القضائية في قضية صبي لا تختلف من حيث الجوهر عن قضية شعبان ، ويظهر ان المتهم هو أحد أفراد عصابة قوية غنية حيث استطاع توكيل محام معروف عالي الاجر ، وتقول الاذاعة التي اذاعت تقريراً لمندوبيها الذي حضر احدى جلسات المحاكمة أنه شاهد وجوهاً كثيرة معروفة من المهتمين بعلم الجريمة وعلم النفس و علم الاجتماع ، كما أن الجلسة كانت فرصة طيبة لطلاب أقسام هذه العلوم بالجامعة ، وفي العادة لا يثير مثل هذا القصص دهشة أحد لكتلة مانشر منه في وسائل الاعلام المختلفة . غير أن وقائع هذه المحاكمة اثبتت ان مأساة الاحداث الالبانيين في كوسفو اشد فظاعة مما أظهر شريط " عالم كلب "

Costantino Muscare Sinfane caso dei bambini jugoslavi verlati in Italia . (١)
Oggi Anno XVI N° L3 R IZZOLI Milano

mondo Cane الذي عرضته الشاشات في أوائل السبعينات .

وهذه القصص التي تصدر عن إذاعات صديقة ليوغسلافيا تغنى عن الشرح والتعليق ، وليس لها إلا معنى واحد هو : إلى أي حد من التفسخ في القيم يصل بالإنسان الفقر . وفقر كوسفو - للأسف الشديد - ليس من صنع الطبيعة ولكن للتعصب الإقليمي اليد الطولى في احداثه فهو فقر مصنوع ليكون سلاحاً في يد الأغلبية الصربية المهيمنة على كوسفو استفادته في ارغام اللبنانيين على الهجرة في اعداد كبيرة إلى بلاد أخرى . فإذا أضفنا إليه ما تمارسه السلطة الرسمية من سجن لمدد طويلة واللجوء في بعض الحالات إلى اجراء تصفيات جسدية ارهاقاً لكل لبناني يتذمر أو يشكو ضياع حقوقه المدنية والقومية . وكوسفو في الحقيقة هي كما وصفها أحد المراقبين عندما قال :

" تحكم كما تحكم المستعمرة التي تستمد أسباب حياتها من مستعمرتها وهي مهملة ، ويسخرها الصربيون الحاكمون والصربيون المحليون . " وقد اثارت تيرانا حملة ضارية ضد ماتعتبره سياسة بغراد الظالمة، ومانتج عنها من جرائم وحقد اسود وبغضاء واغتيالات وانتهاكات وتعذيب فاشي للعرق اللبناني المقيم في يوغسلافيا ، كما استبعدت تيرانا اية فرصة لتطبيع العلاقات طالما استمر هذا الوضع المثير قائماً . ان العوامل المذكورة في الفترات السابقة ، ساهمت في تجميد العلاقات اللبنانية اليوغسلافية خلال الخمسينات والستينات في هذا القرن وابتعدت الإتصالات بين البلدين في أدنى مستوى لها ، وعلى الخلاف من ذلك ، فإن السبعينات كانت شاهداً على تطور عهد جديد بين هذين البلدين المجاورين تميز بتعاون لم يسبق له مثيل وبخاصة في الحقليين الاقتصادي والثقافي .

تقارب سنة ١٩٧١ م

في السادس من فبراير سنة ١٩٧١، أعلن أن ألبانيا ويوغسلافيا قررتا رفع التمثيل الدبلوماسي بينهما إلى درجة سفارة وكان ذلك علامة على نشوء مرحلة جديدة في علاقتهما ، وقد عجل بالتقارب بين تيرانا وبلغراد عاملاً مهماً جداً: الأول الإحساس المشترك بينهما بالتهديد (١) الذي الذي سلطه الاتحاد السوفيتي عقب الزحف على تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٦٨ م . العامل الثاني هو التحسن الذي طرأ على وضع الأقلية الألبانية - في يوغسلافيا . وقد دفع الغزو السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا نظام خوجة إلى الإحساس بأن الاعتماد في الدفاع عن النفس على نصیر ضعيف بعيد الدار كالصين مثلاً هو ضمان غير كاف لسلامة ألبانيا ، والنتيجة أن ألبانيا وجدت نفسها مجبرة على إعادة النظر في سياستها الخارجية ، وعلى أن تبحث عن التوافق مع جيرانها، فقررت الانسحاب رسميًا من حلف وارسو اعتباراً من سنة ١٩٦٨ ، واعقبت الانسحاب بالتفصيف من حدة لهجة مهاجمتها إعلامياً بلغراد ، بل وعرضت مساندتها ليوغسلافيا إذا

ما اعترضت لأي اعتداء من قبل الاتحاد السوفيتي ، وقد شجعت الصين الشعبية ألبانيا على اتباع هذه السياسة وحث شواين لاي رئيس وزراء الصين آنذاك ضيفه وزير الدفاع الألباني باكيير بالوكو الذي زار بكين في سبتمبر / أكتوبر سنة ١٩٦٩ . على الدخول في حلف عسكري مع بلغراد.



والعامل الثاني الذي عجل بالتقارب بين تيرانا وبلغراد كان التغير في سياسة

(١) أعلن ليونيد بريجينيف أمين الحزب الشيوعي السوفيتي مبدأ خطيراً عرف "ببدأ الاستقلال المحدود" أي أن أعضاء حلف وارسو . تطبيقاً لمبدأ الشيوعية العالمية الثالثة القائل بأن العضو المنتمي إليها عليه أن ينبذ الولاء لقوميته مستعيناً بها بالولاء للشيوعية الأممية (المؤلف)

يوغسلافيا الموئم لألبانيا عقب سقوط رانكوفيتش^(١) ، وماتلا ذلك السقوط من تحسن في أحوال الأقلية الألبانية . ولكن الصربين بدأوا يحسون بتناقص سيطرتهم بقدر ما يكتسب الألبانيون من حق ابداء الرأي والمشاركة في شؤون كوسفو اليومية . وخلال حوار جرى في ندوات عامة لمناقشة تعديلات دستور يوغسلافيا عقدت في سنتي ١٩٦٧ - ١٩٦٨ طلب ألبانيو كوسفو أن يعاد النظر في مظلمتهم توطئة ل الكامل الاعتراف بحقوقهم القومية وبخاصة منهم استقلالا ذاتيا أوسع ، كما تكررت مطالبهم بإنشاء جمهورية مستقلة تشمل جميع الألبانيين ضمن الاتحاد اليوغسلافي .

وقد أولت تيرانا مطلب الكوسفيين استكمال استقلالهم الذاتي تعاطفها الكامل ، ونشرت الصحفة السيارة " زيري أي بوبوليت " يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٦٨ مايفيد بأن تحسن العلاقات الألبانية اليوغسلافية يعتمد على اعتراف بلغراد بالحقوق الكاملة للألبانيين في يوغسلافيا ، وفي شهرى نوفمبر وديسمبر تفجرت مظاهرات في كوسفو وفي المناطق التي يسكنها الألبانيون في مقدونيا ، وطالب جميع المتظاهرين بإنشاء جمهورية كوسفو وبتأسيس جامعة ألبانية وتحسين الأوضاع الاقتصادية والسياسية للألبانيين في يوغسلافيا ، وقد وجهت هذه المطالب بتحد عنيف عندما تحركت السلطات اليوغسلافية لمواجهتها، واستعملت القوة البالغة لتهيئة المتظاهرين، كما استعملت خشونة لاتقتصيها السياسة الحكيمة في مواجهة منظمي تلك المظاهرات، ومع ذلك فقد حققت بلغراد في نفس الوقت بعض مطالب العرق الألباني ، مظهراً تناقضاً شديداً في سياستها ، فقد غيرت -

(١) نائب تيتو الذي اشتهر بشنة حربا غير معلنة ضد السلالة الألبانية والمتهم بتصرفية أربعين ألفاً منهم عندما كان رئيساً للشرطة السرية . (المؤلف)
الأول من جهة اليسار في الصورة المرفقة

مثلاً - اسم الولاية " من كوسفو / مينوهيجيا" إلى اسم ولاية " كوسفو الاشتراكية " ذات الاستقلال الذاتي " ، كما أقر قانون دستوري للولاية الجديدة وأنشئت لكوسفو محكمتها العليا الخاصة بها ، كما أقر شعارها الخاص وسمح لألبانين برفع علمهم الوطني الخاص ، أما طلب إنشاء جمهورية خاصة بالألبانين فقد رفض ، مع أن الرئيس تيو كان - فيما يظهر - يود لو جعل من كوسفو الجمهورية اليوغسلافية السابعة ولكنه أجبر على صرف النظر عن هذه الفكرة بسبب معارضة الصربيين الأقوياء ، و من هذا يتضح أن الأقلية الالبانية لم تتحقق أي قدر من الانتصار السياسي أو الاقتصادي أو الإداري ، وكل ما حققته هو إدارة ذاتية محدودة جداً . وأي قرار إقتصادي أو سياسي أو إداري تتخذه كوسفو يبقى دائماً ناقصاً وفي حاجة إلى التصديق عليه من بيده السلطة الحقيقية في البلاد وهم الصربيون الذين يتحكمون تحكماً كاملاً في اقرار السياسة المالية ، وبالتالي فهم يسيطرون على ابطال أي قرار برفض تمويله اذا لم يكن متماشياً مع مصالحهم (١) وخلال أزمة سنة ١٩٦٨ أظهرت تيرانا اعتدالاً غير معهود فيها ، وسياسة الاعتدال هذه املتها حالة التهديد السوفياتي التي يواجهها أمن الباانيا وأمن يوغسلافيا أيضاً ، فإن أي عدم استقرار في يوغسلافيا قد يعطي السوفيات الفرصة العظمى التي يتسبدونها للتدخل في هذه المنطقة الشديدة الحساسية ، وقد رحب الباانيا بمكتسبات الكوسفويين التي حصلوا عليها بعد سنة ١٩٦٠ ، وأظهرت نواليها الطيبة ورغباتها في مساعدتهم على تطوير ثقافتهم ولكنها - في الوقت نفسه - كانت مستاءة جداً لعدم حدوث أي تقدم في أوضاع الباانيي مقدونيا ، ومع أنهم منحوا بعض الامتيازات عقب اضطرابات سنة ١٩٦٨ إلا أنهم استمرروا يكافدون

(١) مع الاحجاف بحقهم في الاموال العامة عند إقرار ميزانيات المشروعات . عن : Keesing Con-temporary Archives July 3 / 1981 P . 30951

الاضطهاد كأقلية في مقدونيا . ونشرت صحيفة " زيري أى يويوليت " في يونيو سنة ١٩٦٩ ، اتهاماً موجهاً لسلطات مقدونيا جاء فيه : " أن سياسة التطرف العسكري المتبعة ضد الالبانيين في شكل تعامل غير إنساني وإنكار الحقوق الأولية للفرد .. واستمرار جهود المقدونيين لتجريد الالبانيين من قوميتهم الالبانية هي سياسة غير مقبولة، ولا يمكن السكوت عليها ولن تساعد على تحسين العلاقات بين تيرانا وبلغراد .

وخلال الفترة الأخيرة من الستينيات تطورت العلاقات الاقتصادية بين العاصمتين ونمّت تدريجياً إلى أن وصلت إلى مستوى مرموق من التوسيع ، كما أن عمق الخلافات السياسية والفكرية بين البلدين لم يكن عقبة في سبيل التطور الاقتصادي ، وأعرب خوجة عن رضائه الكامل لما حققه الكوسفيون من مكاسب في الحقول السياسية والاقتصادية والثقافية ، كما أنه أعرب عن استعداد حزب العمل الالباني لتطوير علاقات ثقافية خاصة مع كوسفو ، واظهرت المؤسسات التربوية الالبانية استعداداً للتعاون الكامل مع جامعة كوسفو الوليدة ، وقد أصر خوجة على أن البانيا لها الحق في الاهتمام بالباني يوغسلافيا ، كما يسعى لأن يجنِّبوا التعرض للتمييز العنصري ، وأكَّد بقوة استعداد تيرانا لمساندة بلغراد في حالة اعتداء موسكو عليها ، وقابلت بلغراد هذا التصريح بإستحسان كبير ، وفي أثناء زيارة قام بها خوجة إلى المدينة الشمالية " بجرام كري " سنة ١٩٧٠ أبدى رغبة حزبه في تطوير أوثق العلاقات مع يوغسلافيا . وأرتفع نمو التجارة بين البانيا ويوغسلافيا من ماقيمته ثلاثة ملايين دولار في سنة ١٩٦٦ ، إلى ماقيمته ٤،٨ مليون سنة ١٩٧٦ . ثم إلى ٣،٨ مليون في سنة ١٩٨٠ وتبع هذا النمو الاقتصادي توسيع في العلاقات الثقافية بين تيرانا وعاصمة كوسفو بريشتي

عَلَاقَاتُ الْبَانِيَا بِيُوْغُسْلَافِيا خَلَالِ الْعَقْدِ الثَّامِنِ مِنَ الْقَرْنِ

خلال العهد التالي لغزو تشيكوسلوفاكيا من قبل الروس بدا أن الباقيا ويوغسلافيا قد وضعتا خلافاتهما جانبا، كما بدا أن التعاون في الحقل الاقتصادي قد إمتد إلى الحقل السياسي أيضاً وإن انحياز تيرانا لبيلغراد الذي تلا اعلن مبدأ بريجنيف فتح الباب أمام انتشار اقاويل بأن الصين الشعبية قد اقترحت ذلك الانحياز وأن الباقيا ويوغسلافيا ربما عقدتا حلفاً عسكرياً فيما بينهما ، غير ان ذلك لم يكن هو الواقع ، ففي مؤتمر الحزب السادس المعقود في نوفمبر سنة ١٩٧١ . نفى خوجة جميع الإشاعات التي تدور حول دخول تيرانا في تحالف مع بلغراد ، وأشار إلى وجود خلافات سياسية عميقة وخلافات فكرية بين البلدين يصعب التلاقي حولها، ولكنه اضاف ان تبادل الانتقادات والجدل يجب الا يؤثر تأثيراً سلبياً على التعاون في الميادين غير السياسية ، أما مهاجمة يوغسلافيا في الميدان الفكري العقائدي التي كانت قد توقفت عمليا فقد عادت الحياة فيها من خلال النقاد الجاد الذي وجهه خوجة إلى الجمهورية الاشتراكية الاتحادية اليوغسلافية ، وأسلوبها في "التسيير الذاتي" وإلى نشاط يوغسلافيا في قطاعي السياسة الداخلية والخارجية .

وبالرغم من عدم رضا الباقيا ، فإن علاقاتها مع بلغراد استمرت في التحسن التدريجي إذ تمحى على الباقيا أن يجعل سياستها مع يوغسلافيا متوافقة مع سياسة يوغسلافيا حيال الاهداف المتصارع عليها . ولقد استحسنت الباقيا الواقع الذي يشير إلى أن بلدين مستقلين يتحداون ضد عدو مشترك واحد هو الاتحاد السوفييتي ، كما أن لهما مصلحة مشتركة في

معارضة حضور القوى العظمى في البلقان ، بالإضافة إلى اعتراف البابانى بحسنات توسيع التعاون الاقتصادي بينها وبين يوغسلافيا والتي هي - بعد كل شيء - هي الشريك التجارى الطبيعي لألبانيا . وقد استمر التبادل التجارى بين البابانى ويوغسلافيا في النمو ووقع اتفاق تجاري بدأته من أول ١٩٧١، وتستمر الى ١٩٧٥ حدد قيمة السلع التي يجب تبادلها بين البلدين خلال مدة الاتفاق البالغة خمس سنوات بـ ١١٠ ملايين دولار ، وكان مجموع قيمة التبادل التجارى في سنة ١٩٧٤ . قد بلغت ٣٧,٥ مليون وهو ضعف قيمة التبادل في سنة ١٩٧٣ ، أما خلال سنة ١٩٧٥ . فقد انكمشت التجارة كإنعكاس لما طرأ على الاستقرار الاقتصادي في البابانى وكانت خطة التبادل التجارى لتلك السنة مقدراً لها ٥٦ مليون دولار إلا أنها في الواقع الأمر اقتصرت على ٣٧ مليون دولار فقط وكان أمن تيرانا واعتباراتها الاقتصادية قد تم تنسيقها وفق ما تتطلبه سياسة نظام خوجة الداخلية ، وكان التفاوت بين النظام الاشتراكي في البابانى، ونظيره في يوغسلافيا يزداد بإطراد، مبرزاً التطرف الشديد في اختلاف البناء الاشتراكي فيما بينهما ، فالنظام الاشتراكي في بلغراد تحكمه سياسة داخلية ليبرالية نوعاً ما ، ونمط اسواقها يتمتع بنظام في إدارته هو على الضد تماماً من نظام خوجة ، لهذا خشي خوجة أن يكون للنظام اليوغسلافي تأثير على الألبانيين ، إذ أن اليوغسلافين في نظر خوجة إنحرافيون (ريفزيونيست) ، وذلك التأثير قد يكون له في النهاية أثر يقود إلى إضعاف حكم حزب العمل الالباني ، ويعتقد أن سلسلة حملات التطهير في البابانى خلال السنوات ١٩٧٥-٧٤-٧٣ والتي غصت بها قمة السلم الوظيفي في القطاعات الثقافية والعسكرية والاقتصادية ، نتج عنها اختفاء وجوه مسؤولين كثيرين معروفين وكان لها إنعكاس فوري على علاقة تيرانا ببلغراد أدت الى انتهاء ما عرف بمرحلة "الوفاق الحر" في السبعينيات ، كما أدت الى تكثيف حاد في الحملات

الاعلامية الالبانية ضد يوغسلافيا ، والظاهر أن خوجة قد ألقه النمط الاشتراكي اليوغسلافي الى حد بعيد بعد أن ظهر له ان بعض شرائح المجتمع الالباني بدأت تتطلع الى ذلك النظام . وكثير الجدل في المقارنة بين النظامين و حسم خوجة الأمر وأسكت أي نقاش يتعلق بتلك المقارنة بإجراء حملات التطهير التي لم تستثن أي فرد مهما كان مركزه إذا حامت حوله شبكات ، فكان من بين من اعدموا في حركة التطهير نائب رئيس مجلس الوزراء، فوزير الصناعة والتعدين، فوزير التجارة بتهمة السعي " لإدخال قوالب وأنماط للإدارة الذاتية في النظام الالباني للتخطيط الاقتصادي " . وقد تأثرت العلاقات بين تيرانا وبيلغراد بعلاقتها ببكين ، فالبانيا لم تكن متحمسة للتقارب اليوغسلافي الصيني الذي حدث سنة ١٩٧٠ ، واستمرت تعرب عن قلقها من تحسن العلاقات المستمرة بين بلغراد وبكين ، وكلما صارت العلاقات بين يوغسلافيا والصين أكثر وداً ازدادت علاقات البانيا بالصين تفسحاً وتدهوراً ، ففي المؤتمر السادس لحزب العمل الالباني المعقد في نوفمبر ١٩٧٦، تراجع خوجة عن تصريح البانيا بمساندة يوغسلافيا اذا ما تعرضت لاعتداء خارجي ولم يوغسلافيا في الوقت نفسه على سماحها لسفن حربية روسية بزيارة موانئها ، ووصف هذه الزيارات بأنها مضرية بتطویر العلاقات الطيبة بين تيرانا وبيلغراد ، ودان بمرارة النهج الاشتراكي ليوغسلافيا ، وأوضح أن حزب العمل الالباني سيناضل لتعريمة طبيعة أنواع الانحراف اليوغسلافي الخادع للمبادئ الماركسية ، وخطر ذلك الانحراف الماثل . وارتقت حدة جدل البانيا العقدي مع يوغسلافيا ثم زاد ارتفاعا منذرا بالقطيعة خلال المرحلة الأخيرة من التحالف الالباني الصيني، وذلك عندما تبادل زعماء الصين وزعماء يوغسلافيا الزيارات ، وبلغ الخلاف منتهاه بالقطيعة بين تيرانا وبكين سنة ١٩٧٨، وعندما هاجم خوجة كتابه الذي اسماه

"الإدارة الذاتية في يوغسلافيا" واصفاً تلك الإدارة بأنها نظرية وتنفيذ رأسماليين ، وتضمن هذا الكتاب هجوماً شاملاً على نظريات كارديل (١) المنظر الفيلسوف الشيوعي اليوغسلافي، الذي تتمثل نظرياته في اشتراكية تأخذ أفضل ما في الرأسمالية من وسائل لينفذ بواسطتها أفضل ما في الشيوعة من مبادئ ، وهو أول من نادى من الشيوعيين بأهمية الحوافز في زيادة الانتاج كما أجاز الملكيات الصغيرة التي طبقت في روسيا والقاضية بمنح المزارع قطعة صغيرة من الأرض حول سكنه يعمل فيها في غير أوقات عمله الرسمي ولি�تصرف في انتاجها كيف شاء، ولعل خروشوف كان يعني نظريات كارديل ويفسرها عندما صرخ في احدى خطبه أمام مجلس السوفيت الأعلى بعد تصالحه مع تيتوف دعوته له لحضور ذلك المؤتمر. فلأول مرة يدللي خروشوف بتصريح خطير يقرر فيه أن " هناك أكثر من سبيل لتطبيق الشيوعية، وليس الأسلوب المتباع عندنا حاليا هو الأسلوب الوحيد " وفي قوله هذا مرونة في التطبيق لم يعرفها العالم الشيوعي على عهد ستالين ومن عاصره من زعماء .

ولقد حاولت بلغراد بكل قواها الاحتفاظ بصداقه البانيا ، تقودها في سياستها هذه عوامل كثيرة أهمها : التكامل الاقتصادي بين البلدين ، فبلغراد كانت مهتمة بإستجلاب المواد الأولية والكهرباء من البانيا وأهم من ذلك أن لدى يوغسلافيا إهتمام استراتيجي وسياسي لتطوير البانيا نحو حياة اقتصادية أفضل اذا ترى يوغسلافيا ان البانيا اذا كانت ضعيفة وغير مستقرة سياسياً واقتصادياً فإنها ستتمثل تهديداً ليوغسلافيا بإعطائهما الفرصة للقوى الانهازية المعارضة في يوغسلافيا ، فتتيتو يعلم أن الظروف الدولية وقوته الذاتية لا تمكنانه من الاستيلاء على البانيا ، فهو وكثيرون غيره

(١) D.Kostich the Land and People of Balkans P.127

من زعماء أوربا يرون ان استقلال البانيا لم يستمر الا بفضل كثره الاطماع فياحتلالها من دول مختلفة من بينها يوغسلافيا ، وكل دولة تحاول تحقيق مطامعها ستجد معارضه حازمة من بقية الطامعين ، لهذا يرى أن من مصلحة يوغسلافيا أن تكون البانيا قوية قوة كافية للحد من طمع دولة بعینها من احتلالها . وبالرغم من أن اليوغسلافين لم يبدوا أدنى جهد لاخفاء ازدرائهم للنظام الستاليوني في البانيا ، إلا أنهم رحبوا بقطع خوجة لعلاقاته مع موسكو قطعاً يبدوا أنه لا رجعة فيه ، مع ان البلدين يشتركان في الاهتمام بسياسات متشابهة في كثير من مظاهرها . ومع تزايد الإشارات على تفسخ التحالف بين تيرانا وبكين ، يشتت قلق بلغراد من جراء سياسة البانيا الخارجية ونتائجها التي ستظهر حتماً بمجرد اختفاء خوجه عن المسرح السياسي ، إذ ترى ان احتمال عودة البانيا للتحالف مع موسكو أمراً معقولاً جداً ، ولتحقيق تطور مجد في البانيا ، عمدت يوغسلافيا إلى اعداد كوسفو لتلعب دوراً مهماً في العلاقات بين بلغراد وتيرانا بتحويلها إلى جسر لا بديل له في تحقيق التعاون بين يوغسلافيا وألبانيا ، فما ان أنشئت الحكومة الاتحادية جامعة كوسفو ، وتم أول اتفاق بينها وبين نظيرتها جامعة تيرانا سنة ١٩٧٠ حتى شجعت تسارع خطى التعاون بين بريشتينا وتيرانا ، وهو تعاون كان مقصوراً في أول الأمر على الميدان الثقافي ، واسهمت جامعة تيرانا من جانبها في هذا التعاون بتوقيعها إتفاقيات مع جامعتي كل من مقدونيا والجبل الأسود . وفي ديسمبر سنة ١٩٧٩ قام وزير التعليم والعلوم والثقافة بزيارة البانيا ، وفي أكتوبر من سنة ١٩٨٠ زار كوسفو وزير الثقافة والتعليم اللبناني ، ردأً على زيارة زميله اليوغسلافي وأظهر تقديره عالياً للتعاون بين بريشتينا وتيرانا وابدى سروره بما أعطت جامعة كوسفو من نتائج، وأشار إلى أن التعاون بين البانيا وكوسفو ستتسع دائرة ،

غير أن تجدد الجدل العقدي بين البلدين أدى إلى امتعاض اليوغسلافيين، لكنهم أظهروا مقداراً مرموقاً من ضبط النفس مكنهم من عدم الرد على اللبنانيين بمثل لهجتهم ، ومع إنبعاث القومية ، وتصاعد الإضطرابات بين الأقلية الالبانية أملت بلغراد في ان تطوير العلاقات وخاصة مع تيرانا قد يدفع البانيا إلى الاحجام عن استغلال ضعف يوغسلافيا في كوسفو . وقد لاحظ تيتوف في أثناء زيارة له لبريشتينا قام بها في أبريل سنة ١٩٧٥ - أهمية يوغسلافيا والبانيا في استقرار البلقان ، مضيفاً: إنهم إذا انغمستا في خلافات فيما بينهما فإن شعوبها أخرى ستحاول التدخل ، وحددت يوغسلافيا النقاط التي يمكن للبلدين أن يتتفقا عليها وتمسك بضرورة فتح حوار بينها وبين البانيا ، وفي سنة ١٩٧٥ أوضح تيتوف أن يوغسلافيا لن تجيب على الجدل الذي تثيره البانيا ، بل ستستمر في تطوير التعاون حيثما تيسر المนาفع المشتركة وتعتقد يوغسلافيا أنها إذا تسامحت حيال الهجوم الالباني الاعلامي ضدها وأحجمت عن الرد عليه فقد يكون في ذلك حافز لأنلانيا على أن تتوقف عن المهاجمة، وأن تشعر البانيا بسياسة يوغسلافيا الجديدة في كوسفو والتي سينتج عنها أوضاع أفضل كثمرة للتطوير الجاري. والذي تناول مختلف القطاعات، وتضع يوغسلافيا بهذا التسامح بنوراً تأمل أن تعطي ثمارها السياسية عند اختفاء خوجة عن المسرح السياسي في البانيا. وهي نظرة صادقة وان تحقق جزء كبير منها في عهد خوجة، فذلك التسامح وادب المخاطبة مع من اعتاد خلافهما، مهد لتحسين العلاقات ومارافقها من تقارب في السبعينيات . وان لم يخل تاريخ هذه العلاقات من نقاط داكنة بعض الشيء ، ففي سبتمبر ١٩٧٤ ، تفجرت مظاهرات في كوسفو اعتقل خلالها الكثير من الوطنيين أكثرهم طلب في جامعة برشتينا وأعلنت السلطات اليوغسلافية أنها أكتشفت مؤامرة " فيها أصابع لبعض جيراننا وأنها مناصرة للكومينفورم " (مكتب الأحزاب

الشيوعية في موسكو) . و أصدرت في ١٩٧٦م أحكام في برشتينا على
تسعة عشر البانيا من بينهم الكاتب آدم دماجي تراوحت بين ٤٥ و ١٥ سنة،
وكانت التهمة الموجة اليهم هي تأسيس حركة للتحرير الوطني في كوسوفو،
وان المؤامرة خطط لها من قبل اتحاد الشباب اليوغسلافي الالباني المقيم في
البانيا ، ومع ذلك فأن البانيا أتبعت سياسة الاعتدال حيال بلغراد التي كانت
قد اعتدلت نسبيا في معاملتها للأقلية الالبانية في كوسوفو ، وفي إطار هذا
الاعتدال لم تعلق لا على الأحكام الصادرة على آدم ورفاقه ولا على اقحام
اسم البانيا في التهمة ، واتبعت سياسة يمكن أن تسمى بسياسة الابتعاد
عن كل ما يعرض العلاقات الالبانية اليوغسلافية للخطر ، واستمر هذا
الاعتدال في السياسة حتى عندما سحقت يوغسلافيا الحركات الوطنية
الالبانية في كوسوفو بعد وفاة تيتاو ، وان كانت هناك بعض ردود الفعل لبعض
تصرفات يوغسلافيا فإنها كانت تأتي دائمًا مغلفة في عبارة مهذبة ليست
معتادة في أساليب الاعلام الالباني . ممثلا في مجلة تلي الالبانية على مقال
في مجلة نين اليوغسلافية في حديثها عن كوسوفو فهي وان ادانت بحدة
الحالة الاقتصادية المتردية في كوسوفو والمناطق الأخرى التي يسكنها
الالبانيون إلا أنها نسبت هذا التأخر الى عواقب التمييز العنصري والسياسة
الاستعمارية التي كانت سائدة في تلك المناطق ، وفي أبريل ١٩٧٩م وقعت
الجارتان اتفاقا يتم بموجبه ربط مدينة شكوردا الالبانية بمدينة تيتوغراد
اليوغسلافية بخط حديدي . واما العلاقات التجارية التي بدأت بما قيمته
١١.٩ مليون دولار سنة ١٩٧٢ فقد ارتفعت في سنة ١٩٧٩م الى ٦٠ مليون
دولار وكادت تتضاعف في سنة ١٩٨٠ حيث وصلت الى ١١٥ مليون دولار
بلغت قيمتها سنة ١٩٨١ ١٣٤ مليون دولار وان كانت قد انخفضت قليلا
سنة ١٩٨٢م اذ تراجعت الى ١٣٠ مليون دولار وهذه الأرقام موثقة في تقرير
وزارة الخارجية اليوغسلافية عن التجارة الخارجية . ومستخرجة من مكتب

البحث ونشرة الخارجية الأمريكية عن تجارة الدول الأوروبية الخارجية وعن حلف الناتو . ونشرات وكالة الأنباء اليوغسلافية تانيوغ . وعقب تبادل الزيارات بين وزيري التجارة الخارجية اللبناني واليوغسلافي قدر الخبراء ان حجم التجارة بين البلدين بما يساوي ٧٢٠ مليون دولار وبهذا تكون يوغسلافيا هي أكبر شريك تجاري لألبانى ، وهذا النمو التجارى بين البلدين ازدهر عقب القطيعة الكاملة بين بکين وتيرانا ، ورغم الا ضربات التي تفجرت في كوسفو في ربيع ١٩٨١م فقد استمر توقف الهجوم الكلامي الالباني ضد يوغسلافيا وارتفع مستوى حسن العلاقات بينهما الى أعلى قمة لها منذ ١٩٤٨م وعقب اشتداد المرض على تيتاو ودخول الجيوش الروسية افغانستان عرضت البانيا على يوغسلافيا علينا مساندتها عند حدوث أي اعتداء خارجي عليها . وقد نشرت جريدة الحزب مقلاً أوضحت فيه أنه : " بالرغم من الخلافات العقدية التي لا يمكن تسويتها بين تيرانا وبلغراد . فإن كل انسان يجب ان يقنع بأنه اذا كان الأمر سيرتفع الى درجة الدفاع عن الحرية وعن الاستقلال ضد المعتدين الامبرialisين مهما كانت جنسيتهم ، فإن البانيا ويوغسلافيا ستحاربان جنبا الى جنب ضد عدوهما المشترك كما حاربنا في الماضي " .

والالبانيون في يوغسلافيا يمثلون أكثر من نصف عدد الالبانيين في ألبانيا نفسها ، ويشكلون أكبر مجموعة عرقية منفردة في العالم لتحكم نفسها رغم وجودها في بلد مستقل ، وقد دفع الخوف من التفجير السكاني بين الالبانيين في يوغسلافيا الى اضطهادهم لقسرهم على الهجرة بنفس الكيفية التي تطبقها اسرائيل في الضفة الغربية ، وتطبقها جنوب افريقيا في الترانسفال وغيرها من المقاطعات وتطبقها أيضاً الفلبين في أرخبيل مندناو .

ويبقى الالبانيون هم أفقر الاعراق اليوغسلافية وأكثرها تعرضاً للإضطهاد . واسدها حرمانا من الحقوق الإنسانية ، فإن إقليم كوسوفو هو أشد إقاليم يوغسلافيا تأثراً تشدد إلى الخلف مشكلات اجتماعية وسياسية يصعب حلها ، واقتصادها في وضع مرعب ، وقد شاركت الأزمة الاقتصادية (١) اليوغسلافية في تعقيد المشكلات في كوسوفو، وفي توسيع الفجوة بين الالبانيين وغيرهم من الاعراق ، فازداد الالبانيون فقراً بقدر ما زداد غيرهم من اليوغسلافيين غنى ، حتى وصل الدخل السنوي للفرد في كوسوفو إلى ما دون ثلث متوسط دخل الفرد في الاعراق الأخرى ، في بينما كان الدخل السنوي للفرد في يوغسلافيا سنة ١٩٧٩ هو ٢٦٣٥ دولاراً وهو في سلوفينيا قد بلغ ٥٣١٥ دولاراً نجده في كوسوفو لم يجاوز ٧٩٥ دولاراً ، وقد بلغ الأجر الشهري للعامل في كوسوفو ١٨٠ دولاراً ونجد أن متوسط الدخل الشهري للعامل العادي في بقية أنحاء يوغسلافيا يصل إلى ٢٣٥ دولاراً ويرتفع نفس الأجر الشهري للعامل العادي في سلوفينيا إلى ٢٨٠ . أما الانتاج في كوسوفو فقد وصل إلى ٣٠٪ من متوسط مجموع انتاج يوغسلافيا ، وتقول الاحصائيات الرسمية الصادرة في يونيو سنة ١٩٨١ ان في كوسوفو ٧٢ ألف عامل عاطل عن العمل ، بينما تقول نشرات صادرة عن بلغراد ان العدد الحقيقي للمتعطلين في ذلك الإقليم قد يصل إلى ٢٠٠ ألف وهذا دليل قاطع على أن أكثر المتضررين من البطالة وخاصة ، وتأثراً بالأزمة الاقتصادية اليوغسلافية بعامة هم الالبانيوكوسوفو ، وسنأتي على التفاصيل في فصل لاحق عند الحديث عن الاحصاء الذي أجري سنة ١٩٨١ وفق تقارير بلغراد . وعلى الرغم من أن ١٥٪ فقط من سكان إقليم كوسوفو يتحدون من أصول صربية ومن مواطني الجبل الأسود، فإن الـ ٨٥٪ الباقي

(١) دين يوغسلافيا البالغة ٢٤ بليون دولار تجعل دين كل فرد في يوغسلافيا أعلى من دين أي فرد آخر في أي دولة في العالم ، فهو يفوق دين الفرد المكسيكي (المؤلف) .

ينحدرون من عرق الباني صرف إلا أن نسب البطالة بين المجموعتين لا تختلف بنسب مشابهة لتلك النسب العددية، فمجموع العاطلين من الالبانين يبلغ ٦٤,٩٪ من مجموع الكوسفيين الالبانين ولا تجاوز نسبة العاطلين بين الصربين ومواطني الجبل الأسود ٢٩,٨٪ ، أي أن العاطلين بين الالبانين قارب ثلثي السكان بينما لم تبلغ نسبة العاطلين بين الصربين ومواطني الجبل الأسود حتى ثلاثة عشرهم .

أما الأزمة الاقتصادية المزمنة في اقليم كوسفو ، فأسبابها الجذرية تعود إلى تخلفها الشديد في ماضي تاريخها وإلى الاهمال الشديد وسوء الادارة من قبل السلطات المركزية وإلى الاجحاف اللاحق بها عند توظيف الأموال الاتحادية في المشروعات ، فمنذ أوائل السبعينيات ركزت يوغسلافيا مشروعاتها الاقتصادية في المناطق التي تتتوفر فيها الخبرات وبذلك تدني توظيف الأموال في كوسفو ، لأنه انصب أصلاً في الصناعات التحويلية ، وهي صناعات تجمعت في الجمهوريات الشمالية كما تبين عند الحديث على التفاوت الشديد في دخول الاعراق اليوغسلافية ، بينما كوسفو الغنية نسبياً بالكثير من المعادن، استعملت كمصدر لخامات المواد الأولية التي تنقل لتصنع في الشمال ، مع أن هذه المواد التي تستخدم في أراضي كوسفو تمثل جانباً مهماً في هيكل الصناعة اليوغسلافية ، إذ أن في كوسفو ما يزيد عن ٢٠٪ من مخزون الفحم الحجري في يوغسلافيا كلها ، وما يزيد عن ٦٠٪ من احتياطي معدني الرصاص والزنك ، وما يزيد عن ٢٠ مليون طن من خام حديد النيكل (١) و ٥٠ مليون طن من مخزون الليسيتي (نوع من الفحم الحجري) تمثل حوالي ثلث مجموع ماتملكه يوغسلافيا من مصدر القوة الحرارية . ولم يحاول الصربيون كسب قلوب الكوسفويين ، بتعويضهم عما

(1) East European Quarterly N° 4 January 1983

يستنزفونه من أراضيهم من مواد أولية ضرورية جداً لتشغيل مصانعهم ، بل أجبروهم على دفع قيمة كل ما يشترونه من منتجات الشمال بأسعار عالية رغم أنهم يشترون المواد الأولية من المناجم الكوسوفية بأسعار متدنية جداً .

وعندما وظفت الحكومة الاتحادية خلال السبعينات مبالغ طائلة في كوسفو ركزت استثمارها في صناعة استخراج المعادن من الأرض ويرى الباحث الدكتور حفظي اسلامي أن سياسة توظيف الأموال هذه تشير إلى أن سياسة الحكومة الاتحادية قائمة على أساس حاجات يوغسلافيا في إطارها العام الهدف إلى تطوير صناعاتها دون أن تلقى بالاً إلى حاجات كوسفو، وبذلك فإن المستفيد الأول من هذه السياسة الصناعية لم يكونوا هم الكوسفيون بالتأكيد ، بل المستفيد الحقيقي كان هو الجمهوريات الشمالية الغنية التي سخرت الكوسفيين عن طريق حاجتهم الشديدة إلى «لقمة العيش» في القيام بأشق الأعمال مقابل أحط الأجور ، وتتضاعف خسارة الكوسفيين عندما يشترون مواد انتاج في الشمال من خامات تعبرا هم في استخراجها من أراضيهم مقابل أدنى الأجور وأرخص الأسعار . وهل هذا يختلف عما يفعله المستعمرون في مستعمراتهم ؟ ان الصربيين يتغاهلون رغائب الكوسفيين المتطلعة الى ان تنشئ الحكومة الاتحادية في كوسفو مجمعات صناعية تصنع الخامات المستخرجة من باطن أرض كوسفو بآيدي أبناء كوسفو ، ويأملون في أن تصنع تلك الخامات يوماً ما في مصانع اقيمت على وجه أرض كوسفو لتخلق مواطن عمل لعدد كبير من أبناء كوسفو العاطلين، فيسودون حاجاتهم من إنتاجها ويبيعون الباقي لمن يشauen بالثمن الذي يستتبون ، ويتعلمون ويتدرّبون ويكتسبون الخبرات التي ترفع من دخولهم لتتساوى مع دخول غيرهم من أبناء يوغسلافيا، فهم يشعرون بأنهم سلالة متميزة تشعر بوجودها شعوراً عميقاً بنفس العمق

الذى تشعر فيه بما تلزم به من كبت واضطهاد ، كما يشعرون بضيق وعدم رضا عن وضعهم المبني ظلما على تمييز عنصري ، ركائزه الحد من وصول الكوسيفين الى الوظائف ذات السلطان الحقيقى، وهم يؤمنون بأنهم مبعدون عن بؤرة السلطة ومبعدون عن فرص شغل الوظائف المهمة، وعن التحرك الاجتماعى والسياسى الذى يتناسب وحجم ومكانة الكوسيفين الحقيقين . واستهدفنا من الإفاضة في الحديث عن الأجواء النفسية والعاطفية والاقتصادية والسياسية لمجتمع العرق الالباني الكوسفوى التي سبقت احداث ربيع ١٩٨١ لتوضح الأسباب التي أدت الى ازهاق أرواح كثيرة بين الالبانيين رغم التشريد والقتل فلم تخب نار الثورة إلا لتعود أشد اشتعالا ، وستستمر مشتعلة إلى ان يثوب اليوغسلافيون الى رشدهم، فيمكنوا الالبانيين من حقوقهم المشروعة، ونأمل أن يعتبر الصربيون بأحداث الربيع الأحمر سنة ١٩٨١ وهي أحداث تعود جذورها الى ماينيف عن ربع قرن مضى ، بل لعلها تعود الى سنة ١٩١٩ وهي السنة التي بترت فيها كوسفو عن الوطن الأم وألحقت بيوجسلافيا.

كوسفو هل هي عظم يتصارعون عليه أم جسر عبور الى ماوراءه من الأرضي ؟

لقد صارت كوسفو شوكة دائمة تتخر العلاقات بين تيرانا وبلغراد ، وكانت العمود الفقري في نزاعها في الخمسينات والستينات ، عندما اشتد صراعهما العقدي وإن اقتصر نزاعها على سلاح الأقوال دون الأفعال، كما أن التبادل التجاري لم يتأثر كثيرا كما مر ذكره فيما سبق من صفحات.

ولكن بريشتنا - عاصمة كوسفو - لعبت في السبعينات دورا بناء في تطوير علاقات ودية بين البلدين ، فأظهرت تيرانا اعتدالا تجاه التطور الاقتصادي والتعليمي في كوسفو ، كما بدا أنها قد كفت عن تحريض الكوسفيين على الثورة على وضعهم الدستوري غير المرضي ، وعلق أحد قدماء المراقبين لسياسة الباانيا على سلوكها السياسي في تلك الفترة بقوله : لقد كان سلوك الباانيا الودي حيال يوغسلافيا مثاليا خلال أوقات حرجية كثيرة مرت بها يوغسلافيا ورغم ذلك فإن اضطرابات كوسفو في ربيع ١٩٨١ ونتائج تلك الاضطرابات كانت "عظمًا" تتصارع الفتتان على تأثيره الفعال" في مقدرات الباانيا ويوجسلافيا صراعا ضارا بالجانبين، فهو صراع يعكس تاريخا طويلا من النزاع العرقي بين الالبانيين والصربين استغرق قرونا . وكان ذلك الصراع على أشدّه بينهما عند الغزو العثماني وكانت الباانيا آنذاك جزءا من صربيا ، وتقول بعض الروايات التاريخية أن الالبانيين إنحازوا للجيش العثماني الغازي في أثناء المعركة الحاسمة التي جرت بين الصربين والعثمانيين في سهل كوسفو سنة ١٣٨٩ م وانتهت بفوز العثمانيين

وهزيمة الصربين هزيمة ساحقة (١) ، ويعمل الصربيون هزيمتهم الشنعة تلك، بخيانة الالبانيين لهم . وقد تكون هذه الرواية غير دقيقة إلا أن ماتعلمناه من التاريخ هو ان الأقليات ترحب بالغاري عليها تجد في كنفه راحة تفتقد لها في ظل الاعراق التي تعايشها في بلدها .

وتقول التقارير التحليلية لتعداد ابريل ١٩٨١ أنه كان هناك ١٠٧٠٠،٠٠٠ (٢) ألباني في يوغسلافيا . منهم ٢٢٧٤٢٤ يعيشون في كوسفو ، و ٣٧٧٠٠ يعيشون في مقدونيا ، و ١٢٤٣٢ يعيشون في صربيا . و ٣٧٧٣٥ يعيشون في الجبل الأسود ونسبة الانتاج البشري بينهم مرتفعة جدا ، فاذا استمر هذا المنسوب الذي يجاوز ٥٪ سنويا فسيفوق عدد الالبانيين عدد سكان الجبل الأسود قبل نهاية هذا القرن ، وسيحدث نفس الشيء بالنسبة لمقدونيا ، ولسلافي الجنوب ، ويتوقع أن يصل عدد المسلمين الى مليوني نسمة في نهاية هذا العقد ، علماً بأن كوسفو ليست جمهورية بل ولاحتى اقليم يتمتع بالحكم الذاتي الكامل ، فاذا مامنحوا حق تكوين جمهورية مستقلة فستكون هذه الجمهورية مركز جذب يتمحور حوله جميع الالبانيين القاطنين في يوغسلافيا ، وقد يتكتل معهم بقية مسلمي يوغسلافيا فيكونون قوة ضغط ، تعجز حكومة الاتحاد عن رفض مطالبهن مقاومة ضغطهم . وأسباب معارضه الصربين هي اعتقادهم بأن الاستجابة لطلب الكوسفيين بإنشاء جمهورية خاصة بهم ولو ضمن اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية يحمل في طياته نهاية ذلك الاتحاد أو سيسurge سلالات أخرى على المطالبة المماثلة كولاية فويводينا وهي جزء من جمهورية صربيا الان ، ولكن مراجلها تغلى انتظاراً للحظة المناسبة ، فما ان تستقل كوسفو حتى

(١) أشهر المعارك التي دارت على أرض كوسفو انتصر فيها الترك على الصربين في ١٣٨٩-٦-١٥

(٢) East European Quarterly N°4 January 1983

تشريع فويفودية في ترسم خطها . وبما أن الصربين يعتقدون ان مطالبة الباني كوسفو بالجمهورية ان هي إلا خطوة أولى في مخطط العودة للاندماج في البانيا العظمى، " فان بقية الاعراق الخامدة الآن ستتفجر انفجارا يقضي على الاتحاد الحالي وتتلاشى يوغسلافيا وتذهب أراضيها وشعيبها بدوا . فالخوف من تفوق الالبانيين على الصربين وتفوق المسلمين عديا على المسيحيين، كما حدث في لبنان، والحبشة وانتقال عدوى المطالبة بالحكم الذاتي فالاستقلال هي الدوافع الحقيقة وراء مقاومة الصربين لتلبية مطالب الكوسوفيين وهذا هو الدافع الحقيقي وراء مقاومة الصربين لقومية الالبانية مهما كان الثوب السياسي الذي ترتديه ، اما مصدر رعبهم الدائم فهو الانفجار السكاني بين الالبانيين الذي لوترك شأنه لاصبح غير الالبانيين اقلية في كل من جمهورية الجبل الأسود والصرб .

النتائج الخطرة للسياسات الاجتماعية والأقتصادية والثقافية الخاطئة التي يطبقها الاتحاد يوغسلافي في ولاية كوسفو .

في سبتمبر سنة ١٩٥٨ نشرت صحفة " ويزى بوبوليت" مقالاً أوضحت فيه أن ٣٦,٠٠٠ الباني كوسوفي اعدموا في الفترة ما بين ١٩٤٥ - ١٩٤٨ م . أما حملة تطهير سنة ١٩٦٦ التي قام بها " الاكسندر رانكو فيتش" نائب الرئيس تيتو رئيس الشرطة السرية اليوغسلافية فقد اضطرت السلطات اليوغسلافية إلى الاعتراف علينا " بوحشية اجراءات التحقيق التي طبقت على الالبانيين " وكتب أحد الدارسين الكوسوفيين البارزين يصف الاضطهاد الواقع على الالبانيين في الحقل الثقافي فقال : "... المصررون على الإبقاء على الثقافة القومية الالبانية اعتبروا قوة قومية منحرفة من قبل السلطات اليوغسلافية التي تعتبر التقاليد الدينية نوعا من المحرمات ، كما أن التحدث عن التقاليد الأدبية الالبانية هو مبعث لأحتقار سياسي ، والاصرار على الوحدة واستمرار الثقافة الوطنية بما ذنب غير قابل للغفران .

وفي أكتوبر سنة ١٩٧٩ . زار تيتو كوسوفو وألقى عدة خطب هاجم فيها بشدة " القوميين " وأصحاب الحنين الى الوطن الأم من الالبانيين ، كما هاجم رجال الدين المحليين لتسببهم في قيام الإضطرابات في مناطقهم دون أن يبذلوا جهداً في اقناع اتباعهم بالخلود الى السكنية ، وقام فضيل خوجة صنيعة تيتتو ، ممثل كوسوفو في مجلس رئاسة الاتحاد اليوغسلافي بشجب " المقامر " القصير النظر أنور خوجه " لتعريفه سلامة الشعوب البلقانية للخطر ، عندما شجع تنامي الشعور بالقومية . وعقب اضطرابات سنة ١٩٨١ ، عقد اجتماع لوكاء النيابة الصربية تقرر خلاله تبني وسائل باللغة العنف لإعادة الأمن في كوسوفا الى نصابه . كما قرروا الكف عن نشر أخبار ما يجري في كوسوفو مما وسع المجال أمام الشائعات المغرضة . كما زاد في التهاب العواطف الوطنية صلف الصربيين الذي اعمتهم عن رؤية علامات تتندر بعواصف تتجمع سحبها في سماء يوغسلافيا ولن تبددها هراوات الشرطة ولامدافع الجيش وصواريخه ولا السجون ولا المعتقلات .

ومن حين لآخر حدث احتكاكات بين الصربين المسيطرین وبين الالبانيين الذين يجرون مراة الظلم في صمت في انتظار اليوم الذي سيزيل الظلم والظالم وستكون ضحاياه عديدة بمقدار تضحيات الالبانيين لأن عسف السلطة الاتحادية الخانعة أمام النفوذ الصربي سيدفع الالبانيين الى العمل على الانفصال عن يوغسلافيا والى طلب الوحدة مع البانيا .

وبما أن البانيا تعتبر كوسفو مهد القومية الالبانية لأن حركة القومية الالبانية نشأت فيها في أواخر القرن التاسع عشر ، وازدهرت في أوائل القرن العشرين ، وكانت مرکزة في اقلیم كوسفو وخاصة بعد أن تكونت الرابطة الالبانية في مدينة " بريزرن BRIZREN " سنة ١٨٧٨ وجدت

لنفسها هدفاً وحيداً هو تحرير (١) الباينيا وتوحيدها ، وهكذا فإن الصراع الحاد الذي أدى إلى استقلال الباينيا سنة ١٩١٢ . كان قد الهبه الالبانيون الكوسفيون بقيادة رموز الوطنية الالبانية في ذلك الوقت من أمثال عيسى بوتيليني وحسين بريشتنا ، وبيرم كري . وخشى كل من يعنيه أمرن يوغسلافيا وسلامة أراضيها ان يتكرر فيها ماحدث لتشكوسلاوفاكيا عقب ظهور ميل من رئيس وزرائها " دوبشيك " إلى التملص قليلاً من قبضة روسيا الخانقة ، فقابلت روسيا محاولته بالزحف على تشيكوسلاوفاكيا واحتلالها سنة ١٩٦٧ . وعزلت دوبشيك وتولى مكانه رئيس وزراء موضع ثقة الشيوعيون .

ورأت الباينيا ان خلافاتها مع يوغسلافيا هي خلافات محلية لن ترتفع خطورتها على الباينيا الى مستوى خطر احتلال يوغسلافيا من قبل الروس ، فقاموا بتحذير المسؤولين اليوغسلافيين من نتائج طرق معالجتهم لشكاوي الأقلية الالبانية في كوسوفو وإن عليهم أن يكبحوا جماح المتطرفين الصربيين ، غير أن يوغسلافيا لم تول أحداث كوسفو ما تستحقه من اهتمام ، وربما لم تول لها أي اهتمام على الاطلاق ، لا للأحداث نفسها ولا لتأثير تلك الأحداث على علاقتها مع الباينيا وللامع غيرها ، وكان من الواضح لدى الالبانيين الكوسفيين أن إخوتهم في الوطن الأم يتأنلون في صمت من أجل صالح الوطن الأم مضحين بمصالحهم هم وبمشاعرهم القومية وطموحهم السياسي على الرغم من أن سوء معاملة الصربيين لهم جاوزت القدر الذي يمكن أن يحتمل ، فلما استأنفوا التململ في صبر ، ثم التذمر في خفاء : أشعرت تيرانا بلغراد في لباقه غير معتادة بما يحتمد في أحناه صدور البايني كوسفو ، كما كان واضحأ أيضاً أن بلغراد لم تكن على علم بحقيقة الغليان الذي يفور في صدورهم ، أو أنها تعلم ، ولكن الاستهانة بالكوسفيين من

جانب، والرغبة في تجنب غضب الصربيين من جانب آخر اعميابها عن رؤية ما يتفاعل في كوسوفو، فلم تحس بسريان عدم الرضا بينهم الذي سرعان ماتتحول إلى غضب عارم طمس القليل مما تبقى من ثقة بين السلالة الالبانية ومن رغبة في تعايش مع السلالات اليوغسلافية الأخرى وهو أمر فاجأته حدة الحكومة اليوغسلافية مفاجأة تامة . ولقد صبرت السلطات الالبانية على مضض ، على اليوغسلافين عليهم ينتبهون للخطر المحدق بجنوب بلادهم ، ولكنهم ضلوا في غيهم يعمهون ، ومن الطبيعي ان لكل شيء حدا حتى صبر الحكومة الالبانية ، التي لم يكن الصبر من شيمتها . فقد نشرت الجرائد الالبانية أول خبر عن مظاهرات بريشتينا في ٣ أبريل سنة ١٩٨١ ، ثم توالت الأنباء على اسماع الالبانيين من مختلف وسائل الاعلام الالباني ، وحقيقة الامر ان اضطرابات بدأت في ١١ مارس سنة ١٩٨١ . وكانت اسوأ اضطرابات في تاريخ كوسوفو منذ سنة ١٩٤٥ ، أي منذ بعيد الحرب العالمية الثانية ، وكانت شرارتها الأولى صداما بين الشرطة ومركز الطلبة في جامعة كوسفو عندما تذمر الطلبة بسبب المستوى المتدني للمعيشة في المركز بالجامعة ، وقد جوبه تذمر الطلبة بصرامة ، وتعال من جانب الشرطة لم يخل من استفزاز ، ودفعت الأحداث قيادة الحزب في الاقليم الى مناقشة القضية ، وقد أوضح " محمود بكالي " رئيس فرع الحزب . وكبار الموظفين في حكومة الولاية ان أسباب التذمر هي في جذورها أسباب اقتصادية ، اجتماعية أدت الى اضطرابات أكتست ثوبا سياسيا ، وتتوال اضطرابات في ٢٥ مارس سنة ١٩٨١ فقامت مظاهرة في بريزرن اعقبها في اليوم الثاني مظاهرة كبيرة في بريشتينا سار فيها أكثر من عشرة آلاف طالب انضم اليهم عدد غير من العمال تحولت بفضل مشاركتهم الى مظاهرة قومية، سرعان ما انضم اليها مجموعة من الموظفين من جميع الفئات، وارتفع الهاتف بالمطالبة بجمهورية كوسوفية . ولضخامة المظاهرة وقلة عدد

الشرط أحجم المسؤولون عن اعتراض سبيلها ، وأدى ذلك الاحجام الى نتائجين كان لها اسوأ الاثر على العلاقات بين رجال السلطة في العاصمة وبين جمهور المتظاهرين ، الأول " ان السلطات شعرت بقوة غضب الجماهير وهو غضب ظنت أنه سيدفع تلك الجماهير لارتكاب أخطاء تكفي لإعطاء السلطة العذر فيما تتخذه ضد المتظاهرين من اجراءات قاسية ، الثاني : ان التفسير الجماهيري لهذا الاحجام هو ان حجم المظاهرة قد أخاف السلطة ، فقرر زعماء الطلبة وزعماء العمال ان يتجمعوا دائمًا في مظاهرة واحدة كبيرة يشجع حجمها جميع المواطنين على الانضمام اليها على اعتبار ان السلطة لن تجازف بالاصطدام باعداد هائلة من الشعب ، وفي ٢١ مارس ، قامت مظاهرة كبرى في مدينة اوبليك تجمع فيها الطلبة وعمال البناء وغيرهم من فئات الشعب ، وهي أول مظاهرة رتبت وفق استراتيجية التظاهر في اعداد كبيرة متجمعة باعتبارها حصيلة تجربة ٢٥ مارس في بريشتنا ثم توالت المظاهرات الكبيرة وفق النمط الجديد للمظاهرات ، غير ان السلطة - حماية لهيبيتها - اضطرت للاصطدام بالمتظاهرين وسقطت مئات كثيرة من الجرحى ، وغداة ذلك اليوم قامت مظاهرات عظمى في بريشتنا وأخرى في بودوجيفي وانتشرت المظاهرات في نفس اليوم في مدن كوسفو ، أكبرهن في العاصمة بريشتينا وقامت محاولات في مدن ثانوية لكنها قمعت بسرعة . ورغم ذلك عم التظاهر جميع مناطق الاقليم يبتدئها الطلبة فينضم اليهم العمال وجميع فئات المواطنين ، غير أن المزارعين انضموا لأول مرة الى تلك المظاهرات وكانت علامة بارزة ، حيث أنه لابطبيعة عملهم ولا مكان لهم يمكنهم من المشاركة في المظاهرات التي تقوم عادة في المدن وهم يقيمون ويعملون في الريف ، وقد زادت مشاركة المزارعين في المظاهرات في قلق المسؤولين، كما زادت في قسوتهم . وكان المتظاهرون يطالبون بتحسين اقتصاد كوسفو واحوالها العامة، ويطالعون بحرية الصحافة، ويشددون على مساواتهم في كل شيء

بالمواطنين الآخرين من السلطات الأخرى الذين يعايشونهم في يوغسلافيا ، كما يطالبون بالافراج فوراً عن المعتدين السياسيين، غير أن أهم مطالبهم كان هو تحقيق رغبتهم في تحويل الأقليم الى جمهورية ضمن الاتحاد اليوغسلافي ، وان كان بعض المتظاهرين قد طالبوا بالانضمام الي البابانيا ، وكانت بلغراد قد اقترحت - قبل تفجر المظاهرات - في ٢٥ - ٢٦ مارس الاستعانة بقوات من خارج الأقليم وقد رفض كبار مسؤولي كوسفو الاقتراح . وما أن تفجرت المظاهرات بالاحجام التي وصفناها حتى سارعت بلغراد الى وضع بريشتنا تحت إدارتها مباشرة بعد ان اعلنت حالة الطواري في الأقليم ، وحضرت التجمعات العامة وفرضت منع التجول وحضرت دبابات وسيارات مصفحة للقضاء على انتفاضة محتملة ، واقفلت جامعة كوسفو ، وصرح المسؤولون بأنه قد نتج عن الاضطرابات وفاة تسعة اشخاص ، اما الجرحى فقد بلغوا ٢٥٧ . ونشرت وسائل الاعلام الغربية ارقاما اعلى للجرحى والموتى ولعل الخسائر الملموسة في الأرواح والجرحى الذين ضاقت بهم مستشفيات بريشتنا هو ما دفع سلطات الأمن الى تبني سياسة الشدة في المعاملة ، برزت في شكل ارهابي عند الاعتقال والتحقيق والتقيش والتعذيب ، وقامت تلك السلطات بحملة واسعة ضد الكوسفيين تمثلت في مهاجمة وسائل الاعلام لتاريخهم وثقافتهم وتراثهم كما اطلق العنان للصربيين والمقدونيين ومواطني الجبل الأسود للتشفى لمشاعرهم القومية من القومية الألبانية ، وقد وصف صحافي غربي آثار كل ذلك بقوله "منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لم يحدث قط مثل هذا الإيغال في معاداة العنصر الالباني ". ثم قام المسؤولون بحملة تطهير تمثلت في إحلال قادة مختارين محل جميع قادة كوسفو رغم ماسبق أن قدمه المعزولون من خدمات وكذلك العديد من الموظفين من مختلف المستويات ، استوى في ذلك سائقو السيارات وعمال الهواتف ومديرو الإدارات وصفار الموظفين ، فكل من كان

صادق الولاء استبدل بمن كان ولاهه موضع شك ، وترتب على هذا الاجراء ان اعتقل آلاف الاشخاص ، وقد حكم على ألف شخص منهم حكما جماعيا ، كما حكم على أكثر من ٤٠٠ شخص بأحكام بالسجن اقلها سنة واحدة وأكثرها خمس عشرة سنة في محاكمات جرت سراً ، ولم يتسرّب عنها شيء ، ولم يسمح لمراسلي وكالات الأنباء أو الصحفيين الوطنيين أو الأجانب بحضور المحاكمات ، وكل ما عرف عنها كان ما إذاعته وكالة تانيوج ، أو القليل الذي أسرّ به بعض المحامين الى اصدقائهم ، مع أنهم محامون مكلفوون من المحكمة بالدفاع عن المتهمين ، ومن بين المدانين " ثابت الرستمي " أحد كبار الأدباء المعروفيين ، ومنهم رئيس تحرير مجلة " فياله " الأدبية " سبع الدين الخالدي " ، وسبب الحكم على الكاتب الرستمي أنه كتب قصة قصيرة نشرها في أول أبريل سنة ١٩٨١ وقد حكم عليه بالسجن أربع سنوات ، أما رئيس التحرير الخالدي ، قد حكم عليه بالسجن ثلاثة سنوات ، لأنه سمح بنشر القصة كما صورت المجلة وسحب ترخيصها .

وقد سببت المحاكمات وما اصدرته من أحكام ازداء عاما ، وحولت النظام القضائي في يوغسلافيا الى نظام تهريج ، وتتلخص التهمة في ان مجلة فياله نشرت قصة قصيرة اسمها " تحت قناع الصيف" لكاتب مشهور محبوب ، واحاديث القصة تدور حول صمود الالبانيين للفزة الأجانب خلال الحرب ، فأدين الكاتب لأن القصة قدمت دون حق شرعي ، مجموعة من الجزئيات التي يمكن ان تؤدي بتصورات عن الاحاديث الجارية في كوسوفو . واستأنف محامو المجلة الحكم ، وكان دفعهم ان القصة قدمت للنشر في فياله في اوائل سنة ١٩٨١ . بعد ان سبق نشرها في مجموعة أعمال أدبية ، ولم تشر القصة الى مكان الاحاديث أو سنة حدوثها ، وليس لها أي علاقة بالأحداث التي جرت في مارس وابريل ، لكن المحكمة العليا في كوسوفو

رفضت الاستئناف بحجة ان قصة الرستمي تحمل في طياتها صورا لاحادث غير واقعية وقمينة بتهديد الامن العام ، او باستفزاز العامة . وقد شهر الكاتب اليوغسلافي " ميلوراد فوشيليس بمحاكمة الرستمي والخالدي وقال : ليس هناك في القصة من سر ، فكيف يمكن لقصة نشرت قبل تفجر احداث ربيع سنة ١٩٨١ . أن تشير الى تلك الاحداث بالذات . لقد حدثت انتفاضة الالبانيين في وقت كان عدم وضوح الرؤية السياسية يسود يوغسلافيا . بسبب الحيرة وتدخل الصور التي سيطرت على القوة السياسية وبسب ضعف الزعامة الوطنية بعد وفاة تيتو . وبضغط من الصربيين تبنت الحكومة المركزية سياسة القوة البالغة . لاستعادة استتاباب الامن في كوسوفو ولم يخطر ببال تلك الحكومة قط إيجاد حل سياسي للأزمة ، وقد تعرض الالبانيون المعارضون لجموع القومية الصربية التي مارست عليهم ضغطاً عسكرياً بالغاً، نفذ إلى عظامهم، فحفزهم إلى مقاومة أشد ليقفهم من أن حالتهم لن تسوء أكثر مما ساحت ، وألهب الظلم أحاسيسهم إلى درجة لم يسبق ان ارتفعت إليها من قبل منذ سنة ١٩٤٥ ، وزاد في اشتعال موقفهم جلب اعداد من رجال الامن من الجمهوريات الأخرى الى كوسفو . كما قيل ان ثلث جيش يوغسلافيا قد عسكر فيها ، فلم يخفهم كل هذا واستمرت الاضطرابات وتبدلت العلاقة بين يوغسلافيا والالانيا إلى ادنى درجة، وصلتها قط وذلك عقب خطاب أنور خوجة في المؤتمر الثامن لحزب العمل الالباني في نوفمبر سنة ١٩٨١ ، والذي طالب فيه يوغسلافيا بان تستجيب لمطالب الكوسفين في تكوين جمهورية خاصة بهم ضمن اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية ، والذي اعلن فيه أنه ليس لأنانيا مطالب اقليمية في اراضي يوغسلافيا .

وبمناسبة الذكرى الأولى لأحداث ١٩٨١ اتخذت السلطات اجراءات

صارمة لتفادي المظاهرات ، وقد وضعت قوات الأمن في حالة طوارئ وصفها أحد الصحافييناليوغسلافيين بقوله ، ان اجراءات الأمن في بريشتنا اعطت المدينة مظهر المدينة المحتجة ، ولكن بالرغم من كل هذا فقد قامت مظاهرات في المدينة يوم ١١ مارس سنة ١٩٨٢، ومظاهرات أخرى في فوشيتز وسوفا وريكا ويوديف ، وفي ٢١ مارس اصطدمت قوات الأمن بالمتظاهرين في بريشتنا ، وفي أول ابريل اكتشفت الشرطة عبوة ناسفة مثبتة في حائط بلدية فيرزاي فنقلتها بعيدا، وبعد أيام ثلاثة فرقت الشرطة مظاهرة قام بها عدة مئات في المدينة نفسها ، وفي مايو وصف وزير الداخلية الحالة في كوسفو : بأنها ما زالت معقدة ، وصرح بأن السلطات قد اكتشفت ٥٥ مجموعة غير مشروعة يزيد عدد اعضائها عن سبعمائة عضو ، وهذه المجموعات ، تتنتمي الى ثلاث منظمات كلها غير شرعية هي حركة التحرير الوطني لكوسفو ، ومجموعة الماركسيين الليبيين لكوسفو ، والحزب الماركسي الليبي الشيوعي الالباني في يوغسلافيا ، وقد اتهم وزير الداخلية بأنها تدعم كل هذه الفرق ، ولكنه لم يقدم أي دليل مادي على صحة اتهامه . وفي ١٥ يوليو حكم على ١٨ عضوا من الحزب الماركسي الليبي لكوسفو بالسجن لمدة تتراوح بين أربع سنوات وخمس عشرة سنة بينهم ثلاثة من مدرسي المدارس والجامعة ، ومن بينهم طلبة وصحافيون ، وعدد من العمال وضابط شرطة وكانوا قد اتهموا بأنهم تآمروا على تنظيم مظاهرات سنة ١٩٨١ . أما مؤتمر رابطة الشيوعييناليوغسلافيين . المنعقد في آخر يونيو سنة ١٩٨٢ . فقد اخفق في تحويل التوجه الخطر في التعامل مع الالبانيين ، وعجزت يوغسلافيا مرة أخرى - بسب النفوذ الصربي - عن الاستجابة لمطالب الالبانيين بإنشاء جمهورية خاصة بهم، ويظهر أنهم لم يقدروا جدية مطالب الالبانيين حق التقدير ، كما لم يعطوا المطالبين بها وزنهم الحقيقي، وأعلن السيد لازار مؤيسون رئيس مجلس رئاسة رابطة

الشيوعيين اليوغسلافين : ان العلاقات بين يوغسلافيا والبانيا دخلت في السابع من مايو مرحلة خطرة ، واتهم البانيا (١) بالاسهام في إثارة اضطرابات في بريشتنا، وأكد ان بدايتها كانت على ايدي متسللين البانيين الى يوغسلافيا ، وأعلن أن هدفهم هو تدمير النظام الدستوري في يوغسلافيا بإعلان كوسفو جمهورية البانية، وان المتأمرين يقودهم عملاء أجانب قربون جداً من تيرانا ، وأعلن مسؤولون صربيون إتهامهم سفارتي البانيا في كل من بلغراد وفيينا بتمويل نشاط المتأمرين وقد اتجه اليوغسلافيون الى لوم تيرانا على ماحدث من اضطرابات وجراحي وأموات .

ولقد اتضح ليوغسلافيا ان الاجراءات التعسفية كلها قد اخفقت في تسكين الانتفاضة واسكات المطالب وتبين ان تلك الاجراءات لاتستطيع نجدة اقتصاد كوسفو ولا إنهاضه من وعده . واقتصرت بآن استعادة الهدوء في كوسفو. أمر شاق جداً اذا لم تستجب مطالب الكوسفيين بالمساواة بالسلطات الأخرى المكونة للشعب اليوغسلافي، وفي وجه كل هذه الحقائق ، فالمنطق والواقع يحتمان ان تتخلى بلغراد عن تصلبها وعنادها، وان تتلمس حلولاً تستند الى أفضل السبل ، مفتنة ماتبقى من وقت ما زال يسمح بمفاوضات تحفظ كرامة الطرفين . فتعطي الكوسفيين جمهوريتهم التي ينشدونها في اطار الاتحاد اليوغسلافي ، وتحفظ لحكومة يوغسلافيا ماء وجهها لأن اخفاقي بلغراد في اتباع نمط سياسي يستجيب لرغائب الالبانيين سيجر على البلاد متابع هي في غنى عنها . وإذا ما بدأت فلا احد يعلم متى تنتهي، ولا يعلم ما هي عواقبها، ولا أثرها على استقرار الاتحاد اليوغسلافي ، وهذا مادفع السفارة الالبانية ببلغراد الى إصدار تصريحها

الشهير الذي بثته بين الشعب اليوغسلافي يوم ٢٠ يناير ١٩٨٠ تعلن(١) فيه تعهد البابانيا بمساندة يوغسلافيا واليونان عند تعرضهما لأي هجوم عسكري على اراضيهما بالرغم من تباين النظم السياسية التي تأخذ بها الدول الثلاث.

(١) وكان هذا الاعلان قد اصدر عقب ظهور علامات واضحة لكل ذي عينين أوضحتها انتشار التذمر بين اللبنانيين وتلاشى حرجهم المعتمد عندما يتحدثون بشيوع اليأس من تحقيق الرغائب والأمال، ولم يدرك المسؤولون ان اخطر انسان على وجه الارض هو الانسان الجائع اليائس . اذ ليس لديه ما يخشى عليه الضياع وليس لديه ما يأمل فيه (المؤلف) .

الفصل الرابع

الاسلام هو المخرج الوحيد من دوامة التناقضات بين الرأسمالية والشيوعية

شر الشيوعية الحمراء إن حكمت. كثُر حكم الرأسمالية النك.

الماركسية أسلوب للنظر الى الاشياء، ولا شأن لها بالجانب الروحي على تفاوت في تطبيق هذا المفهوم لها من بلد شيوعي الى آخر ، فالبانيا في ظل خوجة ألفت جميع الأديان وأعلنت إلحاداً صريحاً ، وعدلت دستورها ليتضمن مادة تحرم التدين بأي دين ، بينما روسيا التي كانت تأخذ بنفس الفلسفة عدل دستورها في عهد بريجنييف ليتضمن مادة تجيز للمواطن الروسي ممارسة العقيدة الدينية التي يؤمن بها إذا قام بواجباته القومية والوطنية على الوجه المرغوب . واعتبار الدين قضية شخصية لا تتدخل فيها الدولة ولا الحزب هو تطور جديد في التفكير الشيوعي الروسي القائم على المادية المطلقة في الماضي، وانكار الجوانب الروحية في الفرد، وعلى نبذ الدين والديان ، ويعلل " كارديل" المنظر الشيوعي اليوغسلافي أسباب التعديل بأن الفلسفه الروس أكدت لهم التجربة الطويلة أن الإنسان لا يستطيع إرغام العواطف البشرية التي لا يستطيع أن يكيفها الإنسان كما يكيف المصنوعات من المصهورات ، وبالتالي فقد قرر الروس استثناء المشاعر الوجدانية من الاختصار للمبادئ الماركسية وعلى رأس تلك المشاعر المشاعر الدينية ولاعيب على الروس فيما فعلوا، إذ أن الشيوعي

الصادق هو من يبحث عن الحقيقة ، لذاك الذي لديه فكرة يبحث لها عن دعائم ومبررات ويرفض في نفس الوقت ، التأويل والمرونة ، الذين يحتوينهما الاسلام لتسهيل حياة الناس ، ولهذا نعجب من محاربة الشيوعية للإسلام بنفس القدر الذي تحاربه به الرأسمالية ، فكل الشواهد التاريخية تدل على أن الرأسماليين حاربوا الاسلام لأنه يحول بينهم وبين ممارستهم لشهواتهم المدمرة للنفس والبدن ، ولرغبتهم في التسلط على الغير وسلبه ممتلكاته ، والشيوعية في البانيا وما ماثلها حاولت تدمير الاسلام بمطريقتها وحصد المسلمين بمنجلها لأنهم يرون أن الاسلام هو العقبة الكائنة في سبيل انتشار مبادئهم ، وهم يرفضون الحل الاسلامي الذي يرشدهم الى الخروج من التناقضات الحادة بين الرأسمالية والشيوعية ، ولوتبنيوا اقتصاديات الاسلام التي تحرم الاحتكار مطلقاً وتحفز على العمل ، وتحول دون تراكم الثروة في أيد قليلة ، وله أساليب واضحة لضمان إعادة توزيع الثروة منها نظام الإرث المغاير للنظم الغربية المأخوذة عن اليهودية التي تورث الابن الأكبر جميع ما يتركه الأب ، كما تجيز للأب أو لأي مورث حرمان زوجه وأولاده واقاربه ، فوصية الميت تغنى عن أي نظام ديني . ومن أهم النظم الاقتصادية الاسلامية التي تتضمن توزيع الثروة نظام الزكاة ودوره في الح Howell دون تكديس الثروة إذ أوجب الزكاة في المال ذاته بقطع النظر عن مالكه ، فكما وجد المال وجبت الزكاة فيه ، وعلى مالكه دفعها وإن كان المالك عاجزاً عن القيام على ماله لأي سبب تعين على القيم الشرعي على ذلك المال دفع الزكاة منه فإذا فالزكاة نظام دفع مال مستمر إذ قرر الاسلام ان الزكاة حق مكتسب لمستحقها ، أي أن المستحق شريك في الثروة القومية الموزعة بين الأفراد فيدفعها من وجبت عليه دون من لا تفضل ، ويسلمها مستحقها دون مسكنة أو تذلل ، وكل مسلم قادر مالياً ملزم بإخراج زكاة الفطر عن نفسه وعن كل فرد في اسرته تلزمه نفقته شرعاً ، ومن أساليب الاسلام في توزيع

الثروة نظام الكفارات العينية وهي : كفارة الحنث في اليمين ومن ضمنها الفيء (١) من الأيلاء (٢) ومقدارها إطعام عشرة مساكين غداء وعشاء أو كسوتهم ، وكفارة الظهار (٣) وقيمتها إطعام ستين مسكيناً غداء وعشاء أو كسوتهم ، وكفارة الفطر في رمضان عمداً وقيمتها إطعام ستين مسكيناً غداء وعشاءً أو كسوتهم إذا عجز عن صوم الكفارة، وكفارة القتل خطأ مع العجز عن الصوم وهي ككفارة الإفطار عمداً ، ومن أساليب الإسلام في إعمار بيت مال المسلمين أن يدفع إليه خمس الغنائم الحربية ، وخمس الفي (٤) وخمس الركاز (٥) إذا أخذ دون جهد وعشره إن جهد صاحبه، ويؤول لبيت مال المسلمين مال من لا وارث له كله إن لم يوصي بشيء ، وثلاثة مال الغائب في دار الحرب أو كله إن لم يوصي بشيء .

نخلص من هذه المقارنة العابرة بين نظرة الإسلام إلى ابن آدم، ونظرة الشيوعية إليه ، إلى ان الإسلام دين واقعي تتمثل واقعيته في كونه لا يأخذ بالمبرأة الاقتصادية ، إلى التسابق نحو الربح دون اعتبار للوسائل كما يقول " هيربرت اسبنسن" .

ولا يأخذ الإسلام أيضاً بالانتاج التعاوني القسري الذي لا يلقى بالاً إلى الميل والقدرات عند الفرد ، ولا يعني بالحواجز، ويتجاهل تماماً غريزة الملكية المقدسة - كما تفعل الشيوعية - لأن الإسلام يحترم الصفات الشخصية الطبيعية التي تميز بها الإنسان عن بقية الحيوانات . واهتمام هذه الجوانب

(١) الفيء : الرجوع (المؤلف)

(٢) الأيلاء : أن يخلف الزوج أن لا ي الواقع زوجته (المؤلف)

(٣) الظهار : أن يقول الرجل لزوجته " أنت على كظهر أمي "

(٤) الفيء : كل مال يغنم دون قتال .

(٥) الركاز : هو الكرز الذي يعثر عليه ويكون قد دفعه الأقدمون .

النفسية في الفرد من قبل الزعماء الذين حاولوا تطبيق النظرية الماركسية هو الذي ساقهم إلى الاحراق الذريع، الذي لا ينكره الامكابر . كما ان الرأسمالية ، وقد اطلقت العنان للربح مهما كان مصدره وللإحتكارات والربا والميسر والمراهنات خالقة بذلك تنافسا - تسميه حرا - على تحصيل الربح مغمضة جفونها عن الوسائل الملتوية التي يلجأ إليها طلب الربح من كل مصدر . بينما الاسلام لا يرى ان الخير العام يتناهى وخير نواة المجتمع التي هي الفرد، والاسرة، المعتبرة الخلية الأولى في مجتمعات : النجع والقرية والمدينة . اما نظرية الرأسمالية التي تؤدي إلى ايجاد فوارق اقتصادية كبيرة بين الأفراد تزيد الغنى غنى وتزيد الفقر فقرا . وكذلك المقوله غير الواقعية التي يتمسك بها غلاة الشيوعيين القائلة: شبع مشترك أو جوع مشترك " فقد تحولت إلى هاجس مدمر لتفاصل هذه المقوله عن الفروق الفردية في القدرات على العطاء بين البشر وادت الى جعل العامل المحروم من السكينة التي تضفيها العقيدة الدينية على وجده ، يلهث وراء حياة لا تقدم له الا الخبز الجاف المغموس في هموم القلق .

ولو أخذ النظام الاقتصادي العالمي بالنظرية الاسلامية في تحريم الربا لما طوت أزمة الديون في تلافيفها الكثير من الشعوب ، وأغرقت خمس عشرة دولة من دول العالم الثالث في بلاعة الديون العالمية البالغة الف مليون دولار ، ربحها ملك لمصارف في الولايات المتحدة يسهم فيها مراقبون يهود بأموالهم أو بأموال ودائع الآخرين في المصارف التي يملكونها كما تفعل مجموعة مصارف أسرة روتشفيلد في فرنسا، وبريطانيا، وألمانيا، والولايات المتحدة * . ومشكلة ديون هذه الدول وتلك ، ناشئة أساساً من نظام الربا، حيث عليها أن تدفع أقساط ديونها وفوائد تلك الديون ومجموعها أكثر كثيراً جداً من النمو الاقتصادي السنوي لكل دولة، إذ مامن دولة منها تربح سنوياً ما يغطي

فوائد د يونها فضلاً عن أن يبقى من الأرباح ماتسدد به أقساط الديون المستحقة، أما تحسين المستوى الاقتصادي لأفراد شعوب تلك الدول فالحديث عنه نوع من الهذر، ولكي تدفع فوائد الديون سنوياً عليها أن تقطع من رؤوس أموالها مبالغ كبيرة لتسد بها الفروق بين مجموع حصيلة فوائد ديونها وحصيلة أرباحها السنوية من مختلف أوجه نشاطها الاقتصادي دون القيام حتى بمجرد التفكير في كيفية سداد الديون التي اقترضتها أصلاً والنتيجة أن تلك الدول سائرة حتماً نحو الانفلاس إذ عليها أن تسدد الديون وفوائدها المركبة. ويقعدها عن السداد العجز وتضاعف الفوائد التي تنضم إلى أصل الدين وتكون النتيجة أن تدفع فوائد عن ديون ضخمة تسلّمت جزءاً منها وتركت الباقي من تجمع الفوائد التي عجزت عن سدادها . وهي د يون ما كان المربّون ليتكرموا بها لو لا إغراء الفوائد المضاعفة للربا ولو لا تلك الفوائد لما أقرض المربّون تلك الدول دانقاً واحداً .

وليس أرباح تلك القروض أموالاً فقط ، ولكنها أموال ونفوذ سياسي والتزام بالتصويت لصالح الدول المقرضة سواء في الهيئات الدولية الاقتصادية كالبنك الدولي أو منظمة التعاون الجمركي الدولي، لأن قبولها بالشروط المجنحة يتضمن بالضرورة الدوران في تلك الدائن . وتجربة هذه الدول المدينة أثبتت أن نظام الربا سيوصل إلى تعطيل كامل للاقتصاد العالمي كله ، فعجز الدول المدينة عن الاستيراد يؤدي حتماً إلى بوار المنتجات الدول المصنعة التي هي في نفس الوقت هي الدول الدائنة . وكما رأينا فإن الربا المضاعف تبرز أقوى مظاهره في ربا النقد أكثر من بروزها في ربا العروض التجارية مع أن "أدم سميث" الذي يصفونه بأنه أبو الاقتصاد الحديث يقول : "إن النقد ليس مادة التجارة ولكنه أداتها وأنه ليس دولاباً من دوليب التجارة ولكنه الزيت الذي يلين مدارها " .

ويقول "بيرلينجوير" صاحب ملايين الدولارات وأمين الحزب الشيوعي الايطالي: إن النقود ليست هي الاقتصاد ولا هي جزء من الاقتصاد ولكنها الشحم الذي يسهل حركة إنزالق العمليات الاقتصادية بتسهيله دوران تلك الدوليب " ولكن المربين اليهود وخاصة وربائتهم بعامة أبوا إلا إستغلال هذا "الشحم" لاستعباد الشعوب والعب من دمائها مما عقد مشاكل الدول المدينة والفى استقلالها وحرمتها من حرية التصرف في ثرواتها لصالح شعوبها ، وهي مشاكل لا حل لها إلا الحل الاسلامي المنادي (بعالم بلا ربا) بإلغاء الربا من وجهة نظر إقتصادية بحثه هو الرد الفعال على التحكم في الشعوب بواسطة الإقراض بالربا.

ولالعاج لجميع أمراض إقتصاد العالم إلا بـاستحداث نظام إقتصادي جديد يستهدى برأي الاسلام في تنظيم التنمية الاقتصادية التي لا ترافق الربح رفضاً مطلقاً ولا يجعله الهدف الا وحد كما تفعل الرأسمالية التي لا يشبع جشعها إلا أقصى مقدار من الربح تستطيع الحصول عليه ، أي ينهج العالم سبيلاً لا شرقياً ولا غربياً ، ولكن سبيلاً اسلامياً يغاير الرأسمالية كما يغاير الشيوعية سلوكاً ووسيلة وغاية .

الشيوعية العالمية COMINTERN

تبني الشيوعية الأممية الثالثة الاحزاب الشيوعية في احياء العالم فما هي الشيوعية العالمية الثالثة؟

الشيوعية العالمية الثالثة أو الد " كومينترين (١)" كلمة روسية تعنى الشيوعية الأممية أو العالمية . وأول من اطلق هذه الكلمة هو لينين الزعيم الشيوعي الروسي المعروف ، وكان يعتقد أن الشيوعية اذا اقتصرت على روسيا فستكون كالجزيرة الصغيرة التي تحاصرها امواج محيطات الرأسمالية حتما ، وسيكون مصير الشيوعية إلى الاندثار، فتحصينا لشيوعية روسيا فكرلينين في برنامج الشيوعية الأممية كحاجز واقٍ بين روسيا والرأسمالية، حتى اذا حدث تأكل أو ثقوب فإنها ستحدث في هذا الحزام الواقي، وتبقى شيوعية روسيا سليمة قادرة على الانتشار مرة أخرى . وغلف كل خططه بانشاء الشيوعية الدولية أو الأممية التي تعمل بحزن واصرار على قيام مجموعة قوية من الاحزاب الشيوعية في مختلف الدول لتشكل جهازاً يكون في مجموعة ذا طابع دولي لينجد روسيا عند حدوث تصدع في السلام بين روسيا والرأسمالية على أن يكون مدعوماً من أكبر عدد من الدول الصديقة التي لا تقوم فيها أحزاب شيوعية ولكنها تتلقى مصالحها مع مصالح الدول الشيوعية في معاداتها للإمبريالية و الرأسمالية وعلى أن ينظم كل هذا في زمن السلم . وهو سلم يرى لينين أنه لن يدوم الى الأبد . وهكذا انشأ لينين سنة ١٩١٩م الشيوعية الأممية الثالثة التي اتخذت موسكو مقراً لرئاستها . وفي سنة ١٩٢٠م وضعت الشيوعية الأممية لنفسها برنامجاً اطلق عليه اسم " الانضباط الحديدي " ليضبط ضبطاً دقيقاً العلاقة بين الاحزاب الشيوعية واللجنة المركزية التي خطط لها لتكون جهاز

(١) دائرة معارف كونينتون الصورة الجزء الثالث ص ٦٢

سلطة قوية رادعة لكل من تحدث نفسه بالتمرد على برنامج الانضباط ، كما يتضمن البرنامج أيضاً أن كل حزب يرغب في الاشتراك في الشيوعية الأممية الثالثة ليس عليه أن يرفض فقط الوطنية الاشتراكية بل وعليه أن يرفض تزييف ومراة السلام الاجتماعي ، وقد اعتبرت هذه الفقرة هي أخطر ما يواجه المنتسب إلى الشيوعية الأممية .

وقد حل ستالين الشيوعية الأممية الثالثة سنة ١٩٤٣م وذلك في أثناء الحرب العالمية الثانية مقابل حصول روسيا على العون العسكري من الدول الرأسمالية . وفي سنة ١٩٤٧م عقب انتهاء الحرب مع اليابان احيا ستالين الشيوعية الأممية الثالثة تحت اسم "الكونفورم" وهي كلمة روسية تعني مكتب الأحزاب العمالية الشيوعية وهي بدورها حلها خروتشوف سنة ١٩٥٧م ثم عقد اجتماع في موسكو في نفس السنة حضره الشيوعيون من أربع وستين دولة اعلنوا أنهم اجتمعوا لتقدير "وحدة الأهداف" .

في ذكرى يوغسلافيا: دستور جيد



المارشال تيتو يلقي كلمة امام الاجتماع الثاني لمجلس تحرير الشعب في يوغسلافيا في ٢٩ تموز ١٩٤٢

الفرق بين المدارس الشيوعية المختلفة

المتبعة لتصريحات أنور خوجة السياسية والاجتماعية لا يجد للثير منها تفسيراً معقولاً سوى أنها ثمار لاضطرابات نفسية عميقه يعني منها عادة المحرومون من

السکينة التي يضفيها استقرار العقيدة الدينية على صاحبها فمن مسلمات علم النفس ان "الماء المتدن لا يعنيني قط مرضًا نفسيا" (١) كما أن أطباء العلاج النفسي يدركون أن الإيمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بـقهر القلق والتوتر العصبي. وبأنهما يشفيان من هذين المرضين . ومع التسليم بـان النتائج النفسية قائمة على التقدير . وكون كل فرد هو وحدة قائمة بـذاتها . وحيث انني لم اطلع على أي تحليل نفس لوحدة بشرية خاصة باسم أنور خوجة اجريت له وفق منهج علمي دقيق ، بل أن جميع الدراسات التي اجريت عليه قامت على تحليل منطوق الفاظه وعلى تحليل قراراته الفجائية المبنية عن تفاعلات نفسية .

وتوّكـد تلك الـدراسـات انـ الرـجـلـ كانـ فـاـقـداـ لـلـتواـزنـ النـفـسيـ (٢) معـ مـيـلـ وـاضـعـ للـانتـقامـ وـالـتلـذـذـ بـأـذـيـةـ الـآخـرـينـ . ايـ أـيـ يـعـانـيـ منـ أـمـراـضـ الـبـارـانـوـيـاـ وـالـانـانـيـةـ المـفـرـطـةـ وـالـسـادـيـةـ وـأـقـوىـ اـدـلـتـهـ المـؤـيـدةـ لـهـذـاـ الرـأـيـ هوـ اـقـدـامـهـ عـلـىـ مـحـارـبـةـ باـطـلـ الرـأـسـالـيـةـ بـبـاطـلـ لـايـقـلـ عـنـهـ خـزـيـاـ وـهـوـ بـاطـلـ الشـيـوعـيـةـ ، وـمـنـ غـرـيبـ التـقلـباتـ النـفـسـيـةـ الـتـيـ تـعـتـورـ عـقـلـ أـنـورـ خـوـجـةـ أـنـهـ ، معـ تـعـبـدـهـ فـيـ مـحـرابـ كـارـلـ مـارـكـسـ ثـمـ لـيـنـينـ فـاسـتـالـيـنـ مـنـ بـعـدـهـماـ . فـإـنـهـ لـمـ يـفـهـمـ الشـيـوعـيـةـ كـمـاـ يـفـهـمـهـاـ مـشـاهـيرـ الـمـؤـمـنـينـ بـهـاـ أوـ مـشـاهـيرـ اـعـدـائـهـ . إـنـمـاـ فـهـمـهـاـ وـفـقـ مـزـاجـهـ الـمـتـقـلـبـ ، بـيـنـمـاـ هـيـ عـنـدـ لـيـنـينـ وـاسـتـالـيـنـ نـظـامـ اـشـتـرـاكـيـ يـقـودـ تـدـريـجيـاـ نـحـوـ الشـيـوعـيـةـ الـخـالـيـةـ مـنـ الطـبـقـاتـ . وـانـ الـاقـتصـادـ هوـ الـمـحـركـ لـلـتـارـيخـ ، فـإـنـ خـوـجـةـ يـتـظـاهـرـ بـاعـتـنـاقـ هـذـاـ المـفـهـومـ وـيـدـافـعـ عـنـ بـشـرـاسـةـ ، إـلـاـ أـنـهـ حـولـهـ إـلـىـ قـوـالـبـ جـامـدـةـ مـيـتـةـ ، وـكـثـيرـاـ مـاـ قـارـنـ سـاخـرـاـ بـيـنـ هـذـاـ المـفـهـومـ الـذـيـ يـؤـمـنـ بـهـ كـمـاـ يـدـعـيـ ، وـبـيـنـ مـفـهـومـ غـيرـ الشـيـوعـيـينـ لـلـشـيـوعـيـةـ وـهـوـ مـفـهـومـ خـلاـصـتـهـ : "اـنـهـانـوـعـ مـنـ الـحـكـمـ وـفـقـ مـبـادـئـ مـعـيـنـةـ تـقـنـضـيـ اـنـمـاطـاـ مـنـ النـشـاطـ يـتـوـلـاهـاـ الحـزـبـ الشـيـوعـيـ ، وـأـوـلـ أـهـدـافـهـاـ نـشـرـ الشـيـوعـيـةـ فـيـ الـعـالـمـ بـأـسـرـهـ بـكـلـ السـبـلـ"ـ .

(١) كـارـنـيجـيـ . دـعـ القـلـقـ .

(٢) يـعـتـقـدـ الـعـلـمـاءـ النـفـسـيـونـ الـذـيـنـ درـسـواـ خـوـجـةـ عـنـ بـعـدـ مـنـ خـلـالـ تـصـرـفـاتـ وـأـقـوالـهـ وـقـسـمـاتـ وـجـهـهـ أـنـهـ يـعـانـيـ مـنـ (ـالـبـارـانـوـيـاـ إـيـ اـنـفـصـامـ الـشـخـصـيـةـ)ـ وـمـنـ (ـالـكـسـيـنـوفـوـيـبـاـ إـيـ كـرـاهـيـةـ الـاجـانـبـ أوـ رـهـبةـ الـاغـرـابـ)ـ (ـالـمـؤـلـفـ)ـ .

ومن الثابت ان من أسباب انقلاب خوجة على خروتشوف وعلى من تلاه من الزعماء هي ما أحدثه خروتشوف من تعديل في الدستور الروسي، وخاصة المادة القائلة : من كل بحسب قدرته . ولكل حسب حاجته بدلاً من أن يعطي (١) بقدر مايتيح، كما هو وارد في النص المعدل . فخوجة يرى أنه ليس هناك حد أدنى لما يجب أن يقتصر عليه . وإن التحديد يجب أن يقتصر على الحد الأعلى . فلئن كان الكتاب والفنانون والمخرعون وأبطال الرياضة وكبار الممثلين والفنين وكبار الراقصين والراقصات يحصلون على أعلى الأجور في روسيا الشيوعية فالروس لايجدون تعارضاً بين المبادئ الشيوعية وتفاوت الدخول ، ومايترب على هذا التفاوت من تفاوت بين بين مستويات المعيشة في شرائح الشعب الروسي ، فلعلف الخنازير في " الكلخوز" (المزرعة الجماعية) مسكن يتناسب مع دخله قد يصل عدد غرفه إلى ثلات ، ولرئيس فرع الحزب مسكنه الذي قد يكون قسراً لأقطاعي سابق ، أو يكون مسكننا حديثاً به قاعة للمائدة ، ومكتبة ، وقاعة للرياضة الأسرية ، وقد يكون به مسبح خاص ، ومن أخص لوازمه حدائق ، لن نتكلم عن مساكن قمة الهرم السلطوي في الحزب الشيوعي ولاعن سياراتها المكيفة المدرعة زجاجاً ومعدناً ضد اختراق الرصاص لأقل أعضاء قمة الهرم نفوذاً مسكن في العاصمة ومسكن في الريف بالإضافة إلى مسكنه في موطنه الأصلي ، وكلها مزودة بأحدث وسائل الاتصال السلكي واللاسلكي ، ومؤثثة على مستوى من الرفاه يعز نظيره في كثير من الدول الرأسمالية ، ولا تنشر وسائل الاعلام شيئاً عن عدد الروبلات التي يتقادونها شهرياً ، ولكنها كثيرة قطعاً ، ولهم معاش تقاعدي محترم ، كما ان لورشتهم حقوقاً

(١) تأكيداً لسلطة الحزب على الفرد أصرَّ خروتشوف على نص يقول : يعطي "بدلاً من لفظ يأخذ" العامل بقدر حاجته ، ويؤخذ منه بقدر استطاعته . لكن مجلس السوفييت الأعلى أقر صيغة "يأخذ العامل". (المؤلف).

مالية وميزات مادية كالاستمرار في شغل بعض من المساكن التي سبق تخصيصها لاستعمال مورثهم ، ومن المعروف ان الميزات الكبيرة هي من نصيب ورثة كبار رجال الحزب الذين شغلوا مراكز ذات خطر كأعضاء مجلس رئاسة الاتحاد السوفييتي ، والوزراء وأمراء الولية الجيش ومن يعلونهم من أصحاب الرتب في مختلف قطاعات العسكرية من بحرية وطيران ومن في حكمهم ولأبناء فروع الحزب في الجمهوريات الخمس عشرة ، ولkiemar رجال القضاء ورؤساء النيابة .

و Rooney عند تقدير المعاش التقاعدي أن يكون موافقاً بحاجة الورثة كافياً لتوفير مستوى من المعيشة مساوٍ للمستوى الذي كانوا يحيونه قبل وفاة مورثهم ، ومن المسلم به ان المعاش التقاعدي في الدول التي تأخذ بالنظام الشيوعي هو دون ما يدفع لنظائرهم في الدول الرأسمالية وذلك لأسباب نفسية ، ولكن الدول الشيوعية اخضعت أسعار المواد الأساسية للتسعير الجبري المنفذ بصرامة في روسيا مع تقنين الكميات التي يسمح للفرد بشرائها ، وهو نظام تأخذ به جميع الدول الشيوعية مع تفاوت في التطبيق فهو يكاد يكون صورياً في كل مقاطعات يوغسلافيا عدا كوسوفو ، ولكنه صارم في تشيكوسلوفاكيا ، وبالغ الصراحة في ألبانيا وإن كانت جميع الشعوب الشيوعية تمارس التجارة في السوق السوداء ، ويجد السائح الأجنبي في جميع البلاد الشيوعية سوقاً حكومية تبيع له كل ما هو في حاجة إليه على أن يدفع قيمته بأي عملة قابلة للتحويل إلى المارك الألماني الغربي أو إلى الدولار الأمريكي والكندي . وهدف هذه السياسية هو تقليل عدد الوحدات النقدية في حوزة المواطن لحفظه على الأحجام عن شراء ما لا تدعوه الضرورة لشرائه ، ويرىون ان شهوة الشراء تزداد عند المواطن إذا كان عدد وحدات النقد التي في حوزته كبيراً بقطع النظر عن القوة الشرائية لتلك الوحدات .

وادنى مستوى للمعاش التقاعدي في الدول الشيوعية هو الذي يدفع للعامل العادي في البانيا ، إذ يبلغ ٤٢٠ ليكاً في الشهر وهي قيمة تعادل ٨٥ دولاراً في أفضل أحوالها وذلك لأن أنور خوجة خلق كنوداً ، يسعى بكل قواه أن يوحد مقدار الدخل بين أفراد الشعب الألباني مهما كان عطاء الفرد ، ومهما كانت أعباؤه، وهو صارم في تطبيق نظامه التقشفى حتى ان وزراءه يعيشون في مسغبة قياساً على الوزراء الروس، وإن كانوا في رفاه نسبي بالنسبة الى الفرد الالباني ، وقمة رفاه الوزير الالباني هي إستعماله لسيارة حكومية يقودها حارسه الشخصي في أوقات العمل الرسمية ويقودها بنفسه في غير تلك الأوقات ، غير أن سيارة الوزير وهي واحدة من ثلاثة سيارة ، هي السيارات المعدة لاستعمال القصر الجمهوري واعضاء مجلس الوزراء والتي ترى من حين لآخر تتمايل في شوارع تيرانا ، اذ أن جميعها من طرز قديمة جداً يعود صنع احدها الى سنة ١٩٥٩ وهي سيارة مرسيديس ١٨٠ ، واقدمها سيارات كانت مستخدمة من قبل ضباط جيش الاحتلال الالماني ورثها خوجة عقب الحرب العالمية الثانية التي خرج منها متتصراً . وبإستثناء سيارتين احدهما لاستعمال الرئيس خوجه في المناسبات الهامة جداً والأخرى مخصصة لاستعمال رؤساء الدول الذين تستضيفهم البانيا ، فلم يشتري نظام أنور خوجه سيارة واحدة تخصص لأي مسؤول مهما كان مركزه ، وعلى كبار الموظفين ومن دونهم من الأعوان استعمال الحافلات الشعبية العامة التي تنقلهم من بيوتهم الى مقار أعمالهم والعودة بهم الى بيوتهم أما الشعب فعليه أن يستعمل وسائل النقل العام مع أنها كلها قديمة متهاكلة ، ولايسمح للسواح القليلين بإصطحاب سياراتهم الخاصة معهم بل عليهم ان يتنقلوا في حافلات البانيا تستقبلهم عند مداخل البانيا الرسمية وهي :

- ١ - مطار تيرانا : وهو مطار صغير خالٍ من أجهزة الرادار مما يجعل القيام منه والهبوط فيه ليلاً أمراً شديداً الخطورة ولا يخضع لنظم الاتحاد الدولي للطيران (إياتا) لأن البانيا هي الدولة الأوربية الوحيدة التي ليست لها خطوط طيرانمدنية .
- ٢ - ميناء دورازو وهو أكبر موانئها البحرية .
- ٣ - ميناء فالونا أقل أهمية من سابقه .
- ولها أربع بوابات إثنتان في حدودها مع يوغسلافيا وهما :

- أ - صاف هو تليت في حدودهما الشمالية .
- ب - غافاتانيس في الجنوب الشرقي في الحدود مع يوغسلافيا وبوابتان على الحدود مع اليونان وهما :
- أ - بوابة مقدونيا الشمالية .
- ب - بوابة اليونان الجنوبية .

وليس لهذا النوع من التقشف المضر بالعباد والاقتصاد سوى مظهر حسن واحد هو الانخفاض الملحوظ في حوادث المرور ، أما مساوئه فلاحصرتها: واطرها هو ما ينعكس على الجانب النفسي ، فشعور الشعب اللبناني بالحرمان الذي فرض على أفراده من وسيلة نقل يتمتع بميزاتها أفق شعوب العالم ، خلق في نفسه حسرة زاد في مرارتها عجزه عن الشكوى منها. إن الشكوى من أي شيء تعتبر نقداً لسياسة النظام ، والنقد في البانيا مهما قل شأنه عقوبته الاعدام ، ولم يستطع أنور خوجة أن يفهم قط أن للسيارة الخاصة عائداً مادياً على صاحبها يوفره له امتلاكه لمركوب يحرره من سيطرة غيره من مالكي وسائل النقل سواء أكانوا أفراداً

أم جماعات أو مؤسسات ، ولأنريد أن نتحدث عن العائد النفسي والمعنوي ،
اذ يبدوا ان مخططات أنور خوجه تخلو من فقرة تشير الى رفاه الفرد
الالباني . أما خسارة المجتمع من جراء هذا التقشف المعيب فيكفي في
ال الحديث عنها ان نذكر بالحكمة الخالدة القائلة " إن الحضارة تزحف على
عجل " كما أنه من أهم مقاييس مدى تقدم الشعوب حضاريا اطوال الطرق
المرصوفة عندها وكفاءة موانئها الجوية والبحرية وانضباط توقيت وسائل
النقل الميسرة لخدمة المواطن ، ويظهر ان كل هذه الأمور لم تكن في
حسابات أنور خوجة .

الفرق بين الثبات على المبدأ وتجميد المبدأ

لكي يعيش أي مبدأ سياسي لابد أن يكون هذا المبدأ كائناً حياً نامياً
مننا متطروراً لكي يواكب العصر ويستجيب لمطالب الانسان ، غير أنه - فيما
يظهر - نجد أنور خوجة لايفرق كثيراً أو قليلاً بين الثبات على المبدأ وجمود
المبدأ نفسه ، فالماركسية كما فهمها ماركس ودوتها ربما كانت صالحة في
عصره لاستجابتها لمطالب الناس في ذلك العصر ولو نظرياً ، وعندما مات
كارل ماركس سنة ١٨٨٣ م لم يكن يثق في صحة المبادئ التي وضعها نفس
ثقته فيها (١) عندما دون تلك المبادئ بسبب تغير المعطيات السياسية
والاقتصادية والاجتماعية خلال السنوات الخمس والثلاثين الأخيرة من عمره
. ولعل الكلمة المنسوبة الى والدة كارل ماركس تصور هذه الحقيقة تصويراً
دقيقاً ، فقد نسب اليها - وهي الأم الفخورة بابنها قولها - " ليت ابني جمع
رأس مال بدل أن يكتب كتاباً عن رأس المال " وهي عبارة تصور شدة خيبة

(١) مشاهير القرن التاسع عشر . بيروت .

أملها في نتائج أفكار ابنها . ونجد أن لينين (١) وقد اصطدم بالواقع عند تنفيذه لافكار كارل ماركس لم ير بأساً من التحول قليلاً أو كثيراً عن هذه الأفكار مع الاحتفاظ بالتسمية ، وبالاشارة بكارل ماركس وبأفكاره وإطلاق اسمه على المبادئ الموصولة للشيوعية . ومن المؤكد ان هذا التحول كان من أسباب بوادر الخلاف العقدي الفكري بين لينين وبين تروتسكي وزينوفيفييف اليهوديين ولم يكدر يوم لينين ويتولى ستالين حتى اصطدم هو نفسه بصعوبة التوفيق بين مبادئ ماركس وأساليب لينين فقفز فوقهما كلّيهما واحدث أساليب وافكاراً كثيرة ما اصطدمت ببعض ماوضعه ماركس وشرحه لينين . غير أنه أحدث جلة وأجلـى صارماً وقال : فقال الناس بقوله وقبل على أن هذا هو فقه شيوعية ماركس كما شرحه ستالين، وكان فيشننسكي من أشهر وسائله للأقناع ، وفيشننسكي هذا هو النائب العام للاتحاد السوفييتي في قضايا التطهير سنة ١٩٣٦ - ١٩٣٨م، وهو الذي ارسل الى غرف الاعدام مئات الآلاف من العقول الروسية التي ناقشت فهم ستالين لفقه الشيوعية .

وجاء بعد ستالين مالنکوف فلم يطل به الزمن ليناقش أي شيء ، ثم جاء بولجانين . ولم يكن له رأى واضح . فلما جاء خروتشوف عرى ستالين وناقشه ونقض فكره وازرى به وازاله عن عرشه .

اما أنور خوجه ! أنور خوجه الذي "حفظ" جميع مقالاته لينين وستالين في تمجيد مبادئ ماركس في شكل قوالب جامدة وطبقها في صراامة تطبيقاً حرفيًا خالياً من أية مرؤنة تكسبها الحياة وتتواءم بينها وبين مطالب الناس ،

(١) الثورة بين النظرية والتطبيق رسالة اعداد مؤسس الحزب الشيوعي الإيطالي غرامشي ترجمة مكتب الدراسات الفلسطينية بيروت (المؤلف) .

فقد كبر عليه ان يحاول خروتشوف اطفاء بريق "المعبد" ستالين فقطع صلته بموسكو رغم انها كانت مصدر الحياة له في جميع قطاعات قوله من سلاح وتمويل وآلات زراعية ونفط وأموال سائلة ، وفوق كل ذلك حماية تخيف العدو وتلجم الطامع .

لقد ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب ان أنور خوجه لم يكن مسلماً ولا كان شيوعيا ولا ماركسي ولا لينينيا ولا ستالينيا ولا رأسماليا ولم يكن سوى "أنورى خوجوى" أي أنه تمثال جرانيتى للأنانية المركزة على النرجسية وسنرى . عند الحديث عن قطبيعته مع الصين الشعبية لنفس السبب الذي جعله يقطع علاقته مع روسيا ، ان الرجل على خلاف ما يتراهى للناس ، كان أسيراً لكلامه المعلن ولم يكن متوفهاً لمبادئه ، فهو عند أوائل الثلاثينيات يقول بالماركسية ، ويدعى أنه من معتقداتها الامباء ، ومع الزمن صار يؤمن بأن الناس يتذكرون كل كلمة قالها ، وانه في خواجه عن أي شيء سبق أن قاله كشف لحقيقة عبادته لذاته ، وايغلاً منه في النفاق، يدعى دائماً ان التخلّي عن أي من مبادئ ماركس أو لينين هو خيانة لماركس ولمن سار على هديه ، غير أنه بحجة المحافظة على مبادئ ماركس - التي وضعها لإسعاد البشرية قارف من الفظائع ما جلب على عشرات الآلاف من الأسر الالبانية الشقاء النفسي والمادي ، لكن طبيعته المتعنتة أبى عليه أن يعترف بما سببه لشعبه من شقاء وتعاسة ولم يقتد بنيكولاي فلاديميرلينين عندما شعر بما سببته سياسته من شقاء للشعب الروسي فقال :

لقد اقترفت خطأ كبيراً . لقد كان أكبر هدف لنا هو أن نعطي الحرية للكثير من الشعوب المضطهدة لكن أسلوب عملنا خلق اشنع الشرور نتج عنها مذابح رهيبة . انكم تعلمون إن قلقي الميت كان سبب شعوري بإني قد ضعت في بحر من دماء ضحايا لا يحصى عددها لقد سبق السيف العذل ،

ولم يعد في الامكان التراجع عن تكملة المشوار(١) .

فهل أحس أنور خوجه بنفس ما أحس به لينين عندما ارتكب أثناء ثورة ١٩١٧ م من مذابح وشروع(١) ؟ لقد أفنى أنور خوجه خلقاً كثيراً وأغتال وقتل بيده عدداً من أعوانه . ولا يعلم أحد بما اعتمل في نفسه أثناء حدوث تلك المجازر . أما هو نفسه فلم يلحظ عليه أحد أي شعور بالندم على ما جنت يداه . ولنلتفت إلى صلاتة بالصين الشعبية ، فالصين إنتصرت فيها الشيوعية نتيجة لجور الجنرالات الصينيين الذين ثار كل منهم في إقليمه وأنشأ فيه حكومة سعت إلى إحتلال ما جاورها من أقاليم وكل واحد من الجنرالات يرى نفسه هو أفضل وريث للحكم الامبراطوري البائد . وجور الجنرالات شمال الصينيين جميعهم منذ ما قبل عام ١٩١١ م تاريخ نهاية حكم الاسر الامبراطورية الحاكمة في الصين منذ آلاف السنين ، وكانت نهايتها على يد ثورة قادها صن يات صن وكان الناس يحسون بالجور سواء في جمع الضرائب أو عوائد الاملاك أو توزيع الأراضي، وتذمر الناس من جراء هذا الجور هو الذي شجع اليابان على شن حرب سنة ١٩٣٧ م واحتلال أجزاء من أراضي الصين . الجنيراليسمو شان كاي شيك أبرز هؤلاء الجنرالات ، تعلقت به آمال الناس فترة طويلة . وكانت خيبةأملهم فيه من أهم العوامل في انتصار الشيوعية ولا يفوق تلك الخيبة إلا صلابة ماوتسى تونغ وهي صلابة جعلته مناط آمال الناس كقائد فذ قادر على توجيه الصين ، بعد أن مزقتها حروب الجنرالات فيما بينهم . وعاشت الشيوعية اصطداماً ماعاشه ماوتسى تونغ فلما زال وهلك كبار انصاره أيضاً من أمثال "تشووين لاي" اكتشفت الصين أن الشيوعية ليست هي النظام الملائم ل حاجات

Tomorrow You Die P.40 (١)

الشعب الصيني وأقدمت على التأويل في مبادئ ماركس ولينين وستالين وهو تصرف يستفز أنور خوجه كما استفزه تصرف خروتشوف من قبل ، فأعلن قطبيعته للصين بنفس الروح تحت نفس الظروف النفسية التي أحاطت به عندما قطع علاقته مع روسيا .

هزيمة الماركسية في الصين الشعبية

ان هزيمة الماركسية في الصين تمثل هزيمتها في قارة بكمالها وهي هزيمة فكرية في كتلة هائلة من البشر هي ربع البشرية جماء أو أكثر عندما أعلن الحزب الصيني الشيوعي في افتتاحية جريدة الشعب الصينية (١) لسان حال الحزب " ، ان افكار كارل ماركس وانجلز ولينين لاتناسب العصر الذي نعيشـه ، لأن ماركس دون هذه الأفكار ثم مات قبل مايزيد عن قرن من الزمان وليس احد من سار في جنازته مازال يعيش " والتبدلات الهائلة التي طرأت على العالم خلال المائة سنة الماضية سواء العلمية أو التقنية أو النفسية لم تكن موجودة أيام ماركس ، وبالتالي فان تلك التبدلات لم تكن عاملاً محسوباً عند وضعه لمبادئ الماركسية ، وإنما كانت الماركسية قد جذبت بعض الفئات وبخاصة المقهورة منها على أمل أن تجد فيها حل لمشاكلها في ذلك الوقت ، فإن مشاكل الحياة المعاصرة ليست هي نفس المشاكل السائدة أيام ماركس . وبالتالي فافكار ماركس قد تناسب عصره وعصر الجيل الذي يليه ولكنها لاتلائم بكل تأكيد عصر الجيل الرابع التالي لجيل ماركس فضلاً عن ان تلائم مابعده من أجيال ."

Keesing volume XXIX P.39 (١)

ان تخلی الصين عن الماركسية هو في حقيقته نبذ لها مهما غلف ذلك التبذ
بأردية حمراء ، كما ان التخلی عن لب الماركسية لا يغير من جوهره محاولة
الستر ببعض الاقنعة الماركسية التي نعلم ويعلم أصحابها ان مصيرها الى
نزال ان عاجلا أو آجلا ، لقد وصف شيبيلوف (١) الرئيس السابق لهيئة
تحرير البرافدا ماحدث في الصين بأنه نكسة تاريخية لعلها أكبر ما أصاب
الشيوعيين من نكبات في كل عصورها ، وتنبأ بأن الشيوعيين في مختلف
بقاع العالم سيتأثرون حتما بما حدث في الصين .

حقيقة ان تخلی أكثر من ربع سكان المعمورة عن الشيوعية هو حدث
لاممکن تجاهله الحتمية ، وهو ضربة من ضربات القدر شديدة الشبه
بالزلزال وثورات البراكين التي تنقض على الجذور قبل الاغصان وتجتث
الاصول قبول ذبول الأوراق ، وإذا كان زعماء الصين حاولوا تخفيف وقع
تصرفهم على غلة الشيوعية كأنور خوجه الا ان حجتهم واعتذاراتهم قد
اصطدمت بآذان فيها وقر انغلقت انغلاقا أبداً على تعاليم ماركس كما هي ،
وان لم تؤمن بها ، وليس على استعداد نفسى لقبول ادخال اي تعديل عليها
حتى ولو صدر هذا التعديل عن كارل ماركس نفسه ، ولعل مما سهل على
الصين هذا التحول السريع عن مبادئ الشيوعية هو قلة عدد الأعضاء
الشيوعيين المنتسبين الى الحزب الشيوعي ، وإلقاء نظرة على الاعداد
الحقيقية للأعضاء المنتسبين للاحزاب الشيوعية في كل بلد بالنسبة لعدد
أفراد ذلك البلد ستظهر لنا أن هناك حزباً شيوعياً حاكماً في كل بلد عدد
أفراده بضعة أحاداد في المائة من مجموع السكان يحكمون الشعب كله
بقوانين صارمة كما يظهر من الأمثلة التالية :

(١) نشرة الحزب الشيوعي الإيطالي الصادرة في ٣ مارس ١٩٨٢ م .

عدد أعضاء الحزب ٣٣٠٠٠٠٠ الصين الشعبية عدد السكان ١٠٠٠٠٠٠ .

عدد أعضاء الحزب ٢٠٠٠٠ الاتحاد السوفيتي عدد السكان ٢٦٠,٠٠٠,٠٠٠ .

عدد أعضاء الحزب ٣٦٠٠٠٠ مجموع أمريكا اللاتينية عدد السكان ٢٥٦٠٠٠ .

عدد أعضاء الحزب ٦٢٢٠٠ البانيا عدد السكان ٢٧٥٢٣٠٠ .

وبما أنه لامشاحة في أن الحزبية شر ابتليت به الشعوب . فإن أية فلسفات لاتخفف من ذلك الشر شيئاً حتى ولو كانت الأحزاب تجتنب أكثرية الشعب ما ويظهر ان أنور خوجه كان أول من اقتنع بهذا الرأي فأخذ من الحق وسيلة للإقناع بجدوى الشيوعية خلافاً للكثير من نظرائه الذين مازالوا يعولون على الاقناع بالحجج كما يعولون على استغلال جور الرأسمالية وسفح عقول بعض المنادين بها . كما يستغلون الهزات (١) الاقتصادية وما يتولد عنها من مشاكل سواء أسميناها تضخماً مالياً أوركودا اقتصادياً بما يتبعه من بطالة ، وليس سراً أن الهزات الاقتصادية هي السبب في حدوث الفساد وشيوخ الرشاوى والمضاربة والاحتكارات للسيطرة على مصادر رزق الأفراد والجماعات ، ولا تستطيع أن نغفل الرأى القائل أن العكس هو الصحيح ففساد الأخلاق المتمثل في الفساد والرشاوى والمضاربات والاحتكارات هو السبب في الهزات الاقتصادية . ولقد أوضح أنور خوجه في احدى خطبه (١) ان الاخفاق في تطبيق مبادئ الشيوعية

(١) خطبه في اللجنة المركزية للحزب الذي أعلن فيها قطع العلاقات مع حكام بكين (المؤلف) .

لإعد اخفاقا للشيوعية، فالعيوب في أساليب التنفيذ وفي القائمين على التنفيذ، لافي مبادئ الماركسية . وقال أن الحكم الصينيين الذين ارتدوا عن الشيوعية اخفقوا في تحقيق اهدافهم وعجزوا عن تحمل أعباء الحكم في بلادهم، حتى قبل أن تنضج الثورة الشيوعية فيها . إن اخفاقهم ليس هو اخفاق الحكم الذي تتبأ به لينين العظيم كرمز لنجاح الثورة الشيوعية عندما قال " ان الثورة تنضج عندما يجد الحاكم نفسه لم يعد قادرا على توجيه الشعب وفق رؤيته هو مصالح البلد ، أي عندما يضعف سلطان الحاكم على الجماعات فيتخذون قراراتهم دون تردد ودون تدخل من أحد وهذا هو الشاهد الحقيقي على نجاح ثورة ما" .

نشأة الحزب الشيوعي اللبناني

منذ أن اعتلى الملك أحمد زوغو عرش البانيا ^{سنة ١٩٢٨} أحسن الشيوعيون ان فرص نشر مبادئهم قد ضاقت كثيرا ولم تطلّ ^{سنة ١٩٣٠} على البانيا حتى اخذ الشيوعيون اللبنانيون ينسرون خارج البانيا بحثا عن مجال أوسع للعمل الحربي الشيوعي، ولما كان معظم الشيوعيين اللبنانيين هم من المثقفين إذ ان الانتماء الى الحركة الشيوعية كان يتطلب مستوى معينا من الثقافة وعمق الادراك، فان زوغو كان أمام خيار صعب ذلك ان من المثقفين من الخروج من البلاد قد يسبب له مشاكل هو في غنى عنها، وقد لا يملك الوسائل الكافية لمعالجتها ، وان تركهم يغادرون البانيا فقد يغرون

(١) خطبه في اللجنة المركزية للحزب الذي أعلن فيها قطع العلاقات مع حكام بكين (المؤلف) .

غيرهم من المثقفين على ترك البلاد فتضاعف خسارة البلاد في الخريجين بينما البلاد في أشد الحاجة اليهم لبناء نفسها على أيدي ابنائها . ومن بين من تسللوا الى الخارج المدرس أنور خوجة .

وهكذا ، استغل أولئك المثقفون الفترة السابقة لإعلان الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ م في التلاحم والتنظيم استعداداً لميلاد الحزب الذي طال المخاض به فلم يتم تأسيسه الا في ٨ نوفمبر (١) سنة ١٩٤١ م ولم يتمكن من عقد أول مؤتمر له الا بعد سبع سنوات من إنشائه أي في سنة ١٩٤٨ وهي فترة كانت لازمة لأنور خوجه لكي يعد هو الحزب اعداداً مناسباً حتى لا يكون بين رجال الحزب عملاق غيره وليتضخم حجمه في نظر المنتسبين للحزب وبالتالي في نظر أفراد عامة الشعب فتعمد ان لا يختار من رجال الحزب كأعضاء في اللجنة المركزية الا الأقزام لكي يتمسكوا بالمناصب مهما كان عليهم من ثمن يدفعونه، وهو ثمن يستطيعون دفعه بكل تأكيد، فهو لايزيد عن تأليه أنور خوجه الذي وصل الى امتلاك ناصية الحزب عندما عين أميناً مؤقتاً للجنة المركزية لحين قيام الحزب بعقد مؤتمره الذي سيكون من أهم واجباته اختيار الأمين الأول للجنة المركزية للحزب ، غير أن خوجة احتفظ بمظهر حق الحزب في اختيار أمين اللجنة المركزية ولكنه عمل بكل قواه وبكل الاساليب مهما كان نوعها على أن يكون أنور خوجة هو دائماً المرشح الوحيد الناجح عقب كل انتخاب طيلة الالتحتين والأربعين سنة التي عاشها مهيمنا على مقاليد الحزب، بعد أن اختفى الرجال المؤسسين للحزب لأسباب طبيعية تساعدها أسباب محاطة بعشرات علامات الاستفهام، وعندما عقد أول مؤتمر للحزب لم يكن باقياً من الأعضاء المؤسسين أو الأعضاء القدماء من يستطيع أن ينافس أنور خوجة، وبذلك ضمن خوجة

الخلود الدنيوي كأمين أول للجنة المركزية وهكذا كان . فلما عقد أول (١) مؤتمر له صدر خلاله قراران كان لهما أعمق الاثر في حياة البانيا . الأول اعتبار الحزب الشيوعي هو الحزب الشرعي الوحيد . الثاني أن الحزب هو محتكر السلطة كلها في البانيا ، ولابعاد الشعب عن السلطة القادرة على اتخاذ القرار المكيف لحياته تقرر أن لا يتولى أحد أي وظيفة إلا إذا كان عضوا في الحزب أو الهيئات الشعبية المختلفة وعلى رأسها الجمعية الوطنية التشريعية .

ومارس الحزب منذ ذلك الوقت احتكار السلطة بالفعل احتكاراً شاملأً يتولى اعضاء الحزب جميع الوظائف في كلا السلكين المدني والعسكري دون استثناء . ونظم هيمنته على جميع الأمور بحيث لا يدخل الجمعية الوطنية التشريعية (البرلمان) إلا المؤتوق في ولائهم لشخص أنور خوجة ، فالمرشحون لعضوية هذه الجمعية لابد أن يكونوا أعضاء في الجبهة الوطنية الديمقراطية وهي مؤسسة شعبية يشرف عليها الحزب اشرافاً دقيقاً تضم جميع الالبيانين الذين لهم حق التصويت .

(١) عقد الحزب أول مؤتمر له في أول نوفمبر ١٩٤٨ بعد أن تم اعدام بعض مؤسسيه وسجن آخرين منهم ومات بعضهم موتاً طبيعياً أو قتلوا على أيدي الإيطاليين والمان وتم تغيير اسمه من الحزب الشيوعي الألباني " إلى حزب العمل الألباني " وواصل تصفية جميع العناصر التيتوية من صفوفه (المؤلف) .

الفصل الخامس

"الكومينتيرن" قهد لأنشاء حزب شيوعي ألباني موال لها

عقب مهاجمة الألمان للاتحاد السوفيتي سنة ١٩٤١م تلقى الزعيم الشيوعي جوزيب بروز تيتو زعيم إحدى فرق المقاومة اليوغسلافية العاملة قرب الحدود الالbanية تعليمات من "الكومينتيرن" (الشيوعية الأممية) بالعمل على تأسيس نشاط حزبي شيوعي، والشرع فوراً في التحكم في نشاط المقاومة للاحتلال من قبل دول المحور في جميع دول البلقان وكانت خطة الكومينتيرن قائمة على استغلال العاطفة الوطنية كأساس للإندفاعة الجامحة لمحاربة الغزاة المحتلين ، على أن يعمل مندوبو الكومينتيرن بذكاء على تحويل حركة التحرر عن مسارها الطبيعي إلى مسارات خفية تخدم أهداف الشيوعية خلال الحرب وبعدها ، وذلك بتقديم التأييد المادي والأدبي لزعماء حركة المقاومة الذين يبدون أقل نفوراً من الشيوعية ، والعمل في الوقت نفسه على تدمير من يظهرون حماساً زائداً في معادتهم لها ولو بتصفيتهم جسدياً، وهي تصفية تسهل الحرب الدائرة سبل تنفيذها ، وقد شمل المخطط هيئات المقاومة في كل من : اليونان والبانيا وبلغاريا وركزت سلطة مراقبتها وتوجيهها في شخص تيتو أبرز زعيم شيوعي للمقاومة في يوغسلافيا، وكف هو بتنفيذ نفس المخطط في يوغسلافيا ذاتها . بحيث يكون عمله نموذجاً تقتدي به الحركات الشيوعية المشاركة في المقاومة في بلاد البلقان وما يحيط بها من البلاد الأخرى .

وشددت على أن يولى البانيا اهتماماً خاصاً لقربها الشديد من مقر

قيادته المتمركرة أتئذ في هضاب جمهورية الجبل الأسود . وإن على تيتو أن يستفيد من مواطني مقاطعة كوسفو ذوي الأصل اللبناني لأنهم أعرف بـاللبناني ومشاكلها ومخابئها والطرق الموصولة إلى تلك المخابئ، كما أن لغتهم اللبنانية تسرع بإكسابهم ثقة أخوتهم اللبنانيين .

وتنفيذاً لأمر الكومينتين قام تيتو بإرسال مندوبي عن الحزب الشيوعي اليوغسلافي للمساعدة على تأسيس الحزب الشيوعي اللبناني الجديد، وتمكن المندوبان بما لهما من خبرة في الشيوعية الأممية من توحيد الحركات الشيوعية الثلاث في حزب واحد تحت قيادة مركبة واحدة ، ولما كان أنور خوجة هو أبرز الشيوعيين المناضلين ضد الألمان فقد أصر مندوبي الحزب الشيوعي اليوغسلافي اللذان يعلمان وفق تعليمات الكومينتين على تعيين أنور خوجه أميناً مؤقتاً للحزب الوليد إلى أن يتمكن الحزب من عقد مؤتمره وانتخاب أمين لجنته المركزية، ولكن خوجه مكث أميناً للحزب ٤٢ سنة مسجلأً رقماً قياسياً في البقاء على رأس السلطة بين نظائره من زعماء الأحزاب الشيوعية الأخرى . وستتحدث عن أساليبه المتوية التي مكنته من النجاح في التخلص من جميع الذين نافسوه على منصبه، وما كان له أن يحقق ذلك النجاح لو لا المساعدة الفعالة التي قدمتها له الشيوعية العالمية، وهي مساعدة استثمرها خوجة حتى إستتب له الأمر، وخضعت له الرقاب . فلما إطمأن إلى السيطرة المطلقة على البلاد والعباد لم يتتردد في التنكر للذين نصبوا ورعبوه حتى صلب عوده .

هذا هو الحزب الذي حكم أنور خوجه اللبناني باسمه أطول مدة حكمها حاكم شيوعي في التاريخ .

المقاومة المسلحة الالبانية للاحتلال الايطالي الالماني

كانت المقاومة الالبانية ضد دولتي المحور مكونة من الحركات الثلاث البارزة وهي :

حزب الجبهة الوطنية (بالي كوبيتار) بزعامة الدبلوماسي القديم مدحت فراشيري تعاونه شخصيات معروفة أخرى ، وهو حزب اشتراكي موالي للغرب ، ومعاد للشيوعية وللملكية .

وحزب ليقاليتي و هو حزب ذو ميول ملكية يرأسه عباس كبي ، والجبهة الديمقراطية الوطنية التي تضم الفرق الشيوعية الثلاث البارزة ويرأسها أنور خوجة ، ورغم الاختلاف العقدي بين هذه الكتل الثلاثة فقد عملت متعاونة في العامين الأولين على التصدي للاحتلال الايطالي الالماني مع سعي كل منها خفية للاستئثار بالحكم . وكانت غالبية الشعب مؤيدة للمقاومة تغذيها بالمجاهدين . حتى بلغ عددهم في نهاية عام ١٩٤٤ م ، مائة الف (١) مقاتل ، هلك منهم أثناء الصراع ٢٨٠٠٠ مقاتل ، وهو ما يوازي ٢٪،٨ من مجموع الشعب . واعتقل من افراده ٨٠ ٠٠٠ ألفا . وكان الدمار بسبب الحرب يکاد يکون شاملاً لمدن وقرى وطرق وجسور وموانئ الالبانيا ، وكذلك دمرت المناجم والغابات والسدود والمزارع وتساقطت البيوت على ساكنيها وانهارت الزرائب والحظائر على حيواناتها ، وقد قدرت الخسائر الحربية سنة ١٩٤٦ م بـ ٦٣ مليون دولار

ولما كان لهذه الفصائل مجتمعه دور كبير في تحديد مصير الالبانيا عسكرياً وسياسياً واثر ذلك على سياسة دول البلقان خاصة ، والسياسة

الدولية بعامة ، فمن المفيد ان ن تتبع حركة هذه الفصائل بايجاز ، فقد كانت في أول أمرها كثيرة العدد يسيطر عليها الحماس دون التنظيم ، وتقودها العاطفة الاقليمية والقبلية والدينية والمذهبية السياسية قبل العقل ، لهذا بربت من بينها الفصائل الشيوعية التي وجد بينها مندوبي الحزب الشيوعي اليوغسلافي واختارا لها أنور خوجه زعيما وفرضاه على قيادتها ، فلم تثبت أن سيطرت على توجيه المقاومة كلها - وفق خطط وتعليمات الشيوعية الأممية الثالثة - ووجهتها التي تخدم مستقبل الشيوعية في البانيا . فلما اطمانت الى تحكمها في مجريات الأمور ضغط عليها تیتو لتنسحب من الاتفاق الموقع بينها وبين بقية فصائل المقاومة غير الشيوعية ، تمهدًا لاطلاق يدها في شؤون البانيا لتعدها للحكم الشيوعي القادم وهذا ما حدث بالفعل فكيف حدث ؟ .

عقب الزحف الايطالي على البانيا في عشية السابع من أبريل ١٩٣٩ م الذي فاجأ الشعب الالباني المستنير الى دعوى الصداقة الايطالية التي تكررها على مسامعه وسائل الاعلام المختلفة فأصيب بحالة من الذهول . ومما زاد في ذهوله فرار الملك زوغون ناجيا بنفسه واسرته ، تاركا الشعب فريسة للغزو الايطالي دون ان يطلق رصاصة واحدة أو يأمر باطلاقها (١) . ومع أنه لامجال للمقارنة بين القوة الغازية لدولة تعدادها أربعون مليون نسمة ، مصنعة غنية ، تهابها الدول العظمى وتخطب ودها وبين القوة الالبانية المدافعة ذات الجيش الصغير عدداً الضعيف تسليحاً ، السوء التدريب الهابط

(١) يقول نائب ملك ايطاليا في البانيا فرانتشيسكو ج دي سان سافينو في كتابه La Politica dell'Italia In Albania P 7 : مخزن السلاح وابواب السجون ، ولكنه نفى حدوث أية مقاومة حادة للغزو الايطالي . (المؤلف) .

المعنيات ، وكيف لا يكون كذلك ومستشاروه هم غزاته ومدربوه هم أكلته ومسلحوه هم اعداؤه . شعب في مثل هذا الوضع لاجرم ان يحار في امره ، فحار واستمرت حيرته الى ١٠ يونيو ١٩٤٠ ففي ذلك اليوم اعلن بينيتو موسوليني رئيس وزراء ايطاليا الحرب على الحلفاء الى جانب حليفه المانيا ، وزحفت جيوش ايطاليا من البانيا على اليونان ، ولكنها لم تك تجاوز الحدود حتى ردتها الجيش اليوناني على اعقابها ، ثم طاردها داخل الأراضي الإلbanية ، وتمكن الجيش اليوناني من احتلال ربع البانيا وباندحار جيش موسوليني انتعشت آمال الإلbanيين وتخلصوا من حيرتهم التي رانت عليهم منذ الغزو الإيطالي ، وسرعان ما شكلوا فصائل تعددت بتنوع المشارب السياسية وشرعت في أعمال المقاومة . وكان من أبرزها الجبهة القومية المحافظة " بالي كوبيتار" التي نظمت منذ بداية الحرب مقاومة شاملة للاحتلال من خلال وحدات مقاتلين ملتحمين في قتال مستمر مع جيش الاحتلال الإيطالي متبنين استراتيجية " اضرب واهرب " واختفى حيث يتوقعون وجودك واظهر من حيث لا يتوقعون " وانفردت الجبهة الوطنية بمقاومة الغزاة منذ دخول ايطاليا الحرب الى ان هاجم هتلر روسيا في ٢٢/٦/١٩٤١ وعندما تكونت فصائل شيوعية للمقاومة استجابة لتعليمات الشيوعية العالمية كما سبق وأشارنا ، وقد رغب عقلاً المقاومين في توحيد حركة المقاومة فتحالفت الجبهة الوطنية ، وفرق المقاومة الصغيرة الأخرى مع فرق المقاومة التابعة للحزب الشيوعي . ودام الحلف لأكثر من سنتين . اشتدت خلالها مقاومة جيوش المحور حتى اضطرت تلك الجيوش الى الاستقرار في المدن وعدم الخروج لها مهامها إلا في مجموعات كبيرة وكانت للجبهة الوطنية القدح المعلى في الحرب ، لكنها اخفقت سياسياً رغم نجاحها الفائق عسكرياً إذ لم يكن لها برنامج اصلاحي لفترة مابعد الحرب وبخاصة لم يكن لها برنامج معروف للجمهور الإلbanي يشرح له خططها

يتوقع من إعادة توزيع ملكية الأراضي، اذ أن وجود مثل هذا البرنامج أمر مهم جداً في نظر غالب المقاتلين المنحدرين من أسر شديدة الإملق عمل افرادها كما عمل أجدادهم منذ قرون طويلة في زراعة أراضي البيهوات الاقطاعيين وما كان يعود عليهم من عملهم المرهق المستديم إلا ما يكاد يسد الرمق ، أما الحزب الشيوعي فقد كان له خط واضح معلوم أساسه تجريد الملك من مزارعهم ، وتمكن الفلاحين من زراعتها مع إعطائهم نصبياً أكبر قليلاً مما كانوا يحصلون عليه أيام الاقطاعيين ، وإعفائهم من الضرائب عن الأرضي بعد انتقال ملكية رقبة الأرض إلى الحكومة من قبل الحزب . ولم تزد الشيوعية على أن استبدلت بسيادة فريق كبير من الاقطاعيين سيدا واحدا هو الحكومة بهيلها وهيلمانها ، وجبروتها وطغيانها ، وقدرتها على فرض القوانين الظالمة ، والنظم الجابية وتفعل كل ذلك باسم العدالة الاجتماعية .

وعندما استيقظ اللبنانيون وجدوا أنفسهم مازالوا عبيدا ، وان كانت عبوديتهم لسيد جديد ، الفرق بينه وبين سابقيه من السادة القدامى انه يميّز المخالفين له من الشعب اللبناني بحبال المشانق أو خنقا في غياه布 السجون ، فإذا اخذته الرأفة بهم قصر فترات عذابهم بإطلاق الرصاص على اقفافتهم بينما يقوم سادتهم السابقون ، على تنوع اشكالهم من ملوك واقطاعيين ، وولاة واستعماريين بإماتتهم جوعا ، أو يميتونهم بأيدي بعضهم البعض عندما يشعرون حروبا بين فريق من أولئك السادة وفريق آخر ويكون وقود تلك الحروب دائما ، الخاسر فيها أبداً هو الشعب اللبناني نفسه،اما الرابع دائمًا في تلك الحروب والناجي دائما من آلامها فهم السادة .

ميثاق التعاون على مقاومة الاحتلال

تم الاتفاق على ميثاق التعاون على مقاومة إحتلال دولتي المحور (المانيا وإيطاليا لألبانيا) ويوغسلافيا بين المقاومة الشعبية الالبانية بزعامة حزب " ليقاليتيي " والحزب الاشتراكي الالباني والمقاومة الشعبية اليوغسلافية ونصله : " تنسيقاً لحركة المقاومة اليوغسلافية الالبانية لدولتي الاحتلال فإن الأطراف المتعاقدة تتعهد بنجدة كل طرف من الأطراف الأخرى بالرجال والسلاح وبالعلومات خاصة التي قد تتفقد أي طرف من فرق المقاومة من أي ضرر محتمل ، وعلى الرغم من سذاجة صيغة الاتفاق فقد حافظت الأطراف على تنفيذه بأمانه وتعاون أزعجا القوة الشيوعية التي تشكت في كل من يوغسلافيا ورومانيا عقب دخول روسيا للحرب ضد دولتي المحور ، وقد اتفقت قيادتا الفصائل الشيوعية في ذينك البلدين وفق توجيهات الشيوعية الأممية على دحر قوة المقاومة الاسلامية في الالبانيا وكوسوفو وأنصارها من أتباع العقائد الأخرى في كلا البلدين .

ويتحتم أن نذكر أن الصادق من تاريخ يوغسلافيا يحدثنا أن : " جوزيب بروز تيتتو " لم يكن زعيم المقاومة اليوغسلافية الوحيد بل سبقه زعماء آخرون كثُر ، سبق نشاطهم نشاط تيتتو بمدة طويلة ، فتيتو لم يشرع في مقاومة المحور إلا بعد مهاجمة المانيا النازية لروسيا ، أما قبلها فقد كان يعيش في موسكو . أما زعماء المقاومة من غير الشيوعيين وغالبيتهم من ضباط جيش يوغسلافيا الذين رفضوا التسليم بهزيمة بلادهم أمام المانيا فقاموا بحملة فلول الجيش اليوغسلافي واحتفلوا في شعاب الجبال ، وخلال أسابيع قليلة إتحق بهم آلاف المتطوعين غالبيتهم من الجنود المسرحين بعد هزيمة الحكومة الملكية وقد اكتسب بعضهم خبرة في المعارك التي خاضوها لصد

جاحف الالمان .

وفي منتصف ابريل من ١٩٤١ تفجرت أول شرارة للمقاومة المسلحة ضد الالمان على أيدي حفنه من الرجال يتهدون حماساً لإنزال أكبر خسارة ممكنة بالغزة الغاصبين وكأنهم لم يكونوا منذ أسابيع قليلة جنوداً في جيش مهزوم، فر ملكه وحكومته، وتركاه فريسة للغاصبين، وكان من حسن حظ المقاومة أن كان من بين الضباط الذين قادوا المقاومة عدد منهم سبق أن تلقى تدريباً راقياً في الإدارة العسكرية وفي التنظيم ، كما كان أحدهم متوفقاً في علم النفس العسكري مما مكنته من تنظيم جنوده في شبكة مقاومة متماسكة جيدة الاتصال فيما بين فصائلها وقادها بحزم وعدل مشوبيين بعطف أبيوي وكان ككل قائد متطوعين - يعمل على تفهم عقلياتهم ودوافعهم ، عالماً بحدود سلطانه عليهم ، خيراً بكسب ولائهم فأدار شؤونهم في غير ضعف وبحزم لا يصحبه عسف فأطاعوه عن حب واحترمه عن تقدير فتمكن من نشرهم في المدن وفي الشعاب وفي الربى ، وكان من بينهم من عملوا ضباط شرطة وأطباء وسائقين قطارات وندل مطاعم وحانات ، كما نظم شبكة مخابرات مكتبة من التعرف على حركات الاعداء ومخططاتهم ولعل أفضل مصادر أخباره هن صنيعبات المواخير ، فهن - رغم مهانة مهنتهن - لم يتجردن تماماً من الوطنية فكُن يستغللن ضعف الجنود الالمان والآيطاليين فيحصلن منهم على أدق الأسرار .

ووفقاً للتحالف نشأت علاقات قوية بين حركة المقاومة الالمانية وحركة المقاومة اليوغسلافية وبخاصة مع حزبي " ليغاليتي " و" الحزب الاشتراكي " ، إذ لم يكن الحزب الشيوعي الالباني قد نشأ بعد ، وقام بين الحركتين اليوغسلافية والالمانية تعاون كامل وتنسيق منظم وبخاصة في تبادل المعلومات عن الاعداء ، وفي الخدمات الطبية وفي تبادل الخبرات في ميدان

مسالك الجبال وفي مناطق الحدود ، وقد استمر هذا التعاون الى أن سيطر الشيوعيون على حركات المقاومة في الباانيا ، كما سيطر شيوعيو " تيتو" على حركة المقاومة في يوغسلافيا عملاً بمخططات الشيوعية العالمية " الكومينترن" في إضعاف حركات المقاومة غير الشيوعية توطئة لإستيلاء الشيوعيين على البلدين - وقد ساعد الحلفاء وبخاصة الانجليز.. في مكان آخر من هذا الكتاب - على مناصرة الشيوعيين وإغفال الحركات الأخرى - فأنهى أنور خوجة حركة المقاومة الاسلامية في الباانيا بالانقلاب عليها مخلاً بالاتفاق الذي وقعه معها سنة ١٩٤٣م باسم " اتفاق موکاج" ولم يكتف بهذا بل حاربهم حرباً عنيفة اضطرتهم الى مهادنة الالمان والايطاليين ليتفرغوا للدفاع عن أنفسهم فأستغل " خوجة" هذه المهادنة واتهم المقاومة بالخيانة ، وسار " تيتو" على نفس النهج ضد فرق المقاومة الوطنية في يوغسلافيا ، وبعد تعاون لفترة طويلة بين قادة المقاومة اليوغسلافية وتيتو ، انقلب تيتو على زعماء المقاومة من غير الشيوعيين في نفس اليوم الذي أُنْقلَب فيه أنور خوجة على فرق المقاومة الالبانية من غير الشيوعيين، مما يدل على أن هذين الانقلابين هما أمر قد دبر بليل أحمر . وكان تيتو قد شجع العقيد السفاح " دراجا ميخائيلوفيتش " على الإيقاع بال المسلمين في المقاطعات اليوغسلافية التي يكثر فيها المسلمون فلما حان الوقت للقضاء عليه كزعيم اشتهر بالجرأة والقسوة قام تيتو بإتهامه بالعملة للألمان والايطاليين وساعدته الانجليز على ذلك . وما أن إنتهت الحرب حتى طارده بلا هوادة فلما قبض عليه بمساعدة المخابرات الانجليزية حاكمه محاكمة وفق مخطط معين إنتهت بإعدامه حتى لا ينشر على العالم أسرار سحق الشيوعيين لكل وطني قد يشتم منه مقاوماً للسلطة الشيوعية التي خطط لها بمهارة لتحكم يوغسلافيا عقب إنتها الحرب ، وهكذا كان إعدام هذا السفاح جزءاً من المخطط الهدف إلى التخلص من الزعماء الوطنيين والشخصيات التي اشتهرت أثناء المقاوم

الوطنية الذين تخشى الشيوعية الأممية خطرهم فكانت تصفيتهم جسدياً نوعاً من التحوط للمستقبل وقد استغلت في إدانة هذا السفاح فضائع المجازر التي أقدم على ارتكابها بين مسلمي مقاطعات "خرواتيا" و "البوسنة" و "الهرسك" كما سبق أن أوضحنا .



السفاح درينا ميخائيلوفيتش

إن كل ماجرى للمقاومة غير الشيوعية في كل من يوغسلافيا والبانيا تم وفق مخطط معين مدروس بعناية هدفه بشارة البلقان وبقية الشعوب القاطنة بين اليونان والبحر الأسود ، بينما نجد فرنسا وإيطاليا وفيهما أكبر حزبين شيوعيين في أوروبا قد أعد لهما مخطط خاص بهما نظراً لأن العسكريين الذين لا يعنون بالسياسة والثقافيين واعداد غفيرة من السياسيين والرأسماليين كانوا يمثلون نسبة

الثلاثين بين رجال المقاومة في إيطاليا وفرنسا وهو أمر جعل الشيوعية الأممية تيأس من السيطرة على حركات المقاومة في ذينك البلدين .

فيصر البانيا الأحمر أنور خوجة

ولد في "جيروكاستر" في ١٦ أكتوبر سنة ١٩٠٨م . من والدين من عامة الناس ، ودرس في المدارس الالبانية ، تلقى تعليمه الثانوي بمدينة "كوركا" بالبانيا ، ثم ذهب الى فرنسا ومن بعدها الى بلجيكا للدراسة ، وكان يعمل أثناء دراسته الجامعية والعليا ، وعاد إلى البانيا سنة ١٩٣٦م . وعيّن مدرساً في المدرسة الثانوية التي درس بها في كوركا، واستمر بها حتى ابريل سنة ١٩٣٩م . حيث طردته منها الحكومة الالبانية المتعاونة مع

الإيطاليين انذاك فذهب إلى العاصمة ، وانضم فوراً إلى الحركة الشيوعية ، وكان في أثناء وجوده في بروكسل قد اتصل بالشباب الشيوعي فيها الذين ساعدوه في العثور على عمل مقابل الانضمام إلى نقابة عمال يسارية في " لييج" ولم يلبث أن برزت صفاته الخاصة المشربة دوماً إلى امتلاك السلطة بأي ثمن . ويقول في مذكراته أنه خلال تلك الفترة تعرف على جميع الأحزاب المنتشرة في بلجيكا وفرنسا دون تمييز بين أحزاب أقصى اليمين فأحزاب الوسط فأحزاب اليسار ثم أحزاب أقصى اليسار على مختلف اسمائها ، ويقول أنه لفائدة ترجى من أي حزب عدى الحزب الذي تؤيده " البروليتاريا" وهو الحزب الوحيد الذي تضمن بقائه القوة العاملة في أي بلد أطول مدة ممكنة ، إذ العمال جميعهم فقراء إلا ماندر ولا يخلو منهم شعب ، وحيث ما وجد الفقر وجد الظلم ، والظلم يحتاج إلى مكافحة ، ومكافحة الظلم هي هدف البروليتاريا الأسمى . وقبيل احتلال قوات " هتلر" بلجيكا في أوائل سنة ١٩٤٠م تسلل أنور خوجة سراً بمساعدة نقابته اليسارية إلى أن وصل إلى موسكو حيث زار مهد الشيوعية ، وكناها الأمين ، فلما أعلنت إيطاليا الحرب على الحلفاء أوصلته منظمات الشباب الشيوعي الروسي إلى يوغسلافيا ومنها تسلل إلى البانيا . لينضم مبدئياً إلى الحزب الملكي " ليغاليتيتي" واختاره من بين الأحزاب القائمة لعدم وجود حزب شيوعي أولاً ، ولأن الحزب الملكي يملك المال وله الكثير من الأنصار في العاصمة ، وفي تلك الأثناء تعرف على مجموعات مختلفة من معتنقي الشيوعية ثم اختار اقواماً وانضم إليها معلنًا تأييده لها ، ولم تقطع صلاته ببقية الحركات المناوئة للأستعمار الإيطالي حتى وصل مندوباً للحزب الشيوعي اليوغسلافي للذان لعبا دوراً أساسياً في تكوين الحزب الشيوعي . كما أوضحنا في فصل سابق . وهما اللذان أوصلاه إلى قمة السلطة ولم تنجح أية محاولة لتخلص البانيا منه حتى صرעהه مرض السكر في ١١ أبريل سنة ١٩٨٥م . وهو في

في السادسة والسبعين من العمر بعد أن حكم البانيا طيلة الـ ٤١ سنة التالية للحرب العالمية الثانية ، حكما دكتاتوريا مطلقا ، مستغلًا الصراعات الدولية للاحتفاظ بالرقة الصغيرة التي يحكمها ، وعمد إلى عزل بلده ، وعزل شعبه عن العالم ليقنه من أن البانيا ليست القوة التي تلتفت إليها الدول وأذا ما كفت الناس شرورها ، فلها أن تصنع بنفسها ماتشاء .

بقيت إيطاليا البلد الأوربي الوحيد الذي يحتفظ بشيء من العلاقات التجارية تمارسها على استحياء وخوف من شريكاتها الغربيات ، وهي ما زالت تنظر إلى البانيا نظرة الوصي السابق والجار الطامع ، ولم يكن من السهل على أنور خوجه أن يقوى الصلات مع يوغسلافيا بسبب ما اقتطعه من أراض من وطنه ، وبسبب ما يحس به من مطامع داعبت أحاسيس تيتو ثم أحاسيس من خلفه .

أما اليونان فسكانها أشد عداء له وللألبانيا من عداء غيرهم ، وعداؤهم قائم على أسباب دينية وتاريخية وعرقية وعقائد سياسية ، فاليونانيون لم يغروا له قط مده للشيوعيين اليونانيين بالسلاح والمال والتدريب أيام حربهم الأهلية التي قامت بينهم وبين الحزب الشيوعي اليوناني " آ.ي.م . عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة ، فضلاً عن لوم اليونانيين الشديد لأنور خوجة لإغلاقه لحدوده معهم وايقافه ل الصادرات البانيا من اللحوم إلى اليونان في فترة كانت اليونان في أشد الحاجة إلى تلك اللحوم ، ويكرر الناس في مقاهي أثينا عبارة منسوبة إلى ملك اليونان الأسبق الملك " بول " ومؤداتها " لعل من حظ الألبانيين إننا في القرن العشرين ، ولو لا هذا لشعبنا من لحومهم ومن لحوم مواشيهם " وسواء أصبحت نسبة هذه المقوله إلى الملك أو لم تصح فإنها تصور تصويراً دقيقاً أحاسيس اليونانيين المضادة للألبانيين وكان قرار إغلاقه لحدود مع اليونان هو بداية قراراته المتطرفة ، ويظهر أنه

قد استمرأ التطرف فصار دينه ، فاندفع الى اتخاذ قرارات مثيرة مثل قرار فصل العلاقات مع روسيا في عهد "خروتشوف" سنة ١٩٦١م . عندما شهر الأخير باستالين ، ونتج عن قطعه مع روسيا خروج البانيا من حلف "وارسو" ومن منظومة "الكوميكون" الاقتصادية الموازية للسوق الأوروبية المشتركة ، وهو قرار حرم روسيا من تسهيلات قاعدة لغواصاتها في البحر الادريaticي وهي قاعدة الغواصات الوحيدة التي تملكها روسيا في قلب أوروبا ، ثم انشأ علاقات حميمة مع الصين الشعبية نكارة في روسيا التي تنكرت للاشتالية، وهو المبدأ الذي يدين به أنور خوجة ظاهريا ورأى معاقبتها بتحويل البانيا الى جسر يربط الصين عدوة روسيا بأوروبا ، ازدهرت عن طريقه تجارة الصين وخاصة واقتصادها العامة ، فعن طريق البانيا وصلت المنتوجات الصينية الى أوروبا ووصل الكثير من المنتجات الأوروبية الى الصين ، كما وصلها الكثير من اسرار التكنولوجيا الغربية ، ولكن أنور خوجة اوقف هذه الصلات دفعة واحدة عندما زار "نيكسون" رئيس الولايات المتحدة السابق الصين الشعبية سنة ١٩٧٢ ، وبقطعه مع الصين صارت البانيا في عزلة تامة عن العالم قاطبة ، ولم يشفع له عداءه للصين ولروسيا ، معا عند الغرب ، اذ اعتبرته أوروبا وأمريكا اشد إشتالية من زعماء كل من الصين وروسيا . وهو أمرأدى الى اخفاق وساطة ايطاليا بين البانيا وأوروبا وأمريكا غير أن ذلك الافاق لم يحل دون استمرار الصلات المختلفة بين ايطاليا والبانيا كما ذكرنا .

وعلى الرغم من الاتهامات الخطيرة التي وجهتها يوغسلافيا الى أنور خوجه فقد حرصت تيرانا على أن يكون معلوما للجميع أن سياستها حيال يوغسلافيا لم يطرأ عليها أي تغير ، فهي سياسة قائمة على " ان البانيا لا تحبذ أي زعامة في استقرار يوغسلافيا " ولكنها لايرضيها مطلقا عجز

يوغسلافيا عن منح الالبان الكوسفيين حقهم في تقرير مصيرهم ، أو على الأقل حقهم في انشاء جمهورية خاصة بهم في نطاق اتحاد الجمهوريات اليوغسلافية ، وتكرر اتهام بلغراد لتيرانا بأنها تثير النعرة الانفصالية في أوساط الأقلية الالبانية ، وتدعى بلغراد ان الأغلبية العظمى من الكوسفيين يعلو صوتها بالمطالبة بجمهورية لهم ضمن الاتحاد اليوغسلافي ، وتدعى أيضاً أن كوسفو لم تكن قط جزءاً من الالبانيا ، وان الكوسوفيين لا يرون في الالبانيا ما يرغبهم في الانضمام اليها ، ويصررون بأن الالبانيي كوسفو لو تظاهروا في الالبانيا للمطالبة بأي شيء مهما قل مما يطالبون به حكومة يوغسلافيا لما أبقى "النظام الخوجوي" منهم حيا واحداً قادراً على التظاهر مرة أخرى ، وتقول اذاعة بلغراد : "يفخر خوجه بأن سجونه تقاد تخلو من السياسيين المحكوم عليهم بالسجن ، ولعله صادق في ان سجونه لا تحتجز الا القليل منهم ، لكنه لم يخبرنا عن اعداد خصومه الذين طوتهم القبور، ولا عن الذين يذوون في معسكرات العمل الاجباري، او يموتون جزءاً جزءاً في معسكرات الاعتقال (١) .

ان آخر عامل يمكن أن يكون له تأثير ايجابي أو سلبي على سياسة خوجه هو الشعب الالباني نفسه أو رغباته أو حقوقه ، إذ ان الشعب الالباني ، كجميع الشعوب الخاضعة للحكم المطلق للحكام الشيوعيين الذين يعتقدون عقيدة راسخة تمثل في أنهم لا يخامرهم أدنى شك في أن الناس عاجزون عن التمييز بين الخير والشر ، كما أنهم لا يعرفون ما هو أصلح لهم ، ولا يشك الشيوعيون في ان الناس لو علموا لما اختاروا عن الشيوعية بديلاً مالما يزعزع بهم عن الحق زائف أو دافع سياسي فاسد ، ويعتقد أنور خوجه أنه

(١) بلغ العدد المعروف للمعتقلين السياسيين خلال الأربع عشرة سنة الأخيرة ٤٠٠ معتقل ، ويحتمل ان هذا العدد لا يمثل إلا قلة منهم ، عن تقرير منظمة العفو الدولية . بتاريخ ١٢/٣/١٩٨٤ م .

مهما تفاوتت المستويات العلمية واحتلت الخلفيات الثقافية للألبانيين فإنهم سيتجهون شطر الماركسية عقيدة سياسية ، وشطر الاستالينية كأسلوب لتجسيد المبادئ الماركسية في ضوء الشروح اللينينية، ولما كان خوجه يمتلك براعة خاصة نفافية الطابع ، فقد مكنته من إظهار غير ما يحيط به ، كما كان قديرا على أن يقول ما يريد أن يقوله بدقة ، لا أن يقول ما يحيط به أو يدور في عقله ، ولم تند عنه كلمة واحدة تكشف عمق خداعه وزيفه ، حتى توهم أكثر الناس أنه يؤمن بما يقول فعلا ، ومع ذلك فهو يرفع شعارات لا يؤمن بها لكنه يواصل اعلانها في كل مناسبة مخادعة منه للناس ، وقد نجح في هذه المخادعة نجاحا تاما ، أما الشيء الوحيد الذي أخفق في المخادعة فيه فهو النفاق الديني إذ لم يتمكن قط من إخفاء عدائِه للأديان عامة : فأعلنها صريحة بأنه والشعب اللبناني والبناني كلها قد اعتنقوا الانحاد وطبقه فعلا الحادا فاجرا دون أي ستار ، وهو الحاد ملك عليه اقطار مشاعره ، ففرضه على مواطنيه وعلى بلده . أما عدا ما يتعلق بالأديان فقد مارس نماذج مخللة من النفاق والمرين والخداع توحى بصدقه بينما هو على خلاف ما يحاول أن يوحى به . وقد سخر جميع وسائل الاعلام لنشر أفكاره المترجمة للمبادئ الشيوعية وفق فهمه السقيم لها .

نشأة هيكل الحكومة الالبانية

عند اعلن استقلال البلاد سنة ١٩١٢م كان هناك الهيكل الاداري للولاية العثمانية ، التي كانت تسير أمور البلاد وهو مكون من مكتب الوالي يساعدته موظفون كبار متخصصون أهمهم مدير الشؤون العسكرية . وهو ضابط كبير تتركز في شخصه السلطة العليا في الشؤون العسكرية ويراجع

(الجهادية) - وزارة الحرب في اسطنبول رأساً ، غير أنه كثيراً ما أجتماع في شخص الوالي نفسه السلطات المدينة بصفته واليا ، والعسكرية أيضاً بصفته قائد للحامية إذا كان الوالي ضابطاً في الجهادية ووقع عليه الاختيار ليحكم الولاية . يليه في الأهمية من حيث المسؤوليات مدير بيت المال وهو المسؤول عن واردات البلاد المالية ومصروفاتها ، ويعمل هو وزملاؤه الآخرون تحت الاشراف المباشر للوالى ، وكل واحد من زملائه مسؤول عن قطاع معين في حكومة الولاية منها الداخلية والعدلية والصحة والزراعة .

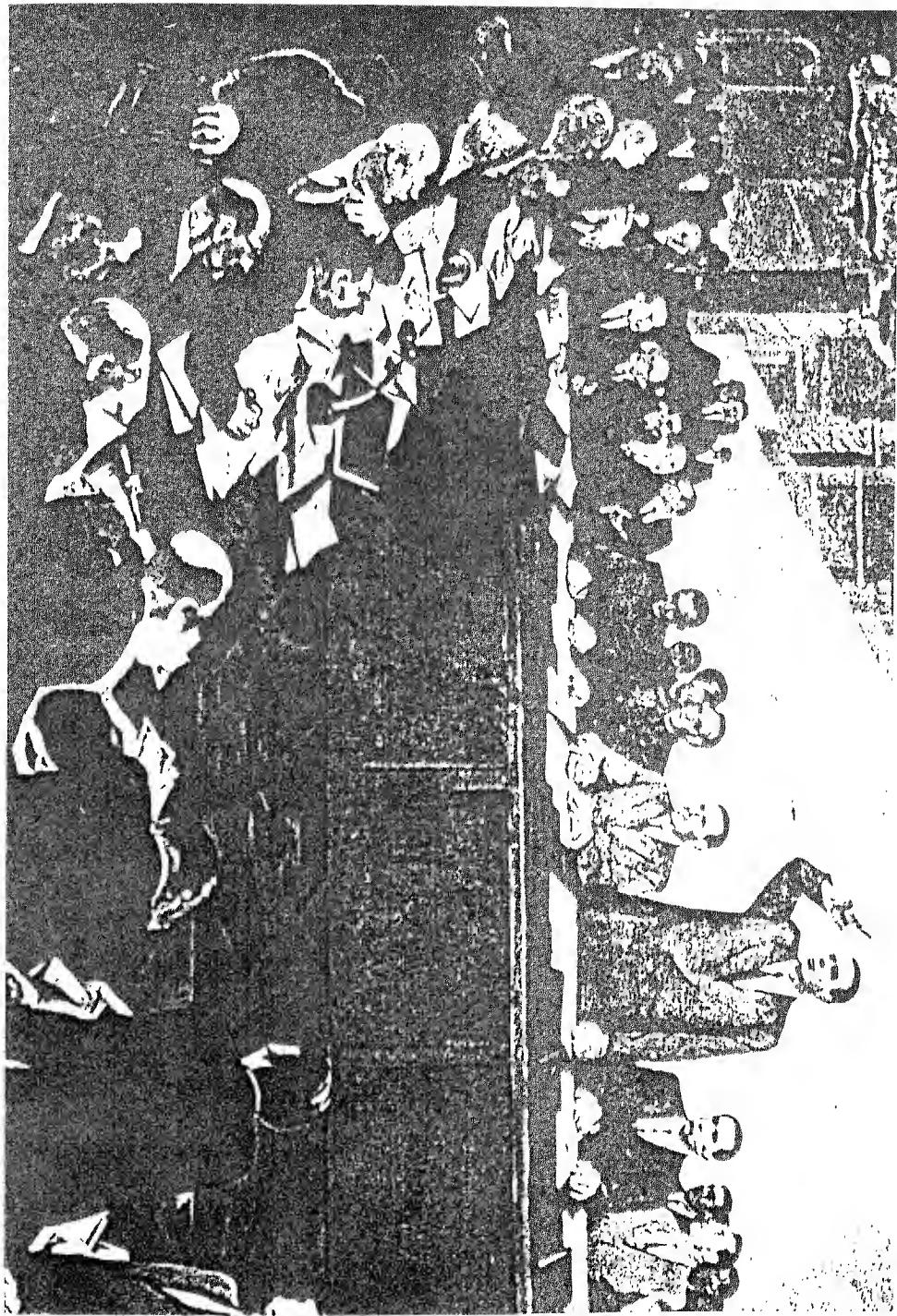
وبقيام سلطة الباشية أبقيت الحكومة الالبانية الجديدة هذا الهيكل بعد أن اطلقت أسماء جديدة على تلك الادارات فبعضها صار وزارة وبعضها صار مصلحة . وببعضها بقى ادارة كما كان . وفي سنة ١٩٢٥م . بعد التدخل الإيطالي المباشر وانتشار المستشارين والخبراء الإيطاليين في الدوائر الالبانية ابتدأت الحكومة تتبني النمط الاداري الإيطالي وبعد اعلن أحمد زوغو للملكية وامداد إيطاليا له بالقروض المالية وما تبع هذه القروض من تدخل سافر في السياسة العامة للدولة وفي الجيش استمر نفس النظام الاداري إلى أن احتلت ايطاليا الباانيا سنة ١٩٣٩م وعندها صفت الادارة الالبانية بصفة ايطالية فاشية محضة ، منهية بذلك هيكل الحكومة الالبانية الذي اختفى تماماً حتى ١٩٤٣/٦/١م ففي ذلك التاريخ اجتمعت وفود عن فصائل المقاومة الوطنية واختارت "اسبيرواتائيسو" قائداً عاماً لجيش المقاومة الوطني فاختار أنور خوجة مستشاراً سياسياً له وولدت معه في نفس الوقت الادارة الالبانية الحالية بحكم منصبه انشأ ادارة صغيرة لتسير الشؤون السياسية والادارية للمقاومة وأخذ يرعاها ويوجهها وفق خطط وتعليمات الشيوعية الأممية الثالثة ، فلما انتهت الحرب لم يكن في

البانيا من هيئة منظمة غير الجبهة الديمocrاطية [الشيوعية] فسيطرت على البلاد، فلما انتبهت الفصائل الأخرى كان الأمر قد افلت من يدها، فلجأت إلى السلاح ولكن سوء تنظيمها ومؤامرات من حولها وخسارة السياسة البريطانية وحسن تنظيم الفصائل الشيوعية، وما يصلها من مدد كبير من السلاح والمال والنصائح ، كل هذا كان العامل الحاسم في استيلاء الشيوعيين على زمام الأمور، وهزيمة غيرهم وما أن استقرت الأوضاع لأنور خوجه في البلاد وفق مخططاته الشيوعية الأممية، وضمن خوجة النجاح في القضاء على جميع معارضيه المحتملين قبل معارضيه المjahرين - حتى شكل جمعية وطنية بالتعيين - من انصاره المؤتمنين ورصفّها ببعض الوجوه الوطنية التي اشتهرت أثناء الكفاح من لآخر منهم على مخططاته ، ولأن مشاركتهم في الجمعية الوطنية تضفي عليها ثواباً قومياً دون أن تعرض مشاريع الشيوعية الأممية في البلقان للخطر .

وفي ١١/٦/١٩٤٦م تم عقد مؤتمر عام حشر له أنصار خوجه عدداً كبيراً من المواطنين دام بضع ساعات ذهب معظمها في خطب اعدها خطباؤها سلفاً تشييد بكفاح الحزب الشيوعي "دون غيره" لتحرير البلاد . ثم القى خوجة خطاباً قصيراً أعلن فيه إلغاء النظام الملكي رسمياً ثم تكلم بلهجة خطيرة معلناً تشكيل الجمهورية الشعبية الإلbanية "القادرة على سحق اعدائها ومكافأة أحبائها" وانفاذ سياستها مهما كلف ذلك من جهد وارواح ومال . ولما هتف بعض انصاره اسكتهم قائلاً مضى وقت الكلام وحان وقت العمل ، ثم اعلن ان الجمعية الوطنية اقرت الدستور .

وتم استفتاء الشعب عليه بكلمة لا أونعم . وقال وزير الداخلية في خطاب
أذيع ان موافقة الشعب على دستوره كانت بالاجماع الكامل .

أنور خوجة يتقدّم في مؤتمر الحزب



تنظيم السلطة الشيوعية في الانيا

أولاً : المكتب السياسي ويتكون من ١٢ عضواً كامل العضوية يرأسه أنور خوجة .

ثانياً : اللجنة المركزية للحزب وتتكون من ٨١ عضواً كامل العضوية و٣٩ عضواً احتياطياً .

ثالثاً : امانة الحزب وتتكون من خمسة اعضاء .

رابعاً: مجلس الشعب والهدف من خلق هذا المجلس هو اظهار عملية " اختيار " اعضائه في مظهر ديمقراطي ، غير أنه لامجال لاختيار أحد من خارج قائمة الجبهة الديمقراطية ، وعلى المواطن أن يقول نعم أولاً للقائمة باجمعها . والمرشحون مجهولون غالباً لغير جيرانهم وزملائهم في العمل ، ولكنهم - كمرشحين للجبهة - هم موضع ثقة الحزب ولا مناص من انتخابهم ، ومجلس الشعب يتكون من ٢٥٠ عضواً ، وهو الهيئة الدستورية القيادية في الدولة غير أنه - في الواقع - يصادق غالباً على قرارات متخذة من آخرين . فجميع المرشحين لعضويته يجب أن يكونوا من تتضمن قوائم الجبهة الديمقراطية اسماعهم ، والجبهة الديمقراطية هي الفائز أبداً ، ففي آخر انتخابات اجرتها خوجة قبل موته ، وتمت في ١٤ نوفمبر ١٩٨١ . صوت مواطن واحد (١) ضد مرشحي الجبهة المذكورة التي نال مرشحوها جميع الأصوات الا واحداً ، وكان مجموعها ١٦٢٧٩٦٨ صوتاً ، واعتبرت ٨ أصوات ملغاً .

خامساً: مجلس الوزراء ويتكون من ١٨ وزيراً .

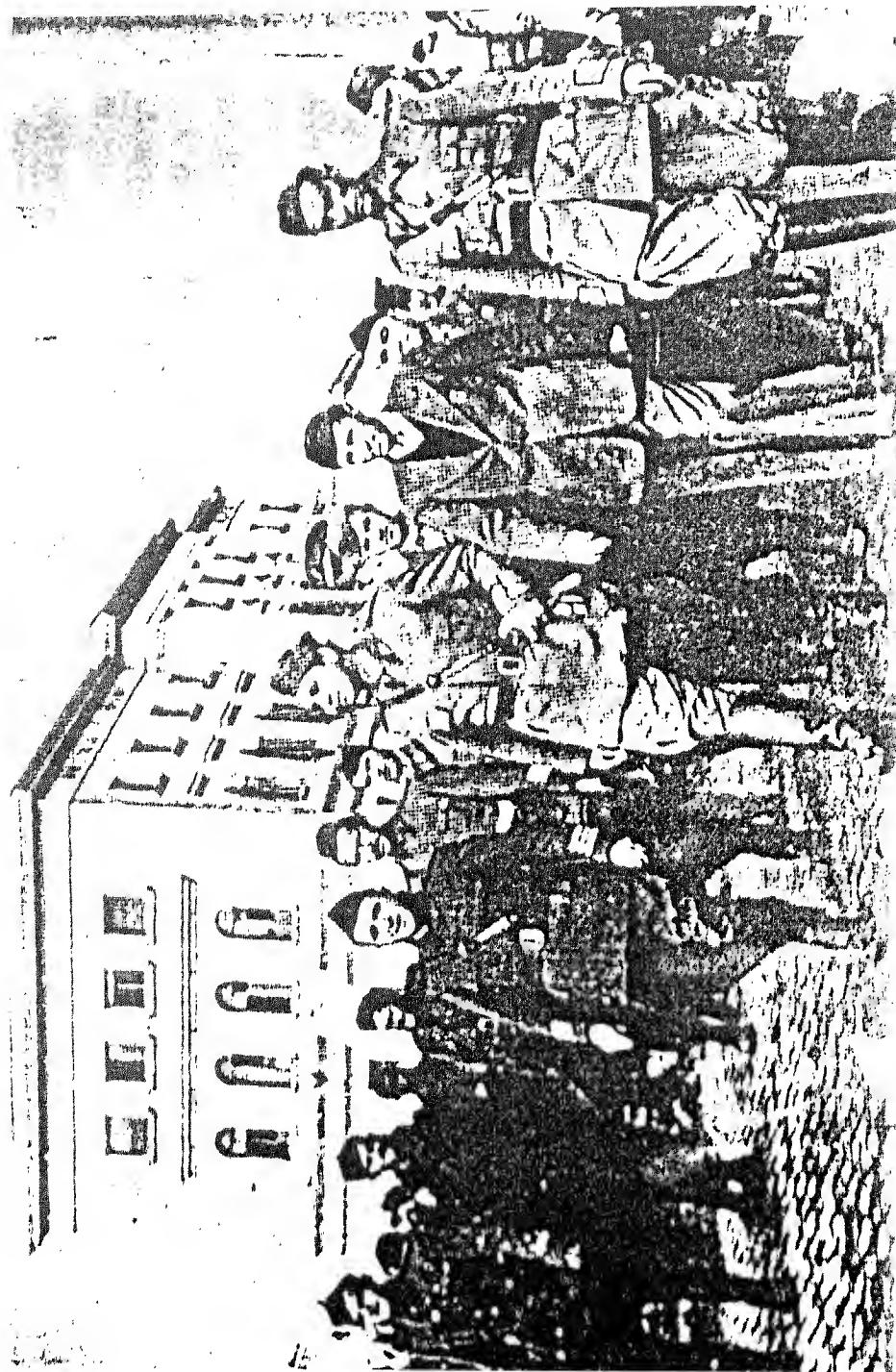
سادساً: الهيئات الشعبية المساعدة للسلطة الشيوعية .

١ - اتحاد العمال الالبانيين ويضم ٦٠٠،٠٠٠ عضواً .

٢ - اتحاد الشبان العمال الالبانيين .

- ٣ - الاتحاد النسائي اللبناني .
- ٤ - حزب العمال اللبناني ويضم ١٢٢٦٠٠ عضو ، منهم ٢٤٣٦٣ عضوا مرشحون للعضوية الكاملة . وجميع الأعضاء مصنفون في الفئات التالية :
- ٤٪ / عمال ومواطنون .
 - ٦٪ / عمال مكتبيون (موظفون)
 - ٣٪ / نساء أعضاء كاملات العضوية .
 - ٤٪ / نساء مرشحات للعضوية الكاملة .
- ٥ - وسائل الاعلام وجميعها ملوكية للسلطة الشيوعية وهي :
- ١ - اذاعة مسموعة (اذاعة تيرانا) تبث بعدة لغات منها اللغة العربية وهي اذاعة قوية تسمع في معظم انحاء المعمورة ما يقرب من ٩٠ ساعة بث يوميا .
- ٢ - وكالة البرقيات اللبنانية (الوكالة الرسمية للأخبار) .
- ٣ - محطة ارسال اذاعة مرئية لاترى خارج البانيا الا في مناطق الحدود وتشوش يوغسلافيا واليونان على بثها .
- أ - مجموعة المجالات والجرائد التالية :
- الجريدة اليومية " زيري إيه بوبوليت "
 - الدورية الشهرية للتنظيم " رونمابرنزي "
 - الجريدة اليومية " باشكى " تصدرها جبهة التحرير الوطني .
 - الجريدة النصف週刊 " زيري روبيني " يصدرها اتحاد الشباب العامل .
 - الجريدة النصف週刊 " بونا " يصدرها اتحاد العمال .
- ٥ - نشرات وكتيبات تصدرها في المناسبات القومية تشرح نظريات خوجه باسلوب سهل .

أول لجنة مركبة للحزب العمل الالباني



المؤتمر الثامن للحزب

سياسة البانيا منذ يوليو سنة ١٩٨١ م الى يوم عقد حزب العمال الالباني مؤتمره الثامن في الأول من يونيو سنة ١٩٨١ م ، وقد حضر اجتماعاته ٢٣ وفدا من مختلف أنحاء العالم بينها وفد واحد ممثل لحكومته هو الوفد الفيتنامي ، اما بقية الوفود فجاءت لتمثيل جماعات صغيرة في بلادها متفاوتة التأييد لسياسة البانيا المتشددة . ولم يكن من بينها وفد عن الصين الشعبية أو وفد عن الاتحاد السوفيتي . أو وفد عن شيوعي الولايات المتحدة ، وكان هناك وفد عن الحزب الثوري الشيوعي الماركسي اللينيني البريطاني. وهذا المؤتمر استحق منا اهتماما خاصا لكونه اخر مؤتمر عقد في حياة أنور خوجه، كما كان أول مؤتمر يعقده حزبه بعد تفسخ العلاقات بين البانيا والصين الشعبية ، وهو تفسخ انعكس صداه في الكلمات التي القاها الالبانيون في مؤتمرهم وبطبيعة الحال كان اعنفها هي الكلمة الافتتاحية للحزب التي رفضت بكلمات عنيفة متفرجة " السياسة الصينية الليبرالية "، كما رفضت سياسات الولايات المتحدة الأمريكية ، وسياسات الاتحاد السوفيتي ، وعلى الرغم من أن مادار في ذلك المؤتمر هو صورة مكررة لما دار في كل مؤتمر سبقه من المؤتمرات السبعة ولا تتغير فيه الا أسماء الاشخاص باستثناء اسم أنور خوجه ، وبإستثناء بعض الأرقام ، غير أنه لوحظ انتقال أسماء بعض الدول في قوائم تقارير المؤتمر من قائمة الاصدقاء إلى قائمة الاعداء نظراً لأنتقاليها من قائمة الوفيا للمبادئ الاستالينية إلى قائمة المنحرفين عن المبادئ الشيوعية ، أي الذين خانوا " ستالين العظيم ومبادئه " مع ان أنور خوجه في الحقيقة لا هو ستاليني ولا تروتسكي ولا شيء آخر سوى أنه مثال صارخ للأنانية الحادة التي تلف

نفسها في رداء فضفاض من المبادئ الشهيرة لتختستر بها عند ارتكاب ابشع الجرائم، وعند تخطيط اعمق السياسات، فهو بسبب ذكائه المحدود لم يكن يعرف الكثير عن حقائق الحياة ، وان لم يجهل حقيقة مزعجة واحدة هي تلك التي اسماها " مابعد تيتو" فقد كان اشد مايقلقه هو احتمال ان يتولى زعامة يوغسلافيا احد عملاء روسيا ، اي أنه كان شديد الخوف من أن يستيقظ ذات صباح فيجد الدب الروسي يتتجول في جنوب صربيا او في هضاب الجبل الأسود .

وكانت الخطوط العريضة لخطط السنوات الخمس ، وهو السابع منذ تولي الشيوعيين الحكم ، وأبرز ما فيه اقتراح يهدف الى الاستغناء الكامل عن الإعانات الخارجية (سبق للصين الشعبية ان قدمت اعوانات سخية جدا ، وهامة للغاية توقفت بعد تردي العلاقات بين البلدين) والاقتراح المذكور طبيقا لتعديل دستور سنة ١٩٧٦م . وهو تعديل يحرم قبول المساعدات الخارجية . وهكذا حرمت البابانيا من المساعدات الصينية كما سبق ان حرمت من مساعدات عسكرية واقتصادية من روسيا بدأت منذ الايام الأولى للحكم الشيوعي في البابانيا على عهد ستالين واستمرت في عهود من جاءوا بعده وخلال الفترة الأولى من عهد خروتشف الى أن هاجم خروتشف الاستالينية فمقاطعه أنور خوجه سياسيا، فقطع خروتشف جميع المساعدات عن البابانيا ، ولا مفر لنا من أن نذكر أن المساعدات الروسية هي التي مكنت أنور خوجه وحزبه من القبض بيد من حديد على مقدرات البابانيا وحالت دون أن يلعب جيرانها بتلك المقدرات كما اعتادوا أن يفعلوا منذ سنة ١٩١٢ الى سنة ١٩٤٨م .

وأهم ما تتناوله المؤتمر في قطاع العلاقات الخارجية مايلي :

- ١ - تدهور العلاقات السياسية مع يوغسلافيا نتيجة تصرفات حكامها ضد الاعراق الالبانية في كوسوفو التي تمت في ربيع عام ١٩٨١ .

٢ - الالحاح على المطالبة بما تملك من ذهب محتجز في مصرف بريطانيا المركزي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . وتقول البانيا ان قضية استردادها لذهبها هي الحال الوحيد دون اعادة ربط علاقات دبلوماسية مع بريطانيا . ولعلنا نختصر طريق تحليل سياسة البانيا في النصف الأول من العقد الثامن من هذا القرن بإيراد فقرات من بيان الحزب الذي القاه أنور خوجه في أول نوفمبر سنة ١٩٨١ أمام اللجنة المركزية للحزب بصفته الأمين الأول للحزب ، وقد استمر القاء الخطاب سبع ساعات ونشرته وكالة الانباء الالبانية ، وإذاعته اذاعة تيرانا ، ونورد عناصر الخطاب الأساسية في الفقرات التالية قال خوجه في خطاب الافتتاح :

أ - الدولة : بالرغم من قطع الصين المفاجئ المبين (١) لعلاقاتها الاقتصادية مع البانيا الذي استهدف خلق حالة تفسخ في الاقتصاد الالباني ، إلا أن شعبنا نجح في تجنب عواقب مساوى الوضع الجديد ، وعلى الرغم من هذه النكسة فقد حققنا ازدهاراً في مجالات التصنيع والتنمية الزراعية وفي قطاعي الثقافة والتعليم ، كما تمكنا من تقوية شبكات دفاعنا الوطني .

ب - تبادل التمثيل الدبلوماسي : ربطنا علاقات دبلوماسية مع ٩٥ دولة وكانت لألبانيا علاقات مع ٧٤ دولة حتى نوفمبر سنة ١٩٧٠ .

ج - الحزب : قام حزبنا منذ مؤتمره السابع بتمتين روابطه مع مجموع شعبنا فارتفع عدد أعضائه إلى ١٢٢٦٠٠ عضو تمثل حوالي ٤٥٪ من مجموع الشعب وان ٣٨٪ من مجموع الأعضاء هم عمال ، أما العاملون بالكاتب (الموظفون) فيبلغون ٣٢.٦٪ و٤٢.٩٪ هم أعضاء التعاونيات أما النساء فيشكلن ٣٠٪ من مجموع الأعضاء ، ونسبة العمال بين أعضاء الحزب في تزايد مستمر .

د - الاقتصاد : استعرض الخطاب تفاصيل الخطة الخمسية ٨١-١٩٨٥

التي اعدتها اللجنة المركزية للحزب والتي سيدارسها المؤتمر توطئة لإقرارها ، وهي أول خطة لألبانيا لاتعتمد على أي عنوان أو قرض خارجيين وفيها من أنواع الطموح أكثر من أي خطة خمسية سابقة وتتضمن نموا مكثفا في جميع ميادين الاقتصاد .

هـ - السياسة الخارجية : أبدى الزعيم خوجة اهتماما بالغا بالتوتر المسيطر على شؤون العالم الذي وصفه بأنه " انعكاس صراع الطبقات " وقال : ان التناقض بين القوى العظمى أجبر معظم البلدان غير المنحازة على التحالف مع هذه الكتلة أو مع تلك ، ونتج عن ذلك أن حركة عدم الانحياز التي تفتر يوغسلافيا بأنها عضو بارز فيها قد انتهت دورها المأئع غير المحدد الذي كان سناؤه يشرق أو يخبو حسب ما يحيط به من ظروف تعكس رغبة القوى العظمى .

وـ - خصص الزعيم خوجة شطرا هاما من خطابه شدد فيه على ضرورة تطوير علاقة البانيا بيوغسلافيا ، وطالب يوغسلافيا بإحترام سياسة البانيا الخارجية المبنية على توثيق العلاقات مع جيرانها وخاصة يوغسلافيا (١) ولكنه اشترط - كما فعل دائما -أن تستجيب يوغسلافيا لمطالب الكوسوفيين

(١) وردت يوغسلافيا على الخطاب بإحتياج شديد اللهجة يتهم البانيا بالتدخل في شؤون يوغسلافيا الداخلية ، ويتهمها بأنها تجادل جدلا باطلا حول سلامية أراضي يوغسلافيا ، وانذرت بلغراد تيرانا بأن موقفها من موضوع كوسوفو يهدد النتائج الطيبة التي توصل إليها البلدان ، بالإضافة إلى أن التدخل من جانب البانيا قد يضر ويزعزز استقرار الحدود في البلقان ويفتح الباب للتدخل الأجنبي ليزيد في توتر المنطقة لأن البانيا لا تكتفي بما تعاني دول البلقان من توتر .

لقد اطلنا في استعراض فصول سياسة يوغسلافيا في كوسوفو ، وهي سياسة جرت على الألبانيين مصائب صبروا عليها طويلاً فلما فاض الكيل ثاروا فقدموا ضحايا كثرا وشلوا الاقتصاد واتلفوا مباني ومنشآت وكشفوا ضعف السلطة في حفظ الأمن مما اضطر السلطات إلى اللجوء إلى عنف بالغ وسياسة قمع تركت جروحا عميقا لا يقوى الزمن علىمحو ذوبها، وسكت الكوسوفيون أمام حدة حرب الصربين وإعوانهم ولكن سكوتهم ليس ايديا ما لم تلب مطالبهم
(المؤلف)

بحقهم في تقرير مصيرهم مهما كان نوع قرارهم، ويرى أن أقل ما يجب أن تمنه يوغسلافيا هو اعتراف بإنشاء جمهورية خاصة ولو كانت ضمن الاتحاد اليوغسلافي الذي يضم أعراقاً كثيرة ، يتمتع كل منها بإدارة شؤونه في جمهورية خاصة به ، يمارس فيها سياسته بالطريقة التي يرتاح لها.

وقال خوجة أنه من مصلحة الباانيا ويوغسلافيا توحيد جهودهما لتجنبها سوياً الأخطار التي تنتج عن التوتر الذي لا يُبس شؤون العالم والذي وصفه بأنه انعكاس لصراع الطبقات كما هو نتاج للأزمات التي تتسبب فيها الرأسمالية العالمية وتسببها أيضاً تصرفات الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة فكلا البلدين - حسب قول خوجة تبرز من خلال تصرفاته نوايا امبريالية في مناطق متعددة بما فيها شبه جزيرة البلقان ، وان كليهما يوصفان بأنهما أشرس اعداء للحرية والاستقلال الشعوب وللسلام وللأمن في العالم " وقد أنكر جدوي ندوة هيلسنكي حول الأمن والتعاون الأوروبي لستي ٧٥/٧٣م باعتبارها مهزلة نظمت من قبل كلا البلدين لاضفاء صفة الشرعية على هيمنتها المتناهية في أوروبا ولتهرباً معاً من حق الشعوب في مطالبتهم بتفكيك كتلهم العسكرية وباجلاء قواتهما واسلحتها الذرية .

كما وصف خوجة الاتصالات الجارية بين الصين الشعبية واليابان والولايات المتحدة بأنها تحالف امبريالي جديد يشكل خطراً جديداً يتمثل في حروب محلية أو حرب عالمية . كما نبه الأذهان إلى القوة الاقتصادية التي تقودها زعامة ذات طموح غير مشروع .

وتتحدث خوجة برصاً حول تطور علاقات الصداقة مع اليونان ومع فرنسا ومع ايطاليا ولقد قامت الباانيا في السنوات الأخيرة بتوسيع علاقاتها الدبلوماسية والتجارية مع البلاد المذكورة .

أما تركيا والتي نعتها خوجة بأنها تشاطر اللبنانيين التعاطف الذي هو وليد العادات والتقاليد المشتركة وصلات النسب والدم (١) بين الاتراك وبين اللبناني يوغسلافيا ، وبالشعب اللبناني اجمالا حيثما كانت دياره ، كما تمنى التوفيق والازدهار لعلاقة بلاده الايجابية مع الدول الصديقة وهي النمسا والسويد وفنلندا والنرويج والدنمارك وسويسرا وبلجيكا وهولندا والبرتغال . وقد رفض أي احتمال لربط علاقات مع بريطانيا بسبب مشكلة الذهب التي أشرنا إليها آنفا . ويبلغ هذا الذهب ٢٤٥٠ كيلو جرام ثمنه بأسعار اليوم أي ينایر ١٩٨٤م - ٢٠ مليون جنيه استرليني ، وهذا الذهب كان مملوكاً للبنك الوطني اللبناني ثم صادره الالمان في أثناء احتلالهم لأنانيا في الحرب العالمية الثانية ثم سلم سنة ١٩٤٥م الى الحلفاء الذين أودعوه بنك بريطانيا وقد اعترضت بريطانيا على اعادته لأنانيا نتيجة لرفضها دفع ١٧٠٠٠ استرليني كتعويض مستحق للمملكة المتحدة عن إغراق مدمرتين انجليزيتين سنة ١٩٤٦م في مضيق كورفو . وفي مارس سنة ١٩٨١م قام فريق من الانجليز بما فيهم بعض أعضاء البرلمان (٢) المنتدين لختلف الأحزاب بالضغط على الحكومة لاعادة الذهب لأنانيا دافعهم في هذا الضغط الرغبة في استعادة ربط علاقات دبلوماسية طبيعية وتجارية مع البانيا ، غير أن " بيتر بلاكر " وزير الدولة بوزارة الخارجية أخبر الفريق المطالب بإعادة الذهب بأنه تتذرع اعادته بدون موافقة أمريكا التي تطالب البانيا بتعويضات مماثلة لما تطالب به بريطانيا .

وقال خوجة : ليس هناك من عقبات في طريق ربط علاقات دبلوماسية ، مع المانيا الغربية لا يمكن تجاوزها اذ لم يبق إلا بعض مسائل تختلف عن

(١) أما صلات الدين فلا محل لها في فكر أنور خوجة الملحد ، مع أنها في الواقع الأمر هي أقوى الصلات بين الاتراك والامة الاسلامية بما فيها اللبنانيين (المؤلف) .

Keesing Contemporary Archives 8/1/1982 831275 (٢)

الحرب العالمية الثانية ولابتعذر الاتفاق بشأنها وأهمها مطالبة البابا لألانيا بتعويضات تتعلق بالاضرار التي تسببت في حدوثها المانيا أثناء الحرب وقد رفضت المانيا دفع أربعة ملايين ونصف دولار كتعويض واشترطت البابا دفع التعويض لاعادة العلاقات الدبلوماسية بينها وبين المانيا الغربية . أما فيما يتعلق بالدول الأوروبية الشرقية - خلا الاتحاد السوفيتي - فقد قال خوجه ان البابا على خلاف عميق مع رومانيا ، وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، وبيلغاريا والمانيا الشرقية وال مجر حول مبادئها السياسية ، والأديولوجية ، لكنه ما زال يفضل التطوير الطبيعي للعلاقات السياسية والصلات التجارية مع تلك البلاد واعلن تضامن البابا مع منظمة التحرير الفلسطينية ، كما نبه الى علاقات البابا الحميمة مع البلد العربية ومع كثير من البلد الأخرى كتنزانيا وغانا ومالي وفيتنام ولاوس ، ووصف الثورة الاسلامية في ايران بأنها قيام عفو ضد ملك يعيش بعقلية قديمة ، كما أنها انفجار ضد المصالح الامبرالية للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط .

وطالب بتفهم العلاقات بين البابا ويوغسلافيا ليتمكن من حل الصعوبات وان تدرس تلك العلاقات في ضوء المشاكل المحيطة بالجالية الالبانية في مقاطعة كوسوفو التي تتكون من مليون ومائتي الف الباباني تشكل ٧٧٪ من سكان المقاطعة ويشكرون في الوقت نفسه ربع مجموع الالبانيين في أوروبا . وفي هجوم قوي في كلماته ضد يوغسلافيا حاجز الزعيم خوجه بأن هذا البلد (يوغسلافيا) أظهر منذ الحرب العالمية الثانية شوفينية وشعورا بالقومية الصربية تولد عنها انتقام دموي ضد الباباني كوسوفو في سنة ١٩٤٥م وفي سنة ١٩٦٨م وفي سنة ١٩٨٠م " واصر أنهم ما زالوا يعصفون بحلفائهم الالبانيين الذين سبق أن اتحدوا معهم ضد الاحتلال الالماني للبلقان خلال الحرب العالمية الثانية . وان صربيا استنت عهدا من الارهاب في كوسوفو عم الالبانيين ولم يكن موجها فقط للقضاء على أي حقوق

مشروعه ، بل ووجه للقضاء على القليل من المكاسب التي تحقق في ميادين التطور التعليمي والثقافي، والارهاب موجه أيضا ضد جوهر الشعور القومي بين الباني يوغسلافيا . وقال ان مظاهرات سنة ١٩٨١ م قد اعقبتها حملة تهدف الى اضفة الالبانين واسكات انتقاداتهم تمثل في التحقيق الذي اجرته الشرطة في حقيقة ولاء الباني كوسفو لحكومة الاتحاد اليوغسلافي ولحزبيها الشيوعي، وأدعى الزعيم خوجه ان المارشال تيتتو وكان زمن الحرب قائدا للمقاومة السرية اليوغسلافية الشيوعية ثم رئيسا للجمهورية منذ سنة ١٩٥٣ م. حتى وفاته سنة ١٩٨٠ م سلم بأن احتفاظ يوغسلافيا بمقاطعة كوسفو هو أمر فرضته فقط ظروف طارئة ووعد بأنها في النهاية ستعود الى البانيا . الواقع ان كوسفو كانت جزءا من يوغسلافيا منذ انهيار الامبراطورية العثمانية ، وان عواقب التطورات في يوغسلافيا وخاصة اخفاقيها في تحقيق وعدها بمنح كوسفو وضع الجمهورية الكامل هو نتيجة لسير التطورات في يوغسلافيا وبخاصة اخفاقيها في تحويل كوسفو الى جمهورية وعلى اي حال فقد ظهر ان هذا الالتزام هو مجرد خدعة .

واصر الزعيم خوجه على ان البانيا لم تتدخل قط في شؤون يوغسلافيا الداخلية لكن يوغسلافيا تأمرت للقيام بتصفية جسدية لقائد الحزب الشيوعي الالباني (١) وعلى ضم البانيا الى الاتحاد اليوغسلافي لتكون الجمهورية السابعة في ذلك الاتحاد ، قاصدة بهذا الاسلوب وعلى الطريقة الامبرialisية إلتهام البانيا حل مشاكل الشعب الالباني باجمعه مرة واحدة والى الأبد .
واصر أيضا على أنه ليس لألبانيا مطالب (أقليمية في أراضي يوغسلافيا) . غير أننا نؤيد مطالب متظاهري كوسفو سنة ١٩٨١ م بتحويل

(١) كما كان يسمى حزب العمال الالباني منذ انشائه حتى ١٩٤٨ م (المؤلف)

كوسفو الى جمهورية يوغسلافية متكاملة السلطات وان هذا التأييد سيستمر باعتبار ان للألبانيين اليوغسلافيين " حقا لاينكر" دون تردد ، إتهم خوجه الخط الاشتراكي اليوغسلافي باعتباره شكلا منحرفا سلب السلطة الحقيقة من الجماهير الشعبية واعاد الحكم البرجوازي بأن وضع الادارة الذاتية لللاقتصاد في أيدي البيروقراطية اليوغسلافية المنحرفة، وان الخط المشار اليه قد قلص الى الحد الأدنى كل من الادارة الاقتصادية الاشتراكية، والادارة السياسية هذا ان لم يقصر عليها تماماً لتنشط مقوله : **الخصوصية والمكانية(١)** " للمخططين والمنظرين السياسيين والأفذاذ المخترعين ولوهويي علماء الرياضة البحتة وعلماء الفيزياء على وجه الخصوص والمبرزين في جميع مناحي الحياة ، ومن هؤلاء كبار الساسة وكبار الكتاب وكبار الفنانين ونطاسي الاطباء ومن هم في وظائف خاصة يتذرع ان يشغلها غيرهم ولابد أن يتميز ذوق تلك المهارات عن غيرهم . وفي رأي الزعيم خوجه فإن الخروشويفين (٢) السوفيتين هم أشد المنحرفين (٣) المعاصرین خطرا ، ويرى أنهم " شكل من أشكال الدولة الرأسمالية " وذلك منذ أن وضعوا مراقبة الاقتصاديين يدي البيروقراطيين ومن يسمونهم بالخبراء الاقتصاديين الذين لايخضعون الاقتصاد للمبادئ السياسية ، بل يتبعون في محارب الاقتصاد المطلق الهدف الى النفع العام دون الخضوع للمؤتمرات السياسية الآنية . واصر في نفس الوقت على ان الاتحاد السوفيتي قد احتضن سياسة " ماسمى بمساعدات الدولية لبلدان العالم

(١) هذه المقوله تعني ان ذوي المهارات الخاصة الراقية الذين يشغلون منازل خاصة يتذرع ان يشغلها غيرهم يجب ان يتميزوا عن غيرهم مقابل تلك المهارات وهي مقوله قضت على وحدة العمل . (المؤلف)

(٢) نسبة الى خروشوف الزعيم الذي عرى ستالين وانزله من سمائه في حفرة تحت أسوار الكوملين ، وفضح قسوته ، وقد تولى رئاسة الوزارة السوفيتيه في السنتين (المؤلف)

(٣) المنحرفون هم من اعطوا مفاهيم الماركسية تختلف عن مفاهيم ماركس ولينين وستالين (المؤلف)

الثالث " على أمل استرضاء الراغبين في التوسع من " الاستعماريين السوفيتين الجدد نوي النوايا الاستغلالية " كما أدان خوجه المبادئ الشيوعية الصينية سواء المعلن منها في عهد ماوتسى توج زعيم الصين الذي بربزت في عهده نظرية الهيمنة على العالم، أوفي عهد من خلفه ممن ظهرت الرأسمالية في عهدهم في الصين لتأكد صحة الريب التي اعربت عنها البنية الأمينة على مبادئ ماركس ولينين ستالين .. وهي نفس السياسة التي تعتقها " الأحزاب الشيوعية الأوروبية(١)" التي يرى انها سلالة البورجوازية وثمرة للمنحرفين الذين حرفوا مبادئ ماركس السامية تحريفا يهدف الى التوفيق بين مبادئ الرأسمالية ومبادئ الاشتراكية على مابينها وبين الرأسمالية من تناقض طبيعي، وهو تناقض يعد خاصية من خواص الرأسمالية والشيوعية . وقد كان للشيوعية مفهوم نظري عند ماركس، فلما جاء لينين ليطبقها اصطدم بما فيها من بعد عن واقعية الحياة فأحتال على الجوهر مع محافظة على الشكل فجاء من بعده ستالين ففقر فوق تناقضاتها والزم الناس بأن يقولوا بقوله .

تقرير رئيس الوزراء

قدم السيد محمد شيخو رئيس مجلس الوزراء الى المؤتمر تقريرا عر مكتسبات البنية الاقتصادية خلال فترة السنوات ١٩٧٦ - ١٩٨٠ (الخطة الخمسية السادسة) فقال : إنه بفضل التلامم الصلب بين فئات الشعب الالباني الذي انقذ البلاد من عواقب انقطاع التعامل مع الصين . وكانت حتى ذلك الوقت تقيم مع البنية صلات تجارية تشمل نصف تجارة البنية الخارجية - فقطعتها الصين فجأة ردا على الانتقادات الحادة التي وردت في خطابات خوجه . وادعى شيخو ان النمو الاقتصادي قد وصل خلال الفترة

(١) اصطلاح يطلق على الأحزاب الشيوعية في الدول الأوروبية الرأسمالية (المؤلف) .

التي يتحدث عنها الى ٤٥٪ من مجموع الانتاج الاشتراكي ، كما ادعى ان مجموع النمو الصناعي قد بلغ ٦١٪ من مجموع الانتاج الصناعي ، اي ان مجموع الانتاج الصناعي البالغ ٤٠٪ من مجموع الانتاج العام تفوق على ما كان قد انتاج حتى سنة ١٩٧٥م . ويقول : ان انتاج الصناعات الكيماوية قد تضاعفت في نفس الفترة . أما السلع الاستهلاكية فإن انتاجها قد زاد خلال الخطة الخمسية السادسة بنسبة ١٩,٨٪ ، وزاد مجموع الانتاج الزراعي بنسبة ٢١,٤٪ مقابل مجموع الانتاج العام خلال الخطة الخمسية الخاصة ١٩٧١ - ١٩٧٥، أما التصدير فقد ارتفع بنسبة ٣٣٪ . وقال السيد شيخو متحدثا عن تطوير أهداف الخطة الخمسية السابعة مورداً الأرقام التي تشير الى الأهداف التي يجب تحقيقها في سنة ١٩٨٥م باعتبارها الزيادات المستهدفة بالنسبة إلى ما تم حتى سنة ١٩٨٠م . وذكر أن مجموع الانتاج للخطة الخمسية السابعة خلال الفترة المذكورة قد زاد زيادة تفوق النسب المئوية التي تزيد عن المكتسبات الحقيقة في فترة الخمسية السادسة واردف قائلاً : أنه خلال الخطة المستقبلية سيولى اهتماماً خاصاً استغلال منابع النفط الى الحد الأقصى ، كما ستعمل البانيا على تكريره بحيث لاتحل سنة ١٩٨٥، حتى يرتفع معدل انتاجه الى ما يربو عن ٥٠٪ أو ٦٠٪ عن مجموع الانتاج المحقق حتى سنة ١٩٨٠ . واكد ان إنتاج خام الكروم سيرتفع بمعدل ٢٩٪ . أما ارتفاع إنتاج النحاس فيبلغ ٥٣٪ ، وسيرتفع إنتاج معدن النيكل لهذا العام ٥٠٪، وخطط لارتفاع إنتاج الفحم الحجري بنسبة ٤٨٪ ، بينما سيرتفع إنتاج الكهرباء بمعدل ١٦٪ ويتوقع أن خام الكروم المنتج كله بالإضافة الى ٧٨٪ من خام النحاس المنتج و٤٣٪ من خام النيكل المنتج ستتم تنقيتها واعدادها سبايك صافية قابلة للتصنيع داخل البانيا نفسها . وفي خطابه في أول نوفمير احاط السيد شيخو المؤتمر علمًا بأنه ستزداد الاستثمارات أثناء تنفيذ الخطة

الخمسية السابعة بنسبة تتراوح بين ٢٢٪ و ٢٤٪ فوق معدلها خلال الخطة الخمسية السادسة وستهياً الفرصة لزيادة عدد طلبة الدراسات العليا. بنسبة ٤٥٪ ، أما كلية الهندسة الصناعية فستخرج ما بين ٤٣٪ و ٤٥٪ زيادة عنّ ثم اعدادهم وتخرّجهم سنة ١٩٨٠، أما الصناعات الكيماوية فستترفع بنسبة تتراوح بين ٦٣٪ و ٦٥٪ . أما المحاصيل المكثفة فستفل ما يصل إلى ٩٪ من مجموع المحاصيل الزراعية .

مصرع محمد شيخو رئيس مجلس الوزراء

" من أغان ظالما سلط عليه " لم تتنطبق هذه المقوله على أحد مثل انطباقيها على أنور خوجه وأعوانه ، وبخاصة رئيس وزرائه محمد شيخو رفيق الشوار منذ التحاقهما معا بأول خلية شيوعية في تيرانا سنة ١٩٣٨ م . ولم يفترقا قط منذ أولة خوجه من المهر الى البانيا حتى يوم مصرعه عندما أعلن خوجه نبأ انتحار شيخو يوم ١٨/١٢/١٩٨١ ، في بلاغ رسمي جاء فيه :

" ان شيخو قد اقدم على الانتحار (١)، الذي لا يقدم عليه الا الجبناء ، اذ ان الانتحار لا يليق بالشيوعي الحر ، وانتحار شيخو دليل على اجرامه في حق ألباانيا الغالية ، وبالتالي فليس للشعب الالباني الا ان يحرم شيخو من الاحتفال الوطني بdeathه ". كما أصدر خوجه بيانا طويلا خلاصته " ان على الأمة الالبانية ان تمحو اسمه من ذاكرتها" . وعقب هذا البيان مباشرة تم اعتقال زوجته وأولادهما وجميع اقربائه ومن بينهم ابن أخيه الذي كان يشغل منصب وزير الدفاع في حكومة شيخو ، وأشيع عنه أيضا أنه انتحر خجلًا من فعلة عمه" . وممن اعدموا بعد شيخو صهره وهو وزير أيضا في نفس الحكومة وعدد من أعوانه ، وليس غريبا ان يقدم خوجه على مجازر

(١) من خطابه الذي أعلن فيه حرمان شيخو من جنازة وطنية (المؤلف) :

بشرية من هذا النوع فقد سبق له ان قتل بيده الوزيرة (ليري جانما) عضو المكتب السياسي - وكانت حبلى في الشهر السابع - لاتهامها بإخبار خروتشوف بأمر سعي خوجه سرا لأنشاء علاقات مع الصين الشعبية ، كما اعدم وزير الدفاع السابق (باكير بالوكو) الشريك في انشاء الحزب الشيوعي منذ الساعة الأولى ، وهو في نفس الوقت قائد الجيش الذي حمى خوجه وحركته من مؤامرات الأميركيين والإنجليز والروس . كما أنه أمر بقتل ثلاثة عشر عضوا من المكتب السياسي ، والوحيد من أولئك الأعضاء الذي نجا من القتل أو الاغتيال هو (رامز عالية) رئيس الجمهورية الحالي الذي خلف أنور خوجه ، في مناصبه كلها وعلى رأسها الأمانة الأولى لحزب العمال و في رئاسة الجمهورية وذلك بعد أن انتخبته اللجنة المركزية للحزب أمينا عاما للحزب مغلبة له على منافسه " عادل شرشاني " فيلسوف الحزب ومنظره ومرشحه لخلافة أنور خوجه .

وفي ديسمبر ١٩٨٢ ، نشر أنور خوجه كتابا اسماه " التيتويون" طافح بالتهم المثلثة على محمد شيخو واصفا اياه بالعمالة للولايات المتحدة ولبريطانيا ولألمانيا ولإيطاليا وللسوفيت وليوغسلافيا ، وانه مارس التجسس لكل هؤلاء منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية ، وليكون اداة نسف لسياسات خوجه وانه اكتشف - عندما تامر مع ابن أخيه وزير الداخلية على تنفيذ مخطط اعده التيتويون المتآلون بتحريض من الامبراليين لتصفية أنور خوجه بالسم - فلما افتقض المخطط انتحر محمد شيخو (١) . وما من

(١) نشرت جريدة الحزب " زيني إي بوبوليت " يوم ٢٧/٢/١٩٨٥ ، ان شيخو رئيس الوزراء السابق قد " صفى " عقب اجتماع لقادة الحزب غير القابل للانفصال عن الشعب " وقد ترجم الاعلام غير اللبناني كلمة " صفى " بكلمة " أعدم " لكن السفير اللبناني بالتمساسا صرخ بأن كلمة " صفى " انما استعملت بمعناها السياسي [لا البدني] [المؤلف] .

شخصية عامة من رفاق أنور خوجه ، سواء الوزراء أم أعضاء اللجنة المركزية للحزب أم النواب أو المتقلدين لمسؤوليات تجعلهم معروفيين عند العامة اختفت عن المسرح السياسي اختفاء غير طبيعي الاوكتاب "التيتوبيين" يسيء الى تاريخ كل منهم والى ماضيه وبخاصة محمد شيخو والستة " جاغا" وزيرة الشؤون الاجتماعية اذ نالهما النصيب الأولي من التشهير والوصم . وعقب صدور هذا الكتاب شرعت محاكم أنور خوجه في سلسلة من المحاكمات السرية استغرقت ٢١ شهرا تبعها حركة تطهير في شكل تصفيية جسدية طالت كلاً من السيد "فيجو شيخو" ابن أخي محمد شيخو وزير داخلية سابق والسيد "قدري حسيبي (١)" وزير دفاع سابق والسيد "زيجتشتي" وزير صحة سابق والسيد "اللامبي" مدير الأمن العام في مقاطعة ملوري ثم رئيس الأركان العامة .

وحمل الرأي العام اليوغسلافي على أنور خوجه ، ثم التهبت الحملة بعد الاعلان عن انتحار محمد شيخو رئيس مجلس الوزراء يوم ١٨/١٢/١٩٨١ . وقد كان اقرب أعون خوجه لمدة تناهز الثلاثين سنة ، كما اشاعت الصحف اليوغسلافية ، ان شقاق حدث بين خوجه وشيخو أدى إلى ارغام شيخو على الانتحار ، كما أنها لن تستبعد قتله . وتدور قصة يتشار بها الالبانيون في المهرج خلاصتها : ان شيخو دفع رأسه ثمنا للسؤال الذي كان يدور في أعماق سريرة كل ألباني ، ولا يجرؤ أحد على طرحه . والسؤال - بالطبع - هو : ماذا بعد أنور خوجه ؟ ومتى يحين حينه ؟ . والقصة كما رواها أحد موظفي شيخو المقربين ، تتلخص فيما يلي :

"تواترت نوبات مرض السكر على خوجه طوال سنة ١٩٨١ ، وذهب خلال احدى تلك النوبات في غيبوبة عميقه استمرت أكثر من ساعة،

٤

صاحبها ارتعاش وعرق بارد وشحوب شديد وتبلد في الحس وتخشب في الجفون حتى كفت عن الرمش ، ويظهر أنه أفاق من غيبوته فجأة دون أن يشعر به أحد ، وخلال همس الأطباء مع من حوله أبدى شيخو توجعاً وفاه بعبارة مؤداها : " هل حان لألبانيا ان تودع زعيمها " ؟ فأسرها " الدكتاتور في نفسه ، ولم يك بيل من مرضه حتى خطط لقتل هذا الوجه الذي تجرأ على تصور ان ألبانيا يمكن ان تفقد زعيمها مانحها الحياة ، فدبّر أمره بحيث يستفز محمد شيخو في احدى جلسات مجلس الوزراء . ويظهر ان شيخو قد استجاب للاستفزاز فهم قائماً ليخرج محتاجاً ، وهذا ما كان يتحينه خوجه ، فما ان استدار خارجاً حتى أطلق خوجه رصاص مسدسه على قفاه ، فسقط شيخو يتقطط في دمه ، ولعله مات دون أن يدرك من هو قاتله (١) ، وكانت وفاته يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩٨١ (٢) .

(١) ذكرت الصحافة الأجنبية ان انور خوجه ومحمد شيخو كانوا صديقين حميمين وشريكين في النشاط السياسي منذ سنة ١٩٤٥ .

Keesing Volume 39 P. 7,9,1,3. (٢)

الفصل السادس

"الاعلام العالمي يعتم على اخبار ألبانيا وأخبار زعيمها أنور خوجة"

بالرغم من كل هذه الفضائح التي مارسها طاغية البانيا الذي اشتهر بالقيصر الأحمر لكثره مالطخ يديه بدماء البريء وغير البريء ، فقد ندر ان تشير الصحف في العالم الشيوعي ، او في العالم الغربي الى الفظائع التي يقترفها أنور خوجه وذلك بسبب التعتيم على اخباره في وسائل الاعلام لكلا الفريقين الشيوعي والرأسمالي حرمانا له من الاشهار الاعلامي الذي اثبت التجارب ان خوجه في سبيل الحصول على لقب (صانع اخبار عالمية) هو على استعداد تام للأقدام على أبغض الجرائم مادام هذا العمل يجعل اسمه حديث الصحف والإذاعات ، أما عملية التعتيم هذه فقد كانت وفق قرار أكد في مؤتمر سري عقده صحافيون من مختلف أنحاء العالم الغربي في قرية مورج قرب لوزان في مارس سنة ١٩٥٨ ولتفطية الهدف الأساسي لحرمان خوجه صيغ القرار في شكل " حرمان الدكتاتوريين في الغرب والشرق من ثمار الاعلام(١) بتجاهل ما يقدمون عليه من فظائع مهما كانت مبررات ذلك الاصدام ، لأن نشر أخبارهم سيكون مناسبة لأن تنشر الصحف وشاشات الإذاعة المرئية صورهم وأخبارهم ويكونون محور حديث في محطات الإذاعة المسموعة والمرئية ". ولم يكشف قط أن مالك مجموعة الصحف الالمانية اشبرينجر هو الذي دفع تكاليف ذلك المؤتمر ، وقد عقد مؤتمر شبيه له على

(١) Keesing Volume XXX P : 31972 .

نفقة نفس الشخص في كينيا ، اتخد قرارات مؤيدة لقرارات مؤتمر مورج وذلك عندما كثرت أحاديث الجرائد الغربية والشرقية عن فظائع زعيم دولة مجاورة ل肯يا. ونشرت مجلة شار في زاهي "الساخنة التي تصدر من هامبرج ان" "اشبرينجر" دفع تكاليف ذلك المؤتمر نيابة عن صديقه اليهودي "ماردوخ" مالك مجموعة الصحف الكبيرة في بريطانيا وأمريكا واستراليا التي تناصر إسرائيل في جميع مواقفها .

والقليل الذي نشر عن البانيا وعن خوجه كان معظمـه قد كتبـه صحافـيون من العالم الثالث أشهـرـهم صحافـيون اترـاك ، وقرأـتـ لـصـحـافـيـ هـنـدـيـ شـيوـعـيـ درـاسـةـ عـمـيقـةـ عنـ إـعـدـادـ اـجيـالـ منـ شـبـابـ ماـبـعـدـ "ـعـصـرـ الـمنـحرـفـينـ"ـ وزـعـيمـهـ خـروـشـوفـ ليـكونـواـ استـالـىـنـيـنـ أوـفـيـاءـ،ـ وـكـانـ مـحتـوىـ الـدـرـاسـةـ وـفـيـ جـداـ لـعـنـوانـهاـ ،ـ وـقـرـأـتـ اـسـتـطـلـاعـاـ فيـ مـجـلـةـ الـجـمـعـيـةـ الـوـطـنـيـةـ لـلـجـفـرـافـيـاـ التـيـ تـصـدرـ فيـ واـشـنـطـنـ ،ـ كـتـبـهـ صـحـفـيـ تـرـكـيـ اـسـمـهـ مـحـمـدـ بـيـرـ (ـ1ـ)ـ ،ـ وـقـدـ نـشـرـ الـاسـتـطـلـاعـ فيـ عـدـدـ كـبـيرـ مـنـ الصـفـحـ وـالـمـجـلـاتـ الـعـالـمـيـةـ .ـ وـاقـتـبـسـتـ مـنـ نـشـرـةـ اـيـطـالـيـةـ تـصـدـرـهاـ الجـبـهـ الـوـطـنـيـةـ لـتـحـرـيرـ الـبـانـيـاـ نـصـ المـقـابـلـةـ التـيـ اـجـراـهـاـ صـحـافـيـ تـرـكـيـ معـ ذـيـرـ خـارـجـيـ الـبـانـيـاـ فـيـ يـاـنـايـرـ ١٩٨٥ـ مـ أـيـ قـبـلـ وـفـاةـ خـوـجـهـ بـتـسـعـةـ وـتـسـعـيـنـ يـوـمـاـ ،ـ دـوـنـ تـعـلـيقـ الجـبـهـ عـلـىـ مـاـ دـارـ فـيـ المـقـابـلـةـ التـيـ نـصـهاـ :

س : هل تفكرون في إعادة العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن قطعتم علاقاتكم مع كل من روسيا والصين ؟ .

ج : عقب قطعنا لعلاقاتنا مع الصين حاول الأميركيون الاتصال بـنا لكنـناـ صـدـدـنـاـهـمـ لأنـناـ لـأـنـرـغـبـ مـطـلـقاـ فيـ قـيـامـ عـلـاقـةـ بـيـنـنـاـ وـبـيـنـهـمـ .

س : أن الرئيس أنور خوجه هو رمز البانيا اليوم ، وقد ناهز السابعة والسبعين فهل سيحدث في البانيا بعد غيابه مثـماـ حدـثـ فيـ الـصـينـ الشـعـبـيـةـ

بعد وفاة ماوتسى تونج ، وهل من المتوقع ان تترافق قليلاً حدة الالتزام
بالمبادئ الاستالينية ؟

ج : انك تقارننا بالبلاد المحكومة من قبل الحكام الجاحدين للشيوعية
الحقيقية الذين نصّهم بأنهم " المنحرفون " . كلا ياسيدى فنحن شعب
وحزب متلاحمًا أشد التلاحم ، وتعاليم أنور خوجه تشير لنا نحو الاتجاه
الصحيح ولن نتحول عنها قط ، وأضاف الم تسّمع قول الزعيم خوجه في
الرد على من لامه على قطع علاقاته مع الصين بعد أن قطّعها مع الروس .
" إنّ البانيا بقيت القلعة الوحيدة اللينينية الماركسية الحقيقة في العالم "

وصرح وزير الدفاع لنفس الصافي بما يلي :

نحن نعتمد كامل الاعتماد على قوانا الذاتية بدلاً من الاعتماد على العون
الخارجي وعلى القروض الأجنبية ، إننا سنحطم الحصار الاقتصادي
وسنكسر الطوق الذي تضرره علينا الامبرالية والمصرفيون . ولاغر في أن
تكون هذه هي سياسة البانيا التي قررها أنور خوجه الذي لدغته السياسة
في كل حنية من حنایا عقله حتى انهارت في نفسه القيم الإنسانية كلها مثل
ما انهارت فيه القيم الدينية كلها من قبل ، ولم يبق عنده أي وزن لأية قيمة
دينية أو اخلاقية تحول بينه وبين الانقلاب على اصدقائه ، أو دون خيانة
عهده لهم أو دون الاقدام على أي خاطر مفاجئ مهما الحق من ضرر بالبلاد
والعباد ، ولعل الجو السياسي الذي نشأ فيه، أثر في تكوين هذه النزعة في
عقله الباطن منذ دراسته للثورة الشيوعية في روسيا ، حيث وجد أن " كيرينسكي (١) " وأعوانه لينين وتروتسكي قد اطاحوا بالقيصر وحكومته ولم
يلبث لينين ان اطاح بزميل الكفاح كيرينسكي . كما لم يلبث ان طرد زميل
الكفاح الآخر تروتسكي ولو أمد الله في عمر لينين لأطاح به ستالين ، ونجد
خروتشوف يطيح أدبياً بستالين بعد موته بمدة قصيرة بعد أن عجز عن

(١) أتاترك وخلفاؤه ص ٢٠٦ .

الاطاحة به في حياته ماديا .

جوانب مشرقه في حياة أنور خوجة

يرى الفلاسفة أنه لا وجود للشر المطلق، كما أنه لا وجود للخير المطلق ، وهذا ينطبق على أنور خوجه إذ مامن إنسان كله خير وأخر كله شر، وليس من الانصاف في شيء اغفال الجوانب الخيرة التي رافقت اعمال هذا الرجل خلال الأربعين سنة التي تولى فيها المنحرفون السلطة في الباينيا . فالشعب الالباني سيطر عليه الجهل قرونا ، وحكمه مايصاحب الجهل من عادات سيئة ، فقبل عهد خوجه كان يحكم الباينيا قانون الثأر وهو قانون يوجب على أقرب رجل لقتيل ما أُن يثار له ، ولو أحجم على هذا الثأر لعاش محقرًا في مجتمعه حتى يضطر إلى الهجرة بعيداً عنه ، وبالتالي كان مسلسل القتل للثأر ولغيره امراً عاديًّا لا يلفت الأنظار ولا يثير الاشمئاز ، وكان لقانون ليك (١) غير المكتوب سيطرة كاملة على الجزئيات اليومية لحياة الفرد الالباني ، وهو مجموعة قواعد اجتماعية عرفية تنسب إلى حكيم البايني عاش منذ قرون ، شديدة الشبه بالوصايا العشر عند اليهود ، غير ان اليهود يخالفون الوصايا سراً علينا ، أما الالباني فلم يكن يجرؤ على مخالفة قانون ليك حتى ألغاه أنور خوجه في خطاب أمام الجبهة الوطنية الديمقراطية ، وهو الخطاب الذي عاب فيه " تمسك الحمقى والمغفلين والمعصبين للديانات والعقائد والتقاليد الرجعية، وهي أمرور عفى عليها كلها الزمن واجتازتها الأحداث قانون ليك ". وفي الحقيقة فإن قانون ليك غير المكتوب لم يكن الالباني ليجرؤ على خرق حرمه لأنه يحث على مكارم الأخلاق ومنها ان الغريب آمن على نفسه وما له وعرضه حتى يغادر البلاد ، كذلك للأئشى حرمة وللأطفال والعجزة نفس الحرمة والتجليل ، فلا يقتل مرافق أي منهم مهما كانت

(١) Tomorrow You Die P 10 .

الظروف ، بل وله حق الضيافة والاكرام اذا رمته القدر على بيت من يطالبه بثأر ، دون ان يعرف . وبمع ذلك فهو قانون صارم فيه القصاص القاضي ان " العين بالعين والسن بالسن " .

ولنساء الاعداء حرمة لايعتدى عليهن ولايؤسرن ولايقتلن ولايقتل رجل يسير برفقتهن ولا يفرق بينهن وبين أولادهن غير البالغين ، ولايقتل رجل يسير برفقة امرأة مجهرة ، احتراماً لتلك المرأة ، أو برفقة غريب ويحيىز قانون ليك المهاينة بين الخصوم لأجل معلوم قائم على مجرد وعد ، إذ ان كلمة اللبناني هي وعد له قوة القانون لايخفرها قائلها مهما كان السبب ، ولابد أن يقسم المتهادونان قسم " البيسة " . وهو قسم لم ينتهكه أي اللبناني في التاريخ .

ومن حسناته التي تذكر فتشكر ، أنه أوجد أمناً عاماً بين أفراد الشعب ، فقل الاعتداء والشغب وانعدم التأمر بالقضاء على أسبابه وكان التأمر أمراً شديداً الشيوع ، استجابة لما قضى به قانو " ليك " غير المكتوب ، ولم يعد يخجل اللبناني من خطبة امرأة أو مقابلة ابنته وبناته قبل ان يثار لقتيل من افراد عائلته ، بل صار الرجل يؤاكل أمه قبل أن يثار لأبيه القتيل ، وهو أمر مستحبيل الحدوث قبل أيام خوجه . وكان التأثر اخطر أسباب تأخر البلاد في المجال الزراعي وخاصة ، وفي مجالات الاقتصاد بعامة ، وازدهار الزراعة يقتضي أمناً شاملأً والأخذ بالتأثير من أكبر أسباب زعزعة ذلك الأمن .

ومن حسناته ذات الأثر العميق في رقى الشعب اللبناني . نشره للتعليم الالزامي بين من هم في سن التعليم حتى انعدمت الأممية في هذه الشريحة من المجتمع ، ويقدم نظامه تعليماً معقولاً لكل من يطلبها من بقية افراد الشعب ، ولاجرم ان يفعل هذا ، فأئور خوجه مدرس ، وعلينا ان لاننسى ان الشعب اللبناني عاش طول تاريخه محروماً من نظام تعليمي شامل ولايلتفت الى مكان يقدم في المدن فيما بين الحربين العالميتين من بعض التعليم من

يطلبه ، فقد كان قاصرا على النخبة، ولاحظ فيه لعامة الشعب .

وفي رأي الكثرين أن أكبر حسنات أنور خوجة هي حرصه الشديد باللغ حد الهوس على استقلال البانيا ، ولم يبال في سبيل الاحتفاظ بذلك الاستقلال بالتضحيه بالمنافع المادية ، وبالدعم السياسي والعسكري ، ان كانت تلك المنافع وذلك الدعم قد يعرضان استقلال البانيا لشائبة من التبعية . ومن حسناته النادرة بين امثاله تكشفه الشديد في حياته الخاصة ول العامة ، وامساكه عن محاباة اسرته وذويه ، وانصاره على حساب الخزانة العامة اذ جعل من نفسه قدوة يقتدي بها في الاقتصار على الضروري من النفقات ، فقد اشتهر بشدة التقتير على نفسه قبل غيره ، وكان دقيق المحاسبة لنفسه ولأعوانه على الدائق والدرهم ولا يوجد بمال إلا في بابين اثنين : مصالح مخابراته المتعددة، وانشاء التحصينات العسكرية وتزويدها بوسائل الدفاع التي لا يشبع من تكديسها . أما قمة حسناته في نظري فهي قضاؤه على الانحلال الاخلاقي الذي برز بين الشباب اللبناني زمن الاحتلال الايطالي وطيلة فترة الحرب العالمية الثانية نتج عنه كثرة الأمهات غير المتزوجات . كما ظهرت بوادر ميوعة بين عدد من شباب المدن . ولكن خوجة - رغم إلحاده - حارب هذه الظواهر المشينة حتى قضى عليها أو اضطرها للأختفاء . كما أنه تعقب المترددين محترفي القمار وتجار الرقيق الأبيض فشردهم وارعبهم حتى اضمحلوا ولقد أحسن الى البانيا - على غير قصد - حينما لم يسمح مطلقا لأرباع المتعلمين وانصافهم بأن يتولوا المناصب العليا في الحزب وفي الحكومة ، فلم يتول أي الباني منصب الوزارة اذا لم يكن مؤهلا تأهيلا جامعيا ، وبخاصة الوزارات الفنية البحتة كالتعليم والدفاع والصحة والمالية والخطيط ، وبالرغم من اصراره على تركيز جميع السلطات في يده هو الا أنه أحاط نفسه ببطانة كبيرة يتمتع أفرادها بقدر ملحوظ من النقاء والخبرة والأمانة العلمية الفائقة ، وكان خوجه لا يتزدد في

الاستفادة من تلك الخبرات وما عرف عنه أنه اتخذ قراراً في أي أمر فني لم يستشر بشأنه من يثق في قدرته على تقديم المشورة العلمية المخلصة مع أنه كان كأي عملاق آخر في شعوب الدول النامية يتمتع بسلطة مطلقة في اتخاذ أي قرار مهما كان نوعه إلا أن خوجه كان يحب أن يصنع شيئاً لأنانيا ، ومن هنا كان حرصه الشديد على أن يستمع إلى أهل الخبرة، ويقدمهم على أهل الولاء معتمداً على قدرته على مراقبة كل من اعوانه مراقبة دقيقة ولحظة إذا مجاوز حده، أو تطلع إلى سلطة تجاوز اختصاص وظيفته أو سعى إلى إنشاء علاقات ود وصداقة مع أصحاب النفوذ الذين لا يعيش في محيطهم الاجتماعي والعلمي ، وكذلك إذا اكتفى تربيته على افراد أو مجموعات هم موضوع شكوك شرطته السرية . لأن أنور خوجه يرى أنه من الحزن الأخذ بالظنة .

الرئيس رامز عليه

ولد لأسرة مسلمة فقيرة مقيمة بمدينة اسكودرا بشمال الباينيا في ١٨ أكتوبر ١٩٢٥ وبالرغم مما قيل عن انضمامه إلى الشباب الفاشيستي أيام الاحتلال الإيطالي فقد إلتحق بالحزب الشيوعي سنة ١٩٤٣ م وشارك في نشاط المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الإيطالي الألماني ، وبعد تحرير البلاد من سيطرة دولتي المحور ، عين مفوضاً في القوات المسلحة ثم انتخب عضواً في اللجنة المركزية للحزب سنة ١٩٤٨ م كما شغل منصب وزير التعليم والثقافة سنة ١٩٥٥ م ورشح لعضوية المكتب السياسي " البوليتبرو " للحزب ثم صار عضواً كامل العضوية في سنة ١٩٦١ م . ثم انتخبه المؤتمر السابع للحزب رئيساً للجمهورية سنة ١٩٨٥ م وقد سجل المراقبون تتمتعه بتأييد متدام من قبل الفئة الوسطى من مستخدمي الدولة عسكريين ومدنيين

وبخاصة أثناء احتفال أنور خوجة عن الاجتماعات العامة لعدة أشهر منذ ربيع ١٩٨٤ م حتى نوفمبر من نفس السنة، وخلال تلك الفترة ألقى عدة خطب باللغة الأهمية وبخاصة الخطاب الذي ألقاه بحضور أنور خوجة بعد ابلاغه مباشرةً بمناسبة احتفال الـلـبـانـي بمـرـور أربعـين سـنـة على تحررها من الاحتلال الـلـمـانـي، وهي احتفالات عـمـت الـلـبـانـيـا كلـها أيام ٢٧، ٢٨، ٢٩ نـوـفـمـبر سـنـة ١٩٨٤ مـ وـاطـلـقـ عـلـيـهاـ بـعـضـ المـؤـرـخـينـ إـحـتـفـالـاتـ "ـوـدـاعـ خـوـجـهـ"ـ إـذـ هيـ آخرـ اـحـتـفـالـاتـ وـطـنـيـةـ يـحـضـرـهاـ،ـ كـمـ تـمـيـزـ بـأـنـهـ الـاحـتـفـالـاتـ الـقـومـيـةـ الـوـحـيدـةـ التـيـ حـضـرـهاـ خـوـجـهـ وـلـمـ يـلـقـ فـيـهاـ خـطـابـاـ وـلـكـنـ صـدـرـ بـلـاغـ يـحدـدـ السـيـاسـةـ الرـسـمـيـةـ تـحـتـ قـيـادـةـ خـوـجـهـ مـوـجـهـ إـلـىـ الشـعـبـ الـلـبـانـيـ أـذـيـعـ مـنـ الـإـذـاعـةـ الـمـسـمـوـةـ بـتـيرـانـاـ ،ـ وـلـسـطـوـعـ نـجـمـ رـامـزـ عـالـيـهـ فـيـ تـلـكـ الـاحـتـفـالـاتـ أـعـطـىـ اـنـطـبـاعـاـ لـلـنـاسـ بـأـنـهـ هـوـ الـخـلـيـفـةـ الـمـنـتـظـرـ وـقـدـ هـاجـمـ رـامـزـ عـالـيـهـ "ـأـولـئـكـ الـذـيـنـ حـاـوـلـواـ نـسـفـ نـظـامـنـاـ الـاشـتـراـكـيـ لـيـعـيـدـواـ بـنـاءـ الرـأـسـمـالـيـةـ عـلـىـ اـنـقـاضـهـ .ـ بـمـاـ فـيـهـ مـحـمـدـ شـيـخـوـ،ـ كـمـ اـشـادـ بـجـهـودـ الـلـبـانـيـاـ فـيـ بـنـاءـ الـاشـتـراـكـيـ رـغـمـ الـظـرـوفـ الـصـعـبةـ التـيـ خـلـقـهـ الـتـطـوـيقـ وـالـحـصـارـ الـذـيـنـ يـضـربـهـ الـإـمـبـرـيـالـيـوـنـ،ـ فـضـلـاـ عـنـ مـحاـوـلـاتـهـ الـشـرـسـةـ الـمـتـكـرـرـةـ لـلـقـضـاءـ عـلـىـ أـعـدـائـهـ عـنـ طـرـيقـ التـدـخـلـ الـفـاضـحـ فـيـ شـؤـونـهـ بـمـحـاـصـرـتـهـ وـتـسـلـيـطـ الضـغـوطـ عـلـيـهـ بـالـكـيدـ وـالـدـسـ"ـ اـنـتـخـبـتـ اللـجـنةـ رـامـزـ عـالـيـهـ أـمـيـنـاـ أـوـلـ لـهـ يـوـمـ ١٩٨٥/٤/١٢ـ وـبـشـفـلـهـ لـهـذـاـ الـمـنـصـبـ صـارـ مـنـ حـقـهـ أـنـ يـرـثـ جـمـيـعـ الـمـنـاصـبـ الـتـيـ كـانـ يـشـغـلـهـ الـأـمـيـنـ الـأـوـلـ السـابـقـ أـنـورـ خـوـجـهـ .ـ وـمـنـ حـقـهـ أـيـضاـ أـنـ يـحـفـظـ بـمـنـصبـ رـئـاسـةـ مـجـلـسـ الـوـزـرـاءـ إـذـ شـاءـ .ـ

باـشـرـ وـاجـبـاتـهـ فـورـ إـنـتـخـابـهـ ،ـ وـكـانـ أـوـلـ قـرـاراتـ رـامـزـ هوـ الـاعـتـذـارـ عـنـ اـسـتـقـبـالـ أـيـ وـفـودـ سـوـاءـ تـلـكـ الـمـوـفـدـةـ مـنـ دـوـلـ الـكـتـلـةـ الـفـرـيـقـيـةـ أـوـ مـنـ دـوـلـ الـكـتـلـةـ الـشـرـقـيـةـ أـوـ مـنـ أـيـ جـهـةـ كـانـتـ بـقـصـدـ الـمـشـارـكـةـ فـيـ تـشـجـيعـ جـنـازـهـ الرـئـيـسـ السـابـقـ ،ـ كـمـ رـدـ بـرـقـيـةـ تـعـزـيـةـ بـعـثـ بـهـ الـاتـحـادـ السـوـفـيـيـتـيـ ،ـ وـلـمـ يـسـمـحـ لـغـيـرـ

الالبانيين بالمشاركة في تشيع الجنازة، وإن سمح لبعض السفراء المعتمدين في تيرانا ممن تربطهم بأنور خوجه رابطة صداقة خاصة ، وكأنوا قلة .

ومرت الأسابيع الأولى على الرئيس الجديد - الباسم أبداً - وجميع المعنيين بشؤون البابليا يتربّبون رؤية ملامح سياسة الرئيس الجديد، وأصاخوا السمع إلى أية نامة أو نباء تصدر عن اذاعة تيرانا ، وطال الانتظار ، ولم يغب عن أحد أن ماتراكم خلال أربعين سنة لن يزلزل في أربعين يوماً أو أربعين أسبوعاً ، غير إنه سجلت علامات انفراج لاتخذه عين المتأمل البصير ، منها :

١ - لم يقتل أو يعتقل أي البابلي لسبب سياسي منذ تولي الرئيس عاليه السلطة .

٢ - تم الإفراج عن بعض المعتقلين دون محاكمة وعن جميع المساجين الذين أمضوا ثلثي الحكم الصادر عليهم .

٣ - سمح لبعض الالبانيين بالسفر إلى الخارج للعلاج أو لرؤيه أقاربهم المقيمين اقامة طبيعية في الدول المجاورة .

٤ - استقبلت الحكومة الالبانية وفداً فرنسيأً كبيراً يقوده أحد وكلاء الخارجية ويضم ٢٨ صحفي كانوا ينتظرون الحصول على التأشيرة الالبانية منذ ثمانى سنوات .

٥ - استقبلت تيرانا وفداً جزائرياً كبيراً برئاسة الشريف مساعديه مسؤول الحزب عن الاتصالات الخارجية وصاحب النفوذ الملحوظ في حكومة الرئيس الشاذلي بن جديد .

٦ - تردد بين الالبانيين قصص حول رفع تمثال لستالين من أحد الميادين بحجة حاجة التمثال للترميم العاجل ، تؤكد القصص إنه لن يعود إلى مكانه ، ويقطع النظر بما في هذه القصص من صدق فإنها وأمثالها ما كانت لتطفو باذهان الالبانيين في عهد خوجه .

٧ - وأخر ماسجله المراقبون هو الالتماس الذي رفعه سكان المناطق الجبلية المتضررة من الجفاف " طلباً للمعونة ودفعاً للجوع الناتج عن غياب المطر " وكانت الاستجابة الفورية من الرئيس عاليه لتقديم المساعدات المطلوبة موضع دهشة الشعب كله ، إذ لو رفع مثل هذا الالتماس في عهد خوجه لقابله الشرطة السياسية " السيقوريمي " بترحيل الموقعين على الالتماس إلى معسكرات العمل الاجباري أو إلى المعتقلات التي لا عودة منها ، حدث هذا الأمر المدهش غير المعتمد فشبّع الجياع واكتسّى العراة من المعونة التي تجرأوا على طلبها على الرغم من نمط الحكم الاستاليوني الذي مازال يسيطر على جميع مناحي الحياة ، وجعل الالبانيين في دهشة فهم ما يزالون لا يستطيعون أن يصدقوا أن القبضة الفولاذية التي كانت تتسبّب باعناقهم قد تراخت على الرغم من تأكيد وزير الخارجية ان شيئاً لن يتغير في الانيا حتى بعد غياب خوجه عن المسرح السياسي .

٨ - لأول مرة في تاريخ الانيا الشيوعية يسمح لفرق الرياضية ان تشارك في دورة دولية فقد اذن الرئيس رامز عالية بالسماح بالمشاركة في الدورة العاشرة لألعاب البحر الأبيض المتوسط وبخاصة لأن الدورة اقيمت في مدينة ذات شهرة هي اللاذقية في بلد اسلامي هو سوريا ، ومع ان هذه المشاركة هي أول احتكاك لها بالفرق الأجنبية في غير قطاع كرة القدم فإنها حصلت على أربع ميداليات ذهبية وميداليتين فضيتين وست ميداليات برونزية ويتوقع ان تتواصل مشاركتها في دورات دولية قادمة .

٩ - المؤتمر التاسع للحزب . وهو أول مؤتمر يعقده الحزب في عهد الرئيسي عاليه ، الأول منذ وفاة خوجه . اقر الخطة الخمسية الطموحة التي تهدف الى تحقيق زيادة في الدخل القومي (وهو الناتج المحلي الاجمالي بإستثناء الخدمات) تبلغ مابين ٣٥٪ و ٣٧٪ .

١٠ - لمس المراقبون زيادة توجّه الرئيس عاليه نحو تحسين مستوى حياة

الفرد الاقتصادية بالاندفاع نحو التنمية الاقتصادية وابرز علامات هذا التوجه هو اقرار الخطة الخمسية الطموح بإجماع أعضاء المؤتمر التاسع .

١١ - طالب الرئيس عاليه أعضاء الدوائر العليا في حزب العمل الحاكم بتهيئة اذهان أعضاء الحزب وعددهم ١٢٠ ألف عضو لقبول فكرة إلغاء التعديل الذي ادخله خوجه على الدستور وهو تعديل يحرم على البانيا قبول أي عن خارجي سواء أكان هبات أم قروض .

١٢ - اعاد الرئيس عاليه ربط العلاقات الدبلوماسية مع المانيا الغربية تمهيداً لزيادة التبادل التجاري بين البلدين ، مقابل عدول البانيا عن مطالبتها بالتعويضات عن خسائرها جراء احتلال الجيش الالماني لها زمن الحرب . وتعهدت المانيا بشراء فائض انتاج البانيا من معدن الكروم بثمن مجز جداً . كما وعدت بالتوسط بين بريطانيا والبانيا لتسوية مابينهما من خلافات تسوية تؤدي الى استرداد البانيا ذهبها المخزون في بريطانيا . وتحصل بريطانيا على تعويض عن بارجتها اللتين اغرقتها البانيا .

١٣ - هناك مفاوضات سرية جارية لربط علاقات سياسية مع بعض الدول العربية وسيتم ربط هذه العلاقات قبل عقد المؤتمر العاشر للحزب .

١٤ - السماح للألبانيين الطاعنين في السن بالسفر الى الخارج لزيارة ابنائهم واحفادهم سواء أكانوا اقارب للزوج أو للزوجة ولم يكونوا مطلوبين للقانون .

١٥ - السماح بالعلاج في الخارج للألبانيين المرضى الذين لايمكن علاجهم داخل البلاد ولم يصلوا الى الحالة الميؤوس من شفائها .

١٦- تمكن خمسة من الألبانيين من أداء فريضة الحج في الموسم الماضي وهم أول مجموعة من الألبانيين المقيمين في ألبانيا يحجون منذ ان استولى أنور خوجه على السلطة وان كان ادواهم لفريضة الحج كان على نفقة اقاربهم المقيمين في الخارج وكانوا هم في زيارتهم . وعند عودة هؤلاء الحاج إلى ألبانيا لم يتعرض لأي أذى .

التحولات الإجتماعية والسياسية في البانيا على عهد الرئيس رامز عالية

كما سبق أن تتبأنا سار الرئيس رامز عاليه نحو الإنفتاح على العالم بخطى وئيدة حذرة ليقينه من أن ما أقامته الشيوعية الخوجية المتعصبة خلال أربعين سنة من قيود وسدود بين الشعب اللبناني والعالم الإسلامي والشعوب غير الشيوعية لا يمكن إزالته في أربعين أسبوعاً بل إننا نجد أن الرئيس عاليه قد يحتاج إلى أربعين شهراً ليهز أسس الشيوعية في بلاده وليرعد شعبه نفسياً لتقبل وضع جديد، ولينجح في طمانته على أن نظام أنور خوجه قد ذهب إلى غير رجعة . كما أن اللبناني العادي من عامة الشعب يحتاج إلى سنوات خمس ليصدق بأن "السيكوريم" أي الشرطة السرية التي أذاقت الويل لم تعد تتحكم في فكره وحياته ورزرقه ، ومر كل ذلك الزمن قبل أن يستعيد الإحساس بكرامته فيرفع رأسه ويتبعه بصوته .

صحيح أن الشعب اللبناني بدأ تمرده - تاريخياً - على النظام الشيوعي الستاليني يوم ١٢ - ١١ - ١٩٨٥ وهو النظام الجائر الذي فرضه أنور خوجه على من أخضع لسلطانه من اللبنانيين منذ سنة ١٩٤٥ حتى يوم وفاته في ١٢ - ٤ - ١٩٨٥ حيث أورثه لخلفته رامز عالية ، أي أن الشروع في التمرد بدأ بعد ستة أشهر بالضبط من يوم وفاة أنور خوجه الرجل الذي ضحى بحرية ورخاء وتقدير الشعب اللبناني في سبيل تطبيق ذلك النظام . وكانت طليعة التمرد لجوء ستة أشقاء إلى المفوضية الإيطالية بتيرانا (١) كانوا رجلان وأربع نساء ولم يكونوا مجرد شبان متحمسين أغرار بل كان أكبرهم في الثانية والستين كما كان أصغرهم في الخامسة والأربعين وما أن

قابلهم السفير حتى آذنوه بأنهم لاجئون سياسيون يطلبون الحماية فترة يمكنون خلالها من مغادرة إلباانيا بسلام فإن لم يمنحها لهم فسينتحرن جماعياً أمامه قبل أن يتمكن أحد عن اعتقالهم ، وأطلعواه على قنية تحوي سائل أصفر أخبروه بأنه سُم ناقع (١) .

كان لجوء الألبانيين الستة إلى المفوضية الإيطالية حدثاً دبلوماسياً لسابقة له في إلباانيا مما سبب حرجاً للحكومتين، ولم تستطع الحكومة الإيطالية التلاقي عن منح حق اللجوء السياسي لمجموعة من البشر ينشدون الحرية وهم معرضون للإعتقال إن لم يتعرضوا للقتل ، كما لم تستطع الحكومة الألبانية التغاضي عن لجوء بعض مواطنها إلى مفوضية أجنبية خشية أن يصير لجوعهم سابقة تتبعها أخرىات ، وهذا ماحدث بالفعل وإن تأخر بضع سنين إذ لم تهل سنة ١٩٩١ حتى تقافز الشباب الألباني فوق أسوار السفارات والمفوضيات بالعشرين والمائتين طلباً للجوء السياسي، فلما كثرت إحتجاجات الدول وإضرابات الشعب الألباني اضطرت حكومة رامز عالية إلى تغيير أساليبها ونظمها في الحكم . بعد أن تبيّنت استحالة اخفاء انباء مايطرأ في العالم الشيعي وغيرالشيعي من تغييرات عن الشعب الألباني ، وبعد أن تيقن عمّق تأثير الألبانيين بتلك الأحداث ، وشارك في ذلك التأثير تسريب كميات كبيرة من مطبوعات الغرب وكذلك الارسال المرئي الموجه إلى البانيا فتجرأت الجماهير على المجاهرة بأرائهم ومطالبتها . وحينئذ لم يسع حكومة رامز عالية سوى إعادة النظر في تعديل الدستور تعديلاً يسمح بحرية التعبّد وماقتضي تلك الحرية من إعادة المساجد والزوايا والتكايا والكنائس والأديرة والمعابد وجميع الأوقاف الدينية كل وقف إلى مالكه الشرعي . ومن أهم ما ادخلته على الدستور من تعديل الغاعها

Bid. (١)

للمادة التي تحرم على البانيا قبول مساعدات من الدول الأجنبية أو الاقتراض منها ، واضافة مادة دستورية تسمح بـتعدد الأحزاب .

وفي جو استعادة الجمهور اللبناني لحرية افراده أصدرت الحكومة أوامر ادارية تسمح للأباني بالخروج من البانيا والعودة اليها متى شاء . كما افرجت عن معظم المساجين السياسيين ونسبة كبيرة من قضوا معظم المدد المحكوم بها عليهم في جرائم عادية .

اعقب تعديل التشريعات الالبانية ذيوع مظاهر الحياة المعتادة في العالم الغربي فقامت احزاب تزاحم حزب العمال الالباني [كان يسمى بالحزب الشيوعي وغير أنور خوجه اسمه الى حزب العمال عقب شجاره مع الزعيم الروسي] وقام كل فريق بالظهور تأييدا لحزبه واجريت انتخابات نيابية لأول مرة منذ الحرب العالمية الثانية فاز فيها حزب العمال الالباني بالأغلبية المطلقة وتكونت على اثرها حكومة ترأسها الوزير السابق فاتوسى نانو غير ان الجماهير المشرفة للتغيير لم ترض عن نتائج الانتخابات ولاعن تكوين مجلس الوزراء الجديد فحرمته من أي تأييد شعبي وشرعت في القيام بالمسيرات فالمظاهرات وانتهت الى الاضرابات . وتتابع اشتراك مختلف قطاعات العمال في تلك الاضرابات تأييدا لاضراب عمال المناجم(١) " المطالبين بإقالة حكومة نانو حتى بلغ مجموع المضربين ٣٥٠٠٠ عامل وبعد أن تحولت الحركة الى اضراب عام شل جميع مظاهر الحياة وزاد من حدته اضراب مائة عامل عن الطعام مع اعتصامهم في اجواف مناجمهم واستمر اضراب الجوع ذاك احد عشر يوما، مما اضطر حكومة نانو إلى

(١) تستغل ألبانيا مناجمها لاستخراج معادن الكروم والنحاس وال الحديد تصدر بعضها وتصنع البعض الآخر و تستخرج من مناجمها نوعا من الفحم الحجري غير الجيد تستخدمه في توليد الكهرباء الحرارية .
(المؤلف)

الاستقالة . وفي ضوء ما اتفقت عليه الاحزاب والنقابات وأعضاء مجلس النواب كلف الرئيس عاليًا المهندس بيلاي بوفى وزير التموين في الوزارة المستقلة بتشكيل وزارة ائتلافية شارك فيها حزب العمال والحزب الديمقراطي والعديد من اتحادات النقابات وستستمر الوزارة في حكم البلاد حتى حلول صيف ١٩٩٢ م موعد الانتخابات الجديدة .

انه من الصعب التنبؤ بما سيحدث نظراً لما يدور في البانيا من غليان سياسي ابرز مظاهره ما يشاهد من هجرة جماعية الى البلاد المجاورة حيث فر الى اليونان ما ينفي عن خمسة الآف الباني مهاجر ستتبعهمآلاف أخرى مالم تنجح الحكومتان الايطالية واللبنانية في ايجاد وسيلة لايقاف تلك الهجرة ، علما بأن الحكومة الايطالية قد أصدرت قراراً بالزام اللبنانيين باحترام شروط الهجرة المقررة قانونا في ايطاليا . كما اعلنت اعادة كل مهاجر الباني الى بلاده اذا عجز عن الوفاء بالالتزامات القانونية . كما وصلت مجموعات لم يعلن عن عددها الى كل من تركيا والمانيا والنمسا واتجهت اعداد أخرى الى مالطا وغيرها من بلاد البحر المتوسط .

وصاحب اعادة اللاجئين الى البانيا كثير من الشغب والتمعن والتهديد بالعودة مجرد سنوح الفرصة . وتبين فيما بعد أن الذين قادوا حركة رفض العودة كانوا من الجنود الفارين من الجيش، أو من المطلوبين للخدمة العسكرية ولم يلتحقوا بها في الموعد المحدد . وأكّدت الواقع صحة هذا النبأ إذ أن العائدين تعرضوا في موانئ ومطارات البانيا للتمحيص من قبل فصائل الشرطة العسكرية وتم اعتقال الفارين من الخدمة ومن لم يلتحقوا بها .

نجدۃ المسلمين لأخوانهم اللبنانيين

ما ان افوج أمر التضييق الديني على اللبنانيين حتى سارعت الهيئات العربية القائمة بالدعوة للإسلام - وفي مقدمتها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الى زيارة الشعب اللبناني للنظر فيما يمكن أن يقدم له من عون . وقد حمل وفد الجمعية اعدادا كبيرة من ترجمات معاني القرآن الكريم الى اللغة اللبنانية كما سلم مبلغاً ذا بال مخصص لترميم المساجد . وكلف شركة هندسية بإجراء مسح شامل للمساجد القائمة ودراسة متطلباتها توطئة للنظر فيما يمكن أن يفعل بها . ومن الهيئات الإسلامية التي بادرت بزيارة لبنانياً مثل للندوة العالمية للشباب الإسلامي بالنمسا ووفد من الاتحاد الإسلامي الكوسي بيوجسلافيا ووفد عن رابطة العالم الإسلامي مكون من ٥٢ عضواً من بينهم ممثلون عن هيئة الاغاثة الإسلامية العالمية ومنظمة العالم الإسلامي والمصرف الإسلامي للتنمية وجامعة الأزهر . ومن علمات افتتاح البانيا على العالم العربي والإسلامي اتفاقها مع جمهورية إيران الإسلامية على تبادل التمثيل الدبلوماسي ، فيما بينها، وفتح كل بلد منها سفارته في البلد الآخر قبل نهاية سنة ١٩٩١م . كما ان المفاوضات جارية بين البانيا وشقيقاتها من البلدان الإسلامية على تبادل التمثيل الدبلوماسي في أقرب فرصة ممكنة .

خاتمة

عندما شرعت في تأليف هذا الكتاب ، لم يدر في خلدي أنتي لن أجد مندوحة عن الخوض في نظريات الاشتراكية المختلفة من أقصى يمينها ، كالتي أطلقوا عليها تجوزا " الاشتراكية الاسلامية" ، الى أقصى يسارها ، وهي التي أطلقوا عليها حقيقة " الاشتراكية الشيوعية " ، ولكنني عندما غصت في دراسة شخصية أنور خوجه . وجدت أنتي لن أجلو شخصيته للقارئ إلا اذا هيأت له أسباب الإحاطة بمختلف جوانب هذه الشخصية لإرتباطها الظاهري الشكلي بالاشتراكية الماركسية .

و كما أوضحت في مقدمة هذا الكتاب فإنني ملتزم ببيانه النهج الذي اتبعته في كتابته، و اتباعا لما اختططته فسالخص الدوافع التي رسمت اعتقادي بأن أنور خوجه لم يفهم الشيوعية وبالتالي فكيف يؤمن بما لا يفهم ؟ كما انه لم يهضم الصور الأخرى للاشتراكية ، وكل ما إلتزم به في مئات الخطب والمحاضرات التي القتها ، وفي عشرات الكتب التي ألفها خلال فترة حكمه الطويلة لم يزد على تردیده لقوالب تعبيرية محفوظة كررها طول عمره ، وقد اطلعت على مترجم منها الى الايطالية ، فما وجدته خرج قط من سجن العبارات التي يعرفها كل من له المام بالمذهب الشيوعي . أما مناقشاته في القضايا الفكرية الشيوعية فهي توحى بأنه رجل لديه فكرة ما يبحث لها عن مبررات وحجج ليقنع بها الآخرين. وما من مرة قرأت له شيئاً الا غمرني احساس بأن الرجل لا يؤمن بما يقول ، وأن دافعه الوحيد لقول ما قال هو ان يجعل الناس يؤمنون بأنه من عمالقة الكتاب الماركسيين

المفكرين ، واني موضح في الاسطر التالية كيف توصلت الى هذا الرأي الذي لا أتوقع قبوله لدى كثير من القراء بالنظر لما اشتهر به أنور خوجه من التصاق بالشيوعية المتطرفة حتى صار علما عليها وصارت الشيوعية علما عليه ، ولنأخذ رأس الشيوعية "كارل ماركس" نفسه لنرى الى أي حد فهمه أنور خوجه . ان كثيرا من العلماء ومن أشهرهم الاشتراكي الفرنسي " جابريل ديفيل أكد في مقدمته للترجمة التي وضعها لكتاب "رأس المال" ان ماركس لم يتظاهر قط أنه ابتكر علما لم يسبق إليه أحد . بينما قدس أنور خوجه ماركس بإعتباره "خالق" الشيوعية . كما أن خوجه لا يسلم بأن هناك طرقا كثيرة لتطبيق الماركسيّة ، وانما يتمسك بأن الشيوعية لا تسمى شيوعية الا اذا فهمت وفق تفسير "لينين" لمبادئ ماركس ، وكل من لم يفهمها فهم لينين فهو منحرف REVISIONIST ". اي ان أنور يرى المتأنل جاحدا للشيوعية الحقيقة وان تسمى باسمها ، وهذا ما جعلني أصمّه بأنه لا يفرق بين الثبات على المبدأ وبين جمود المبدأ نفسه . ولا يعترف خوجه بأن الشيوعية ماهي إلا مدرسة متطرفة من المدارس العديدة للإشتراكية ذاتها لو لم يتخذ منها لينين منهجا للحياة الروسية بعد نجاح ثورة أكتوبر فلربما لم تتح للشيوعية فرصة لوضعها موضع التطبيق ، اذ ان نجاح الشيوعية في روسيا لم يكن ناتجا عن عوامل في الشيوعية تؤدي بالضرورة الى نجاحها ، وانما نجحت لأن لينين من المعجبين بالماركسيّة فاتخذها منهجا حياتيا ، ولو كان معجبا بمدرسة اشتراكية أخرى وكانت المدرسة الثانية هي السائدة في روسيا الآن ، فقد كان الجو النفسي العام للشعب الروسي على استعداد لتقبل أي نظام ينجح في الحلول محل النظام القيصري وكان ٩٥٪ من الشعب الروسي لا يدركون سنة ١٩١٧ ماهية الشيوعية . وفي وقتنا الحاضر لم ينتسب للحزب الشيوعي أكثر من سبعة ملايين روسي ولو فرضنا ان ضعفهم يفهم الشيوعية ولو لم يؤمن بها ،

فسيكون مجموع الروس الذين فهموا الشيوعية أربعة عشر مليونا . وهي نسبة ضئيلة بالقياس الى اجمالي الشعب الروسي البالغ ٢٧٠ مليونا .

وكتب كثيرون عن التطور الفكري الاشتراكي مثلاً ما كتب خوجه ، إلا أننا نجد في محاولات الكتاب الجدد من شرح الفكر الماركسي ولا نعدم من اثرى ذلك الفكر ، بينما نجد أنور خوجه لم يزد على تكرار العبارات المحفوظة ، غير ربطها بجمل من عنده لاتضيق الى الحصيلة العلمية للقارئ شيئاً . وإذا عثينا في كتبه على إشارة عابرة للمدارس الاشتراكية التي اشرنا اليها فهو في الغالب يلحق تلك المدارس بأوصاف عامة ليقينه من أن أي مدرسة اشتراكية ليست الشيوعية وفق فهم لينين فهي اسم بلا جسم ، فالاشتراكية العلمية مبسطة (١) والاشتراكية الاسلامية (٢) محاولة فاشلة للجمع بين الدين والاشتراكية وكذلك النظام الاشتراكي الاسلامي . كما سخر ممن فسرو الآية الكريمة " و في أموالهم حق معلوم " بأنها أساس الاشتراكية الاسلامية قائلاً : انه احتيال على جعل جميع الطبقات تسلم بأن الأموال هي أموال الأغنياء تحت شعار أن فيها بعض القروش حرق معلوم للسائل والمحروم ، ولم يقل لنا هل من ضامن لحصول السائل والمحروم على ذلك الحق الهزيل ؟ ويؤسس على ارائه تلك ، قاعدة تفيد بأنه ليس من اشتراكية في نظر أنور خوجه مهما كان اسمها ، تقارب الاشتراكية الشيوعية ، أي اشتراكية رأس المال ومصادر الانتاج ، وهي اشتراكية تعطي الأولوية للبدن المشاهد الملموس، بدلاً من ان تجري جرياً أحمق وراء الخيال الذي يسمونه روحًا أي أنها اشتراكية مادية تغلب البدن على الروح كما ذكرت الدفاتر الفلسفية للينين ، ولا يتفق معظم المفكرين

(١) خطابه الذي اعلن فيه اعتناقہ لللأحاد (المؤلف)

(٢) نفس المصدر .

العالميين مع ماركس في ايمانه بالمادة دون الروح فهم يرون الانسي الذي لا هو شيطان ولا هو ملائكة بل هو نفس وروح ثم بدن مكون من كتلة من دم ولحm وعظام وأعصاب ولبن وفريث وشعر واظفار يجمع في تركيب خلايا بدنه ٣٥ عنصراً من بينها الجير والحديد والكبريت والفسفور إذا اشتريت خاماتها من السوق لما زاد ثمنها عن ذينارات أربعة ولو افترضنا ان الماديين محقون في اعتبار الانسان مادة مطلقة، من التراب تكونت بوفي الثراب تذوب ، منكرين الروح والنفس فإنهم يكونون قد تجاهلوا أن الأنسيه فيه بجانب المادة الملموسة روح - وهي أسمى ما فيه - ونفس تذوق الموت عند الوفاة ، كما فيه عواطف من كره وحب وغرائز من شهوة وعفة وشره وقناعة وهذه وتلك ليست مواد تلمس ولكن يدرك وجودها برؤية اثارها . ولو عرفنا مقادير الاجزاء المكونة للمادة الجسدية وركبناها التركيب الصحيح لما استطعنا ان نخلق منها انسانا اذ ليس في الأسواق أنفس وأرواح تباع لنشريها كما اشترينا الخامات التي ركبنا ، منها البدن . وبالتالي فالشيوعية الماركسيه اخفقت كما اخفق أنور خوجه في اصرارها على أن الانسان مجرد مادة . وقد فات خوجه عند انسلاخه عن الدين تقليدا منه لكارل ماركس ، ان ماركس عندما حاول ان يتخلص من " اليهودي " لينجو من اضطهاد الغربيين للبلاد تنصر في آخر عمره ، وعلى الرغم من ذلك فلم يحس قط بأنه تحرر نهائيا من يهوبيته ، وبقى يهوديا في نظر نفسه ونظر الناس . فلجاً الى انكار الأديان كلها ، وأوغل في الفلسفة المادية التي تذكر الدين والديان واستبدل المخلوق بالخالق، واتخذ من الانسان نقطة البداية في التفكير الواقعي المجرد من الاعتبارات العاطفية والأخلاقية .

ونحن لم نتعرض لساوى الرأسمالية بنفس التفصيل لضيق المقام مع أنها لاتقل شرا عن الشيوعية ، كما أوضح الشاعر الذي اقتبسنا بيته من

شعره لنعنون به فصلا يتحدث من الشيوعية والرأسمالية . فالمتأمل المتأني في كلا المذهبين المتعارضين يجد ان الشيوعية تسقط اوزارها على الرأسمالية في نفس الوقت الذي تسقط فيه الرأسمالية ذنوبها على الشيوعية، بينما يحمي الاسلام الانسان من " ان يكون مكرها على الاختيار بين نار الاستغلال الرأسمالي (١) باسم حرية الفرد ، وبين زهرير الطغيان الفئة البروليتاري باسم مصلحة الجماعة " وقد عجزتا كلاهما عن توفير السعادة لمعتنقيها ، وسيجد المستقرئ للبراهين التي استعرضناها - إثباتا لعجز خوجه عن فهم الاشتراكية الشيوعية - سيلا من تلك البراهين فيما قال وفيما كتب ، ولا يعنيني جهله بالشيوعية في حقيقة ذاته . لو لم يصر على أن " البانيا هي قلعة الماركسية الحقيقية في العالم . وسنسوق برهانين آخرين الأول يتعلق بالأخلاق الافلاطونية ، وهي اخلق مقررة سلفا بواسطة العرف الاجتماعي، أو بواسطة الدين، مقبولة نظريا من المجتمع الذي قرر مخالفها عقوبات، بينما الشيوعية تعكس هذه النظرية فتقول : عندما يقدم الانسان على عمل ما ، فعليه ان لا يتقييد بما سبق ان قرر من قبل لتقدير ذلك العمل ، اخلاقيا ، لأن الانسان يخلق افعاله على مثال لم يرسم له من إله أو قدر فلننسان هيمنة كاملة على قدره الذي هو من صنعه هو نفسه ولا يدخل في صنعه قوة من خارج الانسان، سواء أسميناها ربا أم قdraً أم حظا . وهذا المفهوم يرددنه أنور خوجه ببغاويأ .

الثاني يتعلق بالبدأ القاضي بأن الاخلاق هي صور نموذجية لطرق تعامل الفرد في مجتمعه . وتجربة تطبيق الشيوعية في روسيا مدة تقارب السبعين سنة أي جيلين من البشر - اثبتت ان الاخلاق العامة لا تصاحب بالضرورة ، الحياة السياسية في تطورها . ومع أنه تنشأ صور من العلاقات توائم

(١) ماركسيّة القرن العشرين . روجيه غارودي ترجمة نزيه الحكيم .

التطور ولكنها لصيقة مدة طويلة بالأخلاق الموروثة ، وفي هذا شاهد على عجز فهم خوجه للشيوعية وعجزه عن هضمها عندما يقول : " الدين (١) لأشأن له بحرية الحب ، كما لأشأن له بالزواج ، اذ ان الزواج في البانيا موسس على توافق وجهات النظر السياسية . ووجهات النظر الثقافية ، ولا دخل للعواطف فيه اذ العواطف تتقلب تقلباً يتناهى مع استقرار الحياة الزوجية " ، ويرى ان الزوجين اذا قامت علاقتهما على مشاركة كل منهما للأخر في النظرة السياسية والنظرة الثقافية فتلك العلاقة تشكل قاعدة صلبة تضمن استقرار الحياة الزوجية بينهما ، أما اذا تزوجا على غير هذه القاعدة فزواجهما يحمل في طياته بذرة الصراع المنتهي بالافتراء في قابل الايام ، اذ ان غياب توافق نظريتهم السياسية والثقافية سينخر حياتهما الزوجية فتنتهي بالانفصال .

ولادعى اتنى قد استقرأت كل البراهين التي اثبتت عجز خوجه عن فهم الاشتراكية الشيوعية ، لكنني اعتقد لو ان خوجه كان على قدر من الفهم للشيوعية ولغيرها من المدارس الفكرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية (٢)، لفهم معنى آلية الكريمة " وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم " ولوجد نفسه قادرًا على تحقيق اهداف الاشتراكية دون ان ينسليخ من دين ويرغم شعبه على الإلحاد يقول الاستاذ غارودي " ان الجزائري ذا الثقافة الاسلامية يستطيع ان يصل إلى الاشتراكية العلمية بدءاً من منطلقات أخرى ، غير سبيل هيجل وديكارت أوسان سيمون ، فقد كانت له هو الآخر اشتراكية طوبية " .

(١) شؤون الشيوعية العالمية - لسنة ١٩٨٢ .

(٢) ماركسية القرن العشرين لروجيه جارودي ترجمة نزيه الحكيم .

حول مراجع الكتاب

نظراً لندرة المراجع حول الفترة التاريخية للألبانيا وخاصة ودول البلقان
بعامة التي يعني بها هذا الكتاب فلم أهمل أية وثيقة تيسر لي الإطلاع عليها
، وربما أقتبست معلومة بنصها فاكتبها بين علامتي ، تنصيص ، كما أفعل
بترجمتها إذا أخذتها من مرجع غير عربي .

أما إذا أخذت من المعنى دون النص فاني لا أشير إلى المرجع وإن
ذكرت اسمه في ثبت المراجع لمن أراد التوسيع على الإطلاع على مراجع هذا
الكتاب ولطول عناوين بعضها وصعوبة كتابتها في ذيل كل صفحة عند توثيق
المعلومة المذكورة في الصفحة ، فقد أكتفيت بذكر الكتاب والصفحة اعتماداً
مني على القائمة الحاوية للمعلومات الكاملة عن كل مرجع وثبتت منه معلومات
هذا الكتاب .

المؤلف

د. محمود التائب

المراجع العربية

الص	المكان	تاريخها	الطبعة	اسم الكتاب	المؤلف
	بيروت	١٩٨٢ م	الأولى	أتاترک وحلفاؤه تاريخ العلوين	مصطفى الزين محمد أمين غالب الطویل
	بيروت			يهود الدونما	محمد عمر
	الكويت			مجلة العربي الكونية	
	بيروت	١٩٨١ م	الثانية	تاريخ الشرق الأوسط الحديث	ستيورت دزموند

المراجع الألbanية

- 1 - Peter R. Prifti The Albanian Party Of labor and The Intelligentsia ,
East European Quarterly N 3 Vol VIII
- 2 - Elez Bibery "Albanian - Yugoslav Relation and The Question of Ko-
sovo" . East European Quarterly N 4 January 1983.
- 3- Ost Europa 32 Yargang Heft 9 september 1982
- 4 - Colino MacDogall , China at The cross road Financial Times - 9 12
1985 .
- 5 - Feliks Polansky Albanians Peasants feel the heat The Observer 10 - 11
- 1985 .
- 6 - Keesing's Contemporary Archives London
- 7 - Newman Bernard,"Tomorrow You Die" Albanian Jarney Bitman , lon-
don .
- 8 - "D. Kostich Dragos" , The land and People of The Balkans,lippincott
Filadelphia Fifth printing .
- 9 - W. Montgomery, Watt the Majesty that was Islam? 1931.
- 10 - AN OUTLINE HISTORY of the world, H.A.DAVIS , M.A London.
- 11 - Year book on International Communist AFFAIRS 1977 - 79 - 83 .
- 12 - Encyclopedia dei Personaggi Storici Dr . Hans Hertz- Feld .
- 13- Curzio Malaparte . "la pelle" Mondadori Milano .
- 14 - Dizionario di cognizioni utili,Unione Editrice Torinese .

- 15 - Keesing's Contemporay Archives,London
- 16 - National GEOgraphic (Magazine) official Journal Washington D.C.
- 17 - Jacomini di San Savino . la Politica dell'Italia in Albania Editore Cappelli . Rocca San Casciano
- 18 - E 'morto lo Zar Rosso D' Albania - Domenica del corriere Milano
- 19 - Cos' e' l'identita' ebraica , intervista con lo Scrittore Giorgio Noghera Panorama N° 1022 Milano
- 20 - Historia . Mensile Milanese .
- 21 - Storia Illustrata . Mensile Milanese
- 22 - Roberto Morozzo della Rocca "Nazuane e Religione in Albania (1920 - 1944)". il Mulino Ricerca

ثبت موضوعات كتاب البانيا عبر القرن العشرين

خريطة البانيا

الفصل الأول

1	مقدمة المؤلف
5	قهيد

الفصل الثاني

البانيا	15
تسمية البانيا بهذا الإسم وأسبابه	27
دولة البانيا	28
أمير البانيا المسيحي	31
أحمد زوغوبك	34
البانيا الإسلامية	38
الاسلام في البانيا اليوم	43
انور خوجه وحزبي يجاهران بالانسلاخ من الاسلام	48
جمعية الدومنا اليهودية	54
دور الدومنا في إسقاط السلطان عبد الحميد الثاني	60

الفصل الثالث

التمهيد للاستعمار الاطالي للبانيا	73
البانيا وایطالیا	77
البانيا واليونان	80
البانيا وبريطانيا	85
البانيا ويوغسلافيا	90
تقارب سنة ١٩٧١	103
علاقات البانيا بيوغسلافيا خلال العقد الثامن من القرن	107
كوسفو هل هي عظم يتصارعون عليه أم جسر عبور إلى ما وراء من الأرضي	119

الفصل الرابع

الإسلام هو المخرج الوحيد من دوامة التناقضات بين الرأسمالية والشيوعية	132
الشيوعية الأئمية COMINTERN	138

139	الفروق بين المدارس الشيوعية المختلفة
145	الفرق بين الثبات على المبدأ وتجميد المبدأ
149	هزيمة الماركسية في الصين الشعبية
152	نشأة الحزب الشيوعي اللبناني

الفصل الخامس

155	"الكوميتيرن" تهدد إنشاء حزب شيوعي ألباني موال لها
157	المقاومة المسلحة الألبانية للاحتلال الإيطالي الألماني
161	ميثاق التعاون على مقاومة الاحتلال
164	قيصر ألبانيا الأحمر - أنور خوجة
169	نشأة هيكل الحكومة الألبانية
172	تنظيم السلطة الشيوعية في البانيا
174	المؤتمر الثامن للحزب
183	تقرير رئيس الوزراء
185	مصرع محمد شيخو رئيس مجلس الوزراء

الفصل السادس

189	"الاعلام العالمي يعتمد على أخبار ألبانيا وأخبار زعيمها أنور خوجة"
192	جوانب مشرقة في حياة أنور خوجة
195	الرئيس رامز عاليه
200	التحولات الاجتماعية والسياسية في ألبانيا على عهد الرئيس رامز عاليه
204	نجمة المسلمين لإخوانهم الألبانيين
205	خاتمة
211	حول المراجع
212	المراجع العربية
213	المراجع الالاتية

—

—



Go ...
Collection of the Alexandria Library
Gift Collection Memorandum

تم الطبع بمطباع إديال
الدار البيضاء - المملكة المغربية

1

